BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات العليا

برنامج دراسات النوع الاجتماعي والتنمية

التهميش المركب: عن روايات المعتقلات الفلسطينيات لتجاربهن في الأسر

The Complex Marginalization: On Palestinian women detainees' narratives of their experiences in captivity

رسالة ماجستير مقدمة من:

نور محمد جبر بدر

إشراف: د. لينة ميعاري

2020

كلية الدراسات العليا

برنامج دراسات النوع الاجتماعي والتنمية

التهميش المركب: عن روايات المعتقلات الفلسطينيات لتجاربهن في الأسر

The Complex Marginalization: On Palestinian women detainees' narratives of their experiences in captivity

مقدمة من: نور محمد جبر بدر

إشراف: د. لينة ميعاري

لجنة النقاش

د. أميرة سلمي   د. علاء العزة

"قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج دراسات النوع الاجتماعي والتنمية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

2020

كلية الدراسات العليا

برنامج دراسات النوع الاجتماعي والتنمية

التهميش المركب: عن روايات المعتقلات الفلسطينيات لتجاربهن في الأسر

The Complex Marginalization: On Palestinian women detainees' narratives of their experiences in captivity

نور محمد جبر بدر

لجنة النقاش:

الدكتورة لينة ميعاري، رئيسة اللجنة..........................

الدكتورة أميرة سلمي، عضواً..................................

الدكتور علاء العزة، عضواً..................................

تاريخ المناقشة: 2020/1/23

"قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج دراسات النوع الاجتماعي والتنمية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

شكر وعرفان

أشكر د. لينة ميعاري، حين ذهبت لها لعرض فكرتي كنت حاملاً في الشهر السابع بتوأم، كنت قد قررت في ذاتي بأني لن أخوض هذا الغمار إذا اعتذرت مني، لكنها تبنتني، الآن أمسك في يدي الأولى هذه الرسالة التي تتناول معاناة ثلاثة عشرة معتقلة فلسطينية، وفي يدي الأخرى طفلي كامل وأحمد، أريد أن يقال عنهما "مقاومين، شرسين، يقولان حتى قشرة البرتقال لنا".

أشكر الدكتورة أميرة سلمي التي عرفتها من خلال مجادلاتها وتوجهاتها إنسانة تحلل وتظهر مفاصل الاستغلال، استغلال الشمال للجنوب، تقسيم العمل، المؤسسات الدولية... كانت كلما دخلت في نقاش تذكرني بقول محمود درويش "وأنت تسدد فاتورة الماء، فكر بغيرك من يرضعون الغمام...وأنت تعود إلى البيت، فكر بغيرك لا تنس شعب الخيام"، كانت كلماتها تقودني إلى فهم حقيقة ما يحدث مع هؤلاء.

أشكر الدكتور علاء العزة على جهده وملاحظاته التي أثرت هذا العمل، ودعمه وتشجيعه لي.

أشكر الثلاثة عشرة مشاركة معي في الدراسة، صديقاتي، جمعتنا لحظات اختلجت مشاعرنا معاً، بكينا، ضحكنا معاً، أصبحن رفيقات دائمات لي، تحدثنا معاً عن هذه المعاناة لنخفيها جميعاً في جملة "بستاهل الوطن".

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى أرواح الشهداء الفلسطينين والعرب الذين استشهدوا في المعتقلات الصهيونية حتى يومنا هذا، ولأنهم ليسوا أرقاماً، فإنني أهدي لهم هذا العمل بأسمائهم "مع سنة استشهادهم" وهم الشهداء "أحمد النويري1967، خليل صيام1967، زكي صيام1967، يوسف الجبالي 1968، خليل الرشايده 1968، مصطفى حرب1968 ، فتحي النتشة 1968، يونس أبو سبيتان 1968، قاسم الجعبري 1969، قاسم أبو عكر1969، أحمد أبو عميرة 1969، محمد خريزات 1969، قاسم أبو خضرة 1969، عون العرعير1970، أحمد أبو دية 1970، يوسف العللية 1970، أحمد عفانة 1970، عبد القادر أبو الفحم 1970، حريص أبو حيّة 1970، عثمان البحش 1970، علي أبو سلطان 1970، سميح أبو حسب الله 1970، ديب اشتيه 1970، هاشم كريم 1970، سالم صافي 1971، مصطفى الدرابيع 1971، محي الدين العوري 1971، الحاج رمضان البنا 1971، محمد وشاحي 1971، حسن أبو ركبة 1971، حسن السواركة 1972، عيسى عبد الحميد 1972، مصطفى العواوده 1972، نصر الدين الشخشير 1973، فريز طشطوش 1973، عمر شلبي 1973، سالم أبو سته 1974، عمر عوض الله 1975، جميل بركات 1975، فؤاد حميد 1976، أحمد دحدوح 1976، محمد الخواجه 1976، عمران أبو خلف 1976، خضر هيلاني 1976، عجاج علاونة 1976، نصار الحويطات 1977، فريد غنام 1978، يوسف كريم 1978، ناصر الهيب 1978، سعيد أبو سته 1979، إدريس نوفل، 1979، راسم حلاوة 1980، علي الجعفري 1980، أنيس دولة 1980، فايز الطرايره 1981، صلاح عباس 1981، علي الشطريط 1981، سلامة الحوساني 1981، سليم أبو صبيح 1982، يعقوب دبابش 1982، حمزة أبو شعيب 1983، ميخائيل لازارو 1983، خليل أبو خديجة 1983، اسحاق المراغة 1983، بلال البوريني 1984، جمال قبلان 1984، محمد أبو جامع 1984، محمود فريتخ 1985، محمود نجاجرة 1985، غسان اللحام 1985، طارق الهندي 1985، طارق الحموري 1987، عواد حمدان 1987، خضر الترزي 1988، قنديل علوان 1988، إبراهيم الراعي 1988، إياد عقل 1988، نبيل إبداح 1988، هاني الشامي 1988، عطا عياد 1988، أسعد الشوا 1988، بسام الصمودي 1988، محمد حماد 1988، عبد المنعم كولك 1988، إبراهيم المطور 1988، نضال ديب 1989، محمود المصري 1989، عمر القاسم 1989، محمد الريفي 1989، عبد الله محروقه 1989، جمال أبو شرخ 1989، خالد علي 1989، بدر كراده 1989، رائق سليمان 1990، صبري عبد ربه 1990، حسام قرعان 1990، عبد علاونة 1990، عطية الزعانين 1990، علي الشاهد 1991، سامي زعرب 1991، جاسر أبو رميلة 1991، موسى عبد الرحمن 1992، مصطفى العكاوي 1992، أحمد بركات 1992، سمير عمر 1992، محمد بريص 1992، حازم عيد 1992، مصطفى بركات 1992، حسين عبيدات 1992، أيمن برهوم 1993، سمير

سلامة 1993، أيمن نصار 1993، محمد الجندي 1993، يحيى الناطور 1993، أحمد إسماعيل 1993، عبد الصمد حريزات 1995، معزوز دلال 1995، وليد السروجي 1996، ماجد دغلس 1996، رياض عدوان 1997، خالد أبو ديه 1997، نضال أبو السرور 1998، يوسف العرعير 1998، إبراهيم البرادعه 2000، محمد المغربي 2000، محمد الدهامين 2001، حسن أبو شعيره 2001، محمود خليل 2001، مصطفى ياسين 2001، جمال ثلجي 2001، علي الجولاني 2001، هشام أبو جاموس 2001، سفيان العارضة 2001، ثائر المهداوي 2001، جمال أبو ملوح 2001، إياد الخطيب 2001، علي أبو حجله 2001، عيسى دبابسة 2001، مدحت أبو دلال 2001، محمد حسين 2001، يوسف السركجي 2002، جاسر سمارو 2002، نسيم أبو الروس 2002، كريم مفارجه 2002، نصار أبو سليم 2002، طارق الهنداوي 2002، أنور عبد الغني 2002، عبد الغني أبو دقه 2002، محمود صلاح 2002، باسم أبو شحاده 2002، خالد عود الله 2002، إسماعيل زيد 2002، سعيد مهدي 2002، عبد الرحمن عبد الله 2002، عمر موسى 2002، أحمد عجاج 2002، عزمي عجاج 2002، بهاء الشرقاوي 2002، حازم قبه 2002، أحمد جوابره 2002، علاء خضريه 2002، ياسين الآغا 2002، جاد الله شوكه 2002، إبراهيم أبو هواش 2002، عمران غيث 2002، فايز جابر 2003، وليد عمر 2003، محمد العسعس 2003، جاسر حسنين 2003، أحمد عطية 2003، بشير عويس 2003، عبد العفو القصاص 2004، فواز البلبل 2004، فلا مشارقه 2004، محمد أبو هدوان 2004، محمود كميل 2004، صلاح 2004، راسم غنيمات 2005، عبد الفتاح رداد 2005، علي أبو الرب 2005، بشار بني عوده 2005، جواد مغصيب 2005، سليمان درايجه 2006، مازن شبات 2006، سليم أبو الهيجة 2006، محمود أبو حسن 2006، جمال السراحين 2007، وائل القراوي 2007، ماهر دندن 2007، شادي السعايده 2007، عمر المسالمه 2007، محمد الأشقر 2007، فادي أبو الرب 2007، فواز فريحات 2008، فضل شاهين 2008، جمعه موسى 2008، عبيده دويك 2009، رائد حماد 2010، محمد عابدين 2010، زياد الجولاني 2010، أمجد شلبايه 2010، عز الدين كوازبه 2010، عرفات جرادات 2013، ميسر أبو حمديه 2013، حسن الترابي 2013، رائد الجعبري 2014، فادي الدربي 2015، ياسر حمدوني 2016، أسعد الوالي 2016، محمد الجلاد 2017، فاطمة طقاطقه 2017، رائد الصالحي 2017، ياسين السراديح 2018، محمد عنبر 2018، محمد مرشود 2018، عزيز عويسات 2018، محمد الخطيب 2018، فارس بارود 2019، عمر يونس 2019، نصار طقاطقه 2019، بسام السايح 2019، سامي أبو دياك 2019"

المحتويات

شكر وعرفان.....أ
الإهداء .....ب
الملخص.....خ
Abstract .....ر
المقدمة 1
الفصل الأول 5
إشكالية الدراسة ومنهجيتها 5
القسم الأول: 5
إشكالية الدراسة: 5
أهمية الدراسة: 6
مساهمة الدراسة: 7
سؤال البحث: 10
تساؤلات الدراسة: 10
القسم الثاني: 11
منهجية الدراسة: 11
الرواية الشفوية أداة البحث الرئيسية: 13
"العينة" المشاركات في الدراسة: 14
مجتمع الدراسة: 15
المعتقلات المشاركات في الدراسة: 16
القسم الثالث: 19
آلية الدراسة وأخلاقيات البحث: 19
أخلاقيات البحث: 20
موقع الباحثة: 21
الفصل الثاني 23
الإطار النظري 23
الفصل الثالث 29
مراجعة الأدبيات 29
مقدمة: 29
التموج النضالي: 29
السجن- استلاب الحرية: 30
الأدبيات حول الأسرى الفلسطينيين: 31

الفصل الرابع: 35
كل فلسطيني "متهم"- مرحلة ما قبل السجن 35
القسم الأول: 35
تقديم: 35
السياق العام: تاريخياً وجغرافياً: 36
القسم الثاني: 45
عملية الاعتقال: 45
الفصل الخامس: 52
الاستباحة: "الآخر" وقابلية انتهاكه - عن رواية الفلسطينيات المعتقلات لتجاربهن السياسية أثناء الاعتقال 52
تقديم: 52
القسم الأول: التحقيق كآلية استعمارية 54
في وصف التحقيق: 54
استهداف الجسد: "استباحته" 58
العنف الجسدي: 59
العنف الجنسي: 63
المحقق وشخصياته التمثيلية: 69
الخروج من التحقيق: 72
مكملات التحقيق: 79
العصافير: 79
الإسقاط: 82
القسم الثاني: الحيّز المكاني في المعتقل الاستعماري 84
تقديم: 84
في وصف الحيّز المكاني المعتقل: 85
أولاً: الكنتين 86
ثانياً: الزنزانة "الجحيم" 90
ثالثاً: غرف السجن 94
الهوية الفصائلية داخل الحيّز المكاني "المعتقل": 100
التحديات داخل الحيز المكاني المعتقل: 108
الأمراض المزمنة داخل المعتقل: 109
الدورة الشهرية: 113
الأمومة: 115
القسم الثالث: آليات الصمود 119
الصمود أثناء التحقيق: 120

الصمود داخل غرف "السجن": 132
الصمود المستمد من خارج "سور السجن": 139
الصمود لتحقيق نضالات مطلبية وسياسية: 146
القسم الخامس: الإضرار بالأمن "الإسرائيلي" 150
تقديم: 150
التهمة: 151
محكمة ثلثي المدة: 164
"البوسطة" رحلة العذاب: 165
الفصل السادس 171
النضال الجديد بعد الخروج من الأسر- مرحلة ما بعد الاعتقال 171
تقديم: 171
القسم الأول: لحظات الإفراج 172
في وداع أصدقاء المعتقل: 172
الطريق إلى البيت: 177
إعادة الاندماج في الحياة: 181
المعتقلة بين فكيّ الرقابة المحلية والرقابة الاستعمارية: 185
القسم الثاني: وصف التجربة 191
في وصف التجربة: 192
المؤثرات في رواية التجربة: 197
الاستنتاجات والمخرجات 207
المقابلات الخاصة بالرسالة: 211
المصادر والمراجع: 212

الملخص

تعنى هذه الدراسة بأصوات مهمشي المهمشين في التاريخ الوطني الفلسطيني وهنّ المعتقلات الفلسطينيات، وتسعى لفهم وتحليل تجاربهن الاعتقالية بتفاصيلها المنطوقة وغير المنطوقة، الرئيسية والثانوية، من خلال رواياتهن حول مرحلة ما قبل الاعتقال ومرحلة الاعتقال وما بعد الاعتقال.

تتخذ الدراسة موقعاً لها من داخل الهامش، الهامش الذي يعني الاختلاف، المقاومة والتحدي، والتي تأتي من قبل هؤلاء الذين يعيشون فيه، ويعانون من التهميش المركب أولاً بشقيه الاجتماعي والسياسي، وثانياً الهيمنة الاستعمارية، وثالثاً الاختزال الصوتي. إن الدراسة بهذا الطرح تتبنى زاوية معرفة جديدة، إذ تنتقل إلى الهامش، إلى جانب هؤلاء المعتقلات، اللواتي يملكن تلك الأصوات المتعددة.

تتناول الدراسة روايات المعتقلات الفلسطينيات بين الأعوام 1985–2019، اللواتي تعرضن للاعتقال بادعاء نشاطهن السياسي الذي يضر فيما يعرفه المستعمِر الصهيوني بـ" أمن إسرائيل"، وتم الإفراج عنهن بعد قضاء محكوميتهن في السجون الاستعمارية الصهيونية، أو من خلال محكمة الثلث، أو صفقة تبادل، وممن لم يسبق لهن الحديث عن تجاربهن السياسية أو الخوض فيها بتفاصيلها، حيث تم إجراء ثلاثة عشر مقابلة مع عينة قصدية توافقت مع أهداف الدراسة.

الدراسة تعتمد حقل التاريخ الشفوي في التحليل، والذي يحيلنا إلى وسيلة البحث، وهي الرواية الشفوية. بحيث يرتكز التحليل على فكرة أن ما نحصل عليه من خلال الرواية الشفوية يلعب دوراً في كتابة تاريخ "الفواعل المهمشة"، تاريخهم الحيّ الذي يتجاوز الكتابة الأكاديمية ويضعنا في العديد من المواقع المتعددة والمعقدة، ويتيح لنا كأشخاص وباحثين من فهم التجربة بتفاصيلها ومشاهدها الرئيسية والثانوية، التي تشكل المشهد والقصة الأكثر حيوية وتفصيلاً.

يعتمد تحليل الدراسة على المحاور التالية: كيفية وقوع حدث الاعتقال، بربط ذلك مع المحيط الذي شهد ومارس عملية الاعتقال، الأهل، الضابط والمحقق، المعتقلات في السجن، والتواصل مع الناس في الخارج، توقعات وأهاجيس وأفكار ومشاعر المعتقلة أثناء الاعتقال، كيف ظهر حدث الاعتقال في رواية المعتقلة من لحظته الأولى إلى اللحظة التي خرجت فيها من المعتقل، على اعتبار أن حدث الاعتقال كان عبارة عن مجموعة من الأجزاء، وكل جزء هو قضية، وكل قضية احتوت على مجموعة من الأصوات، كيف أثر حدث الاعتقال على قرار المعتقلة بالعودة للحياة السياسية أو عدمها بعد الخروج من السجن، وكيف أثر على قدرة المعتقلة على رواية تجربتها السياسية بكل تفاصيلها الثانوية والرئيسية، دون أن تشعر إما بالخجل أو الخوف من كون ما تعرضت له في فترة الاعتقال قد يكون له تبعات قد تقود إلى إعادة اعتقالها مرة أخرى، أو عدم الرغبة بتوظيفها في إحدى المؤسسات، خصوصاً المؤسسات التي تتلقى تمويلاً خارجياً، أو حتى العمل على إنهاء عملها إذا ما أفصحت بحرية عن رأيها السياسي أو انتمائها الفصائلي، أو على قدرتها على حرية الارتباط واختيار الشريك بحرية ودون إجبار.

توصلت هذه الدراسة إلى ستة استنتاجات رئيسية:

الاستنتاج الأول يرتبط بالسياق الزمني للتجربة الاعتقالية، بحيث أظهر هذا البعد التباين في عمق الامتداد الشعبي للتجربة الاعتقالية ما قبل فترة أوسلو وما بعدها، فأظهرت الروايات عمق هذا الامتداد الشعبي للتجربة الشخصية ما قبل اتفاقية أوسلو، ثم لاحقاً تلاشى أو ضعف بعد اتفاقية أوسلو.

الاستنتاج الثاني أبرزته آليات السيطرة الاستعمارية، من خلال تعدد أدوات الإخضاع التي تمارس على الجسد.

الاستنتاج الثالث يظهر بصورة الثورة المضادة لآليات السيطرة وهي آليات الصمود، وتظهر هذه الآليات بصورة مركزية أثناء مرحلة "السجن، على اعتبار أن المكان والسياسات في المعتقل الاستعماري مقسمة إلى مجموعة من الوحدات، كل وحدة تعمل ضمن آلية مختلفة يجمعها هدف واحد وهو كسر الصمود.

الاستنتاج الرابع أبرزه النضال الجديد بعد الخروج من المعتقل، بحيث وقعت المعتقلة التي تتلهف إلى إعادة الاندماج في الحياة بين فكيّ الرقابة المحلية التي تأتي أولاً من دائرتها الصغيرة المتمثلة بالأهل والعائلة، إلى الدائرة الأكبر المتمثلة بأجهزة المخابرات التابعة للسلطة الوطنية وصولاً إلى الرقابة الاستعمارية.

الاستنتاج الخامس أظهر أن منظومة المعتقل قائمة بأكملها على مبدأ الحرمان، ويكون الرد على ذلك من قبل المعتقلات بالتضامن، التضامن للتغلب على الألم، فيذوب الألم الفردي بالألم الجماعي، بحيث تصبح العلاقة المبنية على الألم أمتن وأقوى من العلاقة المبنية في وضعها الطبيعي.

الاستنتاج السادس إن المعتقلات لسن أسطورة، إنهن بشر، لديهن مشاعر وأحاسيس واختلاجات وشوق وعذاب.

Abstract

This study is concerned with the voices of the most marginalized people in the Palestinian national history, the female Palestinian detainees. It seeks to understand and analyze their detention experiences with its spoken and unspoken details, major and minor details, through their stories on pre –arrest, detention and post-detention stages.

The study commences from the position of the margin, the margin that contains difference, resistance, and challenge that comes from those who live in the margin and suffer from complex marginalization. The complex marginalization consists of social and political dimensions, colonial hegemony, and voice reductionism. Thus, the study adopts a new angle of knowledge, as it moves to the margin, along with the female detainees, who own multiple voices.

The study addresses the stories of Palestinian female detainees who were arrested between the years 1985 and 2019 as a result of political activity which harms “Israel’s Security”, as claimed by the Zionist colonizers, and were released after serving their sentences in the Zionist colonial prisons, or through special court decisions, or an exchange deal. Thirteen interviews were conducted with selected Palestinian female detainees who have not previously talked about their political experiences or delved into their details.

The study adopts the oral history approach and the research method of oral narratives’ analysis. The analysis is based on the idea that oral narratives play a role in writing the history of the marginalized actors and their lived history that transcends academic writing. The oral narratives of the marginalized position are in multiple and complex sites and allow researchers to understand the experiences and their major and minor vibrant details.

The analysis is based on different axes including the occurrence of the arrest as linked to the surroundings, those who witnessed the arrest and those who practiced the arrest, the family, the officers and interrogators, the women in prison, and communicating with people abroad. Also examined are the expectations, obsessions, thoughts and feelings of the female detainee while in detention, how the arrest event appeared in the prisoner's narrative from the first moment of detention to the moment of release, considering that the arrest event consists of multiple parts. Each part is an issue, and each issue contains a set of voices. The author also studied how the manner in which the arrest occurred affected the decision of the detainee to return (or not) to political life after release from detention, and how it affected the detainee's ability to tell her political experience and its major and secondary details, those important and not important, without feeling either ashamed or afraid that what she was exposed to during the detention period would have repercussions that could lead to re-arrest, or an unwillingness to employ her in an institution especially the institutions that receive external funding, or even the loss of her job if she freely disclose her political opinion, or her factional affiliation, or even her ability to freely choose her partner.

The study reached six main conclusions:

The first conclusion concerns the temporal context of the detention experience. This dimension showed the difference in the depth of the popular solidarity during the period before and after the Oslo accords. The accounts displayed the depth of the popular solidarity with the detainees before the Oslo accord and how it faded or weakened after the Oslo accord.

The second conclusion concerns the mechanisms of colonial domination through the multiplicity of the tools of subjection exercised on the body of the female detainee, by exploiting the local culture.

The third conclusion appears in the form of a counter- revolution to the mechanisms of control, which are the mechanisms of resistance. These mechanisms appear during the imprisonment phase, considering that the place and policies in the colonial detention center are divided into groups of units, each unit operating within a different mechanism that has one goal in mind: to break the resistance.

The fourth conclusion concerns the new struggle after the detainee's release in which the detainee becomes eager to reintegrate into the social life of the community. During this period the detainee finds herself subjected to the surveillance by the small circle of family and by the largest circle of the intelligence services of the PA and the colonial authority.

The fifth conclusion shows that the detention system is entirely based on the principle of deprivation. It also shows that the detainees respond to this principle through solidarity that enable them to overcome the individual pain that melts through collective solidarity. Hence, the relationships based on pain become stronger than relationships built in normal conditions.

The sixth conclusion comes to confirm that the female detainees are not legends, they are human beings with feelings, emotions, longings and torment.

المقدمة

تأسس المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين على أسطورة "أن فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض"، وهدف منذ البداية إلى السيطرة على البلاد وطرد سكانها منها، وقد تحقق له جزء من ذلك مع نكبة العام 1948، ثم لاحقاً نكسة العام 1967، ليقوم بعد ذلك بتأسيس نظام استعماري قائم للسيطرة على الأرض وتكوين معازل بشرية للسكان الأصليين الفلسطينيين (أبو عطوان 2007)، واستخدام كافة الوسائل للسيطرة عليهم ومنع مقاومتهم، وشكل الأسّر السياسي أحد أهم هذه الوسائل.

وقد استطاعت النساء الفلسطينيات منذ فترة مبكرة بلورة وعي سياسي لمقاومة هذا الاحتلال، نتج عنه ممارسة فعلية على أرض الواقع، قادت في أحيان كثيرة إلى اعتقال الكثير من تلك النساء، وتعرضهن لأبشع حملات التنكيل والتعذيب في السجون الصهيونية، وقد بقيت تجارب هؤلاء النسوة تجارب مهمشة، ولم تأخذ حقها بالاهتمام والبحث في النصوص التاريخية، التي ركزت على حدث الأسر نفسه، وتاريخ نشوئه ونخبه السياسية، بعيداً عن معاناة وتجربة مهمشي هذا التاريخ، الأفراد العاديين، الذين بقيت تجاربهم في حالات كثيرة تجارب منضوية في ذاكرة هؤلاء الأفراد.

إن تلك التجارب، هي تجارب تقع ضمن الذاكرة المقموعة أو المكبوتة، ذاكرة من طواهم النسيان، ذاكرة معذبين ومستضعفين في حروب استعمارية أو فترات اضطهاد، ذاكرة مهمشين في سجون أو منفيات أو معتقلات، هذه التجارب المنضوية في الذاكرة هي التي تقع ضمن دائرة تركيز الرواية الشفوية (كوثراني 2015، 18).

تسعى هذه الدراسة إلى استخدام حقل التاريخ الشفوي الذي يحيلنا إلى وسيلة البحث، وهي الرواية الشفوية في الحصول على تجارب المعتقلات الفلسطينيات اللواتي تعرضن للاعتقال في السجون الصهيونية.

تنبع أهمية ذلك بأن ما نحصل عليه من خلال هذا المنهج يلعب دوراً مهماً في كتابة رواية منسيي التاريخ المهمش، ذلك "التاريخ الآتي من القاع"، الذي يركز على بسطاء الناس ومهمشيهم (غيلوفي 2015، 250)، راصداً بذلك وقائع وحوادث، وهذا ما جعل البعض يصفونه بأنه تاريخ حي، حيّ بمعنى أن هذا التاريخ الواقع في الزمن الماضي هو حالة بنيوية مستمرة، بالتالي هو ليس حدثاً مجرداً وقع في الماضي وانتهى، إنه حي بذلك "الخيط" الذي يربط الماضي بالحاضر والمستقبل، بحيث يصبح الواقع اليوم مبنياً على ما حدث في الماضي، ولا يمكن فهم الحاضر والمستقبل بدون العودة إلى ذلك الماضي وحيثياته، التي تظهره رواية هؤلاء الذين عايشوا الحدث وتفاصيله.

تركز أهداف هذه الدراسة على محاولة الإصغاء لأصوات المعتقلات الفلسطينيات بآلامها وأوجاعها واختناقاتها وأسرارها، الإصغاء لهذه الأصوات المغيبة التي تعاني من القمع بشقيه الاجتماعي والسياسي، والقمع الاستعماري، والاختزال الصوتي، وذلك بالاعتماد على روايات المعتقلات أنفسهن وعن تفاصيل تجاربهن، قبل الاعتقال، مروراً بحدث الاعتقال، وانتهاء بالعودة إلى الحياة الاجتماعية والسياسية بعد الخروج من المعتقل.

تنطلق فرضيات الدراسة أولاً بأن التمرد والخروج عن النمط يأتي من قبل المهمشين، وهنا في الدراسة يكون التركيز على هؤلاء الذين يعانون من التهميش المركب، كتهميش إجتماعي وسياسي من قبل مجموعة من الدوائر التي تبدأ من العائلة وصولاً إلى النظام السياسي، والقمع الاستعماري الذي يتمثل بالسلطة الاستعمارية الصهيونية على الأرض، والاختزال الصوتي الذي يقوم على محاولة اختزال أصوات المعتقلات بصوت واحد أو أكثر ممن يقعون في دائرة قيادة الحركة المعتقلة خارج السجن، ثانياً إن هؤلاء المهمشين قادرين على تجاوز

الخطاب المهيمن والتمرد عليه في سياق تهميشهم، سواء بوعي أو بدون وعي، وهو عكس ما قالته غايرتري سبيفاك بأن المهمش غير قادر على التحدث إلا من خلال الخطاب المهيمن (Spivak 1994)، ويتلاقى مع ما قالته طوني موريسون بأنه يستطيع الرواية من خلال الذاكرة (Morrison 1995)، ثالثاً إن هؤلاء المعتقلات لا يقعن في عالم الأسطورة، والفقاعة الكبيرة، ولا يرفع هذا البحث قيمة البطولة ويضعها فوق الإنسانية، إن هذا البحث يفترض بأن لتجربة الإعتقال ارتدادات جسدية ونفسية على المعتقلة، يجب أن نتعامل معها.

تشتمل هذه الدراسة على سبعة فصول:

الفصل الأول، يركز على تناول إشكالية الدراسة ومنهجيتها ويتضمن عرضاً لإشكالية وأهداف وأهمية الدراسة، ومنهجية الدراسة.

الفصل الثاني: يتضمن شرحاً مفصلاً للإطار التحليلي الذي تقوم عليه هذه الدراسة.

الفصل الثالث: يتضمن مراجعة لأدبيات حول موضوع الدراسة..

الفصل الرابع: تناول هذا الفصل رواية المعتقلات الفلسطينيات لتجاربهن ما قبل مرحلة الاعتقال، بحيث جاء هذا الفصل في قسمين: الأول جرى فيه مناقشة السياق العام للفترة التي جرت فيها عملية الاعتقال، فيما ركز القسم الثاني على واقع عملية الاعتقال.

الفصل الخامس: تضمن هذا الفصل نقاشاً حول رواية المعتقلات لتجاربهن أثناء الاعتقال، بحيث جاء هذا الفصل في أربعة أقسام رئيسية، ركز القسم الأول فيه على التحقيق كآلية استعمارية وذلك من خلال وصف التحقيق، واستهداف الجسد "استباحته"، المحقق وشخصياته المتعددة، الخروج من التحقيق، مكملات التحقيق، فيما تناول القسم الثاني الحيّز المكاني في المعتقل الاستعماري وذلك من خلال وصف الحيّز المكاني، الهوية الفصائلية في هذا الحيّز المكاني، التحديات داخل هذا الحيّز، القسم الثالث حلل آليات الصمود في داخل هذا

الحيز المكاني من خلال نقاش آليات الصمود: الصمود أثناء التحقيق، الصمود داخل غرف المعتقل، الصمود المستمد من الخارج، الصمود لتحقيق نضالات مطلبية وسياسية، أما القسم الأخير في هذا الفصل فتناول موضوع الإضرار بالأمن "الإسرائيلي" ما بين التهمة والحكم، والبوسطة "رحلة العذاب.

الفصل السادس: تناول النضال الجديد للمعتقلات من خلال اللحظات الأولى التي رافقت الإفراج، وداع أصدقاء المعتقل، الطريق إلى البيت، إعادة الاندماج في الحياة، المعتقلة بين فكّي الرقابة المحلية والرقابة الاستعمارية، أما القسم الثاني من هذا الفصل فتناول وصف المشاركات لتجاربهن، والمؤثرات في هذه الرواية.

الفصل السابع: تضمن عرضاً لأهم الاستنتاجات والمخرجات.

الفصل الأول

إشكالية الدراسة ومنهجيتها

يستعرض هذا الفصل أهمية وأهداف الدراسة التي تسعى إلى سد الفجوة المتمثلة في إشكالية الدراسة، ويطرح الفصل المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها الدراسة في تحليل معطياتها بناء على الأطر النظرية والأدبيات، كما يستعرض الفصل مجتمع الدراسة وعينة البحث وطريقة اختيار المشاركات في الدراسة وموقع الباحثة وآلية الدراسة.

القسم الأول:

إشكالية الدراسة:

تشكل هذه الدراسة محاولة لإخراج أصوات المعتقلات الفلسطينيات في المعتقلات الصهيونية بآلامها وأوجاعها وأسرارها التي تريد البوح بها، إخراج هذه الأصوات، وذلك بالاعتماد على روايات المعتقلات عن تفاصيل تجاربهن قبل الاعتقال مروراً بحدث الاعتقال نفسه والذي يشكل حدثاً مركزياً في التجربة برمتها، وانتهاء بالعودة إلى الحياة الاجتماعية والسياسية بعد الخروج من المعتقل. ذلك لأن الدراسات التي تناولت حدث الأسر ركزت بالدرجة الأساسية على الجوانب القانونية والنفسية والاجتماعية للمعتقلة، وجاءت في مجملها إما من مؤسسات رسمية حكومية، أو من مؤسسات غير حكومية، مستخدمة لغة "الخبير"، الذي تحدث عن هذه التجارب بمفاهيم ومصطلحات تحمل بداخلها خطاب محدد. أما في الحالات التي فسح فيها المجال أمام رواية المعتقلات، فقد تم إعادة صياغة هذه الروايات باللغة العربية الفصحى، وإدخال التعابير اللغوية الجميلة والمؤثرة عليها. إن الباحثة في هذه الدراسة لا تحاول تمثيل هؤلاء المعتقلات، ولا تحاول الحديث عنهن مستخدمةً لغة "الخبير"،

إن الباحثة في هذه الدراسة تسعى إلى تناول هذه الأصوات المغيبة التي تعاني من التهميش المتعدد بشقيه السياسي والاجتماعي، القمع الاستعماري، والاختزال الصوتي، بأصواتهن هنّ كما جاءت بلغتها العامية، ولتحقيق ذلك فإنها تقوم بتغيير زاوية المعرفة، والانتقال من الوقوف في المركز إلى داخل الهامش، تنتقل اليهن، تقف بينهن، تتناقش معهن، ثم بعد ذلك تحاول أن تحلل هذه الأصوات كما جاءت في أصلها، مستخدمةً في ذلك النظرية في محاولة فهم وتفسير ما خرج من هذه الأصوات، والتي من شأنها أن تقدم لنا تلك المعارف المقموعة، المعارف التي تقع خارج المركز، ومحاولة فهم الحدث نفسه وما الذي أدى اليه، وما الذي سيترتب عليه.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية دراسة الرواية الشفوية للمعتقلات الفلسطينيات ليس فقط في الجانب التوثيقي، بل الوقوف على التصورات والروايات التي تقدمها "الأسيرات" عن حدث الأسر، وبالتالي فإن التعامل مع هذه الروايات ليس فقط باعتبارها "حقائق"، بل يتم التعامل مع التفسيرات التي تعطيها هذه الروايات للحقائق، هذه الحقائق التي تتمحور حول "ماهية الحدث بلسان من عايشوه وليس من كتبوا عنه، وهنا الحقيقية بلسان المرأة"، إن فكرة الحقيقة بلسان امرأة تتمحور حول الحقيقة التي تراها هذه المرأة وهنا "المعتقلة"، وليس كل ما تقوله المرأة "المعتقلة" هو كامل الحقيقة، فلا أحد يمتلك الحقيقة بكل أبعادها وزواياها، ذلك لأن فكرة امتلاك الحقيقة فكرة مرفوضة بالعلوم الاجتماعية، نحن نقول جزء من الحقيقة، وهذا الجزء هو الجزء الذي سلطت عليه المعتقلة الحديث، هو الجزء الذي تحدثت عنه باستفاضة، هو الجزء الذي رأت أنه يحمل معاناتها بوعي أو بدون وعي، هذا الجزء هو ما تسعى الدراسة خلفه.

أضف إلى ذلك أن هذه الروايات قدمت لنا مجموعة من المشاهد الصوتية الصوريّة، وذلك من خلال التفاصيل التي تتناولها هذه الروايات، هذه التفاصيل التي يتعذر علينا إيجادها في حيّز آخر، إنها التفاصيل التي تحتوي بداخلها على رواية الأفراد لمعاناتهم من جراء هذا الحدث، وسبل صمودهم ومحاولة تغلبهم على أوجه المعاناة. صحيح أن الرواية الشفوية هي الأكثر عفوية وصدقاً وقرباً من الواقع، إلا أننا لا ندعي أنها تمتلك الحقيقة، بل ندعي أنها تمتلك جزء الحقيقة، الذي تراه كل مشاركة.

مساهمة الدراسة:

الكثير من الأدبيات تناولت موضوع الأسرى والأسيرات الفلسطينيات، جاء مجملها من مؤسسات تعنى بشؤون الأسرى. لقد تبين بعد الاطلاع على هذه الأدبيات أن القسم الأكبر منها تبنى خطاب محدد، حاول من خلاله إنتاج معرفة محددة، مستخدماً في ذلك مفاهيم ومصطلحات، حملت لغة "الخبير"، فكان هناك خطاب حقوق الإنسان، والخطاب القانوني، والخطاب النفسي، والخطاب الاجتماعي...الخ، إن كل معرفة أُنتجت من كل نص من هذه النصوص كانت عبارة عن خطاب حمل بداخله ممارسات قوة، جاءت من المصدر الذي تبنى هذا النص وقام بتمويله في بعض الأحيان. قسم آخر من الأدبيات حاول تناول هذه الروايات من خلال إعادة صياغتها بتحويلها من لغتها العامية الأصلية، إلى اللغة العربية الفصحى، والتلاعب بمفرداتها، بحيث حملت هذه المفردات الجديدة في داخلها شعوراً مؤثراً جعلتنا نتعاطف مع هذه التجارب من ناحية، أو تمجيدها من ناحية أخرى، دون محاولة تحليل وتفسير هذه التجارب والأبعاد التي حملتها نظرياً.

تتجلى مساهمة هذه الدراسة في أن الباحثة لا تتبنى أن نوع من أنواع الخطاب، فهي ليست مع خطاب حقوق الإنسان، أو الخطاب القانوني، أو الخطاب النفسي، أو خطاب الضحية والجلاد، أو خطاب التمجيد، ولا تحاول الباحثة من خلال الحصول على هذه الأصوات، إعادة صياغتها، لغرض التعاطف معها أو تمجيدها،

إنما ما تسعى له الباحثة هو محاولة الحصول على هذه الأصوات، ووضعها كما جاءت بلغتها الأصلية، ثم محاولة تحليل هذه الأصوات من خلال ربطها بالنظرية، بحيث تأتي النظرية كمحاولة لفك القضايا والدلالات التي حملتها هذه الأصوات، والتي من شأنها أن تخرج هذه المعارف المقموعة، المعارف التي تأتي من الهامش، وتبتعد عن المركز.

إن الباحثة وفي سبيل الحصول على هذه الأصوات، تتخذ لها زاوية مغايرة جديدة، إنها الزاوية التي انتقلت فيها من المركز الذي يحاول أن ينتج خطاب محدد يكرسه النظام "الأنا"، إلى الهامش الذي يحمل بداخله المعارف المقموعة، أصوات هؤلاء المشاركات في الدراسة. إننا في هذه الدراسة لا ندعي أننا نريد الحصول على الحقيقية الكاملة، ولكننا نريد أن نحصل على أجزاء الحقيقة التي تراها هؤلاء المعتقلات بلسانهن هن كما جاءت، وليس بلسان "الخبير" الذي يتحدث عنهن، بحيث يصبح كل جزء من هذه الحقيقة هو قضية، قضية تحمل بداخلها أصوات متعددة، وكل صوت يحمل بداخله الكثير من التفاصيل.

إن زاوية المعرفة الجديدة أتاحت للباحثة تناول الأصوات التي تقع خارج نطاق قيادة الحركة الأسيرة خارج السجن، إنها القيادة التي تقف كحلقة وصل بين الناس وبين من عايشوا هذه التجربة ومن يحملون معاناتها بأصواتهم المتعددة، إنهم من يجيدون الوقوف أمام الكاميرات ومكبرات الصوت، يحرصون على سلامة لغتهم، وعباراتهم الثورية القوية، التي تستدعي في كل مرة المديح والتصفيق، مختزلين في ذلك تلك الأصوات الكثيرة العفوية، التي لا تستطيع أن تتحدث عن تجربتها ضمن نسق نضالي محدد المفردات والمصطلحات، إنهم الذين يتحدثون بانسيابية وسلاسة وتداخل، إنها الكلمات التي تحمل بداخلها حقيقة التجربة التي تراها هؤلاء المشاركات دون محاولة التمثيل والمجاملة، إن هذا البحث يذهب إلى أصوات هؤلاء، أصواتهم المتعددة، تلك الأصوات التي تبوح عن معاناتها بنفسها، إنهم من يعانون من التهميش المتعدد. إن الباحثة بانتقالها إلى جانب هؤلاء

المعتقلات، وفسح المجال لأصواتهن، لا تدعي أنها أصبحت مثلهن، إلا أنها تشعر بأن هذه الأصوات المقموعة هي ما يستهويها في الدراسة، إنها الأصوات المتعددة.

إن هذه الأصوات تظهر كمجموعة من أجزاء متعددة، يصبح فيها كل جزء قضية، فعملية الاعتقال قضية، والتحقيق قضية، واستهداف الجسد قضية، والمحقق قضية، والمكان قضية، والهوية الفصائلية قضية، الفرز السياسي قضية، والصمود بأنواعه قضية، والتهمة قضية، البوسطة قضية، الكنتين قضية، أصدقاء المعتقل قضية، الخروج من المعتقل قضية، النضال الجديد قضية... الخ، إن هذه الدراسة تبحث في هذه الأجزاء المتعددة التي حمل كل جزء فيها أصوات متعددة، وعبر كل جزء فيها عن قضية مختلفة، تكاملت هذه القضايا مع بعضها البعض لصالح منظومة واحدة وهي المنظومة الاستعمارية التي تسعى إلى إنهاء الوجود الفلسطيني في الأرض، بحيث يشكل الأسر السياسي أحد هذه الوسائل لإنهاء الوجود الفلسطيني، عن طريق منع مقاومته، هدفاً لتحقيق المشروع الاستعماري الصهيوني على الأرض الفلسطينية.

أما المساهمة الأخرى التي يدعيها هذا البحث، فهي تناول هذه الأصوات المتعددة بمراحلها الثلاث، دون محاولة التركيز على حدث الأسر كحدث مركزي ومجرد من كل شي قد سبقه وأدى اليه، أو تبعه بعد الخروج من المعتقل، صحيح أن هذه الدراسة تعتبر أن حدث الاعتقال هو الحدث المركزي، إلا أنها تعتبر بأن هذا الحدث مرتبط بأحداث سبقته، شكلها الواقع السياسي العام الفلسطيني، وأحداث تبعته لا تقل ضراوة عن تجربة الاعتقال، إنها النضال الجديد بعد الخروج. إن الباحثة تحاول أن تقدم للقارئ هذه الأصوات وذلك بمراحلها الثلاث، مرحلة ما قبل الاعتقال، مرحلة الاعتقال، ما بعد الاعتقال.

سؤال البحث:

ما الذي تعكسه أصوات المعتقلات الفلسطينيات أثناء روايتهن لتجاربهن السياسية في سياق تهميشهن المتعدد؟

تساؤلات الدراسة:

تركز الدراسة بشكل أساسي على روايات المعتقلات الفلسطينيات لتجاربهن السياسية في سياق تهميشهن المتعدد بين أعوام 1985–2019، وذلك بالتركيز على:

1- كيف تعرف المعتقلة السياسية نفسها من حيث:

- نشوء بوادر الوعي السياسي لديها
- دور الممارسات العملية على أرض الواقع في التوجه نحو العمل المقاوم.

2- كيف وقع حدث الاعتقال، بربط ذلك مع المحيط الذي شهد ومارس عملية الاعتقال، الأهل، الضابط والمحقق، المعتقلات في السجن، والتواصل مع الناس في الخارج؟

3- ما هي توقعات وأهاجيس وأفكار ومشاعر المعتقلة أثناء الاعتقال؟

4- ما هي الوسائل التي استحدثتها المعتقلات للتغلب على السياسات الاستعمارية داخل المعتقل؟

5- كيف أثر حدث الاعتقال على قرار المعتقلة بالعودة للحياة السياسية بعد الخروج من السجن؟

6- ما هي المحفزات والمعيقات التي واجهتها المعتقلة السياسية أثناء محاولتها الإندماج في الحياة الاجتماعية والسياسية مرة أخرى؟

7- رواية المعتقلة لتجربتها بعد الخروج من المعتقل من خلال:

- قدرة الأسيرات على رواية تجاربهن السياسية دون خوف أو خجل.
- قدرة المعتقلة على التفاعل والعودة إلى الحياة بصورة طبيعية.

- موقف المعتقلة من العودة للحياة السياسية التي قد تعرضها للاعتقال مرة أخرى.

القسم الثاني:

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة منهج البحث الكيفي وتحديداً حقل التاريخ الشفوي الذي يحيلنا إلى وسيلة البحث وهي الرواية الشفوية في الحصول على الروايات.

إن استخدام منهج البحث الكيفي يتيح للباحثة الدخول في عمق الظاهرة ودراستها وتحليلها وتحقيق التفاعل المطلوب بين الباحثة والمشاركات في الدراسة، بحيث يشكل هذا التفاعل جانباً مهماً لدى الباحثة في تحليل المعرفة التي حصلت عليها من خلال تفاعلها مع المشاركات في البحث، كما أن توجه الباحثة لاستخدام التاريخ الشفوي جاء نتيجة لتعدد مصادر الحصول على المعلومات والبناء عليها منذ النصف الأول من القرن العشرين، وذلك للحصول على تاريخ المهمشين والمنسيين، بعد أن كان البحث التاريخي يركز على الحدث نفسه، معتمداً على الوثيقة المكتوبة لفترة طويلة (كوثراني 2015، 17). يعرف التاريخ الشفوي بأنه " تسجيل ذكريات الناس وتجاربهم في الماضي القريب بطريقة تختلف عن المادة المكتوبة، معتمداً على المحادثة المنضبطة بين شخصين، وتتخذ المحادثة شكل المقابلة، وللمقابلة عدة مكونات هي: المقابل، والراوي، والأسئلة، ووسائل التسجيل، (غيلوفي 2015، 247). أما عطوف الكبير فيعتبر أن التاريخ الشفوي فرع من فروع التاريخ الذي أصبح فيما بعد علماً، وهو الذي يحيل إلى الرواية الشفوية التي تعتبر مصدراً من مصادر التاريخ، وتنقل من جيل إلى جيل عن طريق الرواية، وليس عن طريق الكتابة (الكبير 2015، 93). إن للتاريخ الشفوي دور مهم في البناء التاريخي من خلال سد فراغات التوثيق، وتحفيز الأشخاص الذين عايشوا الحدث على البوح بشهاداتهم، الأمر الذي سيساهم في الكشف عن جوانب مظلمة في حياة هؤلاء المعتقلات، والتركيز على الأفراد كصانعين

للحدث، وليس على الحدث ذاته، بل على التجربة نفسها، تجربة المعتقلات الفلسطينيات في السجون الصهيونية، وكيف تقوم هؤلاء المعتقلات برواية هذه التجربة، فالتشديد هنا سيكون على الفاعلين وليس على الحدث نفسه.

قامت الباحثة في هذه الدراسة بالاعتماد على أسلوب المقابلات المعمقة لعينة البحث المتاحة للمعتقلات الفلسطينيات اللواتي تعرضن للتحقيق والاعتقال في السجون الصهيونية، تسرد من خلالها المعتقلات روايتهن من خلال ثلاثة مراحل، مرحلة ما قبل الاعتقال، ومرحلة الاعتقال، ومرحلة ما بعد الاعتقال.

ركزت الباحثة في الاختيار على المعتقلات اللواتي لا يسمع صوتهن، والمعتقلات اللواتي لا يملكن القدرة على وضع تجاربهن على الورق، ولكنهن بالتأكيد يستطعن الحديث عن هذه التجارب بكل ما فيها من تفاصيل مختلفة، يأتي ذلك في سياق التهميش المتعدد الذي تعاني منه المعتقلات، تهميشهن أولاً كنساء يعانين من القمع السياسي والاجتماعي في مجتمعهن الفلسطيني، الذي يحاول أن يبقيهن ضمن الصورة النمطية للمرأة، والتي تركز على أن المرأة مكانها في المجال الخاص بصورة أساسية، وليس في المجال العام، وهنا المجال السياسي بصورة أساسية كنساء لهن الحق في المشاركة في النضال الوطني الفلسطيني كمقاومات بصورة أساسية، بمعنى خروجهن من الدور اللوجستي الداعم إلى الدور المقاوم الفعلي على الأرض، ثانياً تهميشهن من خلال القمع الاستعماري الذي يحاول السيطرة على مقاومتهن هذه في حالة خروجهن من المجال الخاص الذي رسم لهن، عندئذ تصبح فيه أجساد هؤلاء النساء عرضة للسيطرة الاستعمارية التي تحاول أن ترسم ملامح سياساتها الاستعمارية العنيفة على هذه الأجساد، مستغلة القيم الثقافية المترسخة في المجتمع الفلسطيني، والتي تتمحور في مجملها حول حساسية الجسد، كجسد يبني نفسه على قيم متعلقة بالشرف والضعف، فيحاول المستعمِر استغلال هذه الاسقاطات الثقافية على هذا الجسد، ثالثاً التهميش الذي يأتي من خلال الاختزال الصوتي للأصوات المتعددة في الصوت القيادي الواحد، الذي يملك القدرة والإمكانية للحديث عن هذه التجربة.

إن هذه الدراسة تتوجه إلى هؤلاء المهمشين، الذين بقيت أصواتهن طيّ الكتمان، إلى تلك الأصوات الكثيرة المتناثرة، إنهم مهمشو المهمشين.

الرواية الشفوية أداة البحث الرئيسية:

تقوم فكرة استخدام الرواية الشفوية على أن كتابة أحداث التاريخ ركزت بالدرجة الأولى على كتابة تاريخ النخب السياسية، إذ دار بحث التاريخ لعقود طويلة حول السادة والملوك والفتوحات والحكام والانقلابات العسكرية، وهو ما يعتبره عباس الأمين امتداداً لكتابة التاريخ من منظور استعماري (الأمين 2015)، أضف إلى ذلك أن المؤرخين سعوا بحثاً عن الوثيقة، لأن التاريخ لديهم مشروط بالقراءة والكتابة، ناسين أو متناسين تاريخ المهمشين، وهم الناس العاديين، الذين لا يملكون أرشيفات لتجاربهم. تأتي الرواية لفسح المجال لأصواتهم إذ ترى عطوف كبير بأن الرواية تعطي فرصة للرواة من أجل التعبير عن مشاعرهم وإحباطاتهم ورصد تصوراتهم عن عالم يعيشون فيه دون أن يتحكموا به (كبير 2015).

كما أن للرواية الشفوية مميزاتها، التي تجعل منها مصدراً مهماً، من خلال ما يتوفر فيها من عناصر، أولاً: المعلومات التي يحصل عليها الباحث من الرواية الشفوية، والتي تزوده بمعلومات لم تكن لتخطر على باله، ثانياً: تكشف للباحث على جوانب من الصفات الشخصية للأفراد، ثالثاً: يشعر الأفراد المقابلين بمكانتهم، وبدورهم الذي قاموا به، من خلال تلك الأحداث التي يتكلمون عنها. رابعا: المقابلة التي ترتكز عليها الرواية الشفوية وسيلة مهمة للرواة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة (عثماني 2013،3).

إن توجه هذه الدراسة نحو الرواية الشفوية للمعتقلات الفلسطينيات تهدف إلى سماع صوت مهمشي تاريخ المقاومة، وهن المعتقلات الفلسطينيات، إن هذا التوجه من شأنه تخطي الجانب التوثيقي فقط، والوقوف على التصورات والمشاهد التي تقدمها أصوات المعتقلات أنفسهن عن تجاربهن.

"العينة" المشاركات في الدراسة:

"العينة" هي "عينة" قصدية تمثيلية لمجتمع الدراسة، وهو مجتمع المعتقلات الفلسطينيات، وقد تم اختيار المشاركات في الدراسة عن قصد. تم الوصول للمشاركات أولاً من خلال معرفة الباحثة الشخصية ببعض المشاركات، وثانياً من خلال أسلوب " كرة الثلج"، استطاعت الباحثة من خلال هذا الأسلوب من بناء علاقة قوية ومتينة مع المشاركات، واللقاء معهن في أكثر من موقع، وهو ما يدعم توجه الباحثة في تبنيها لزاوية المعرفة، الانتقال والوقوف بين هؤلاء المشاركات، واتخاذ موقف ملتزم من تجاربهن. إن هذا التوجه كان عاملاً مساعداً في إخراج المشاركة من حاله أشبه بـ"عالم الصمت"، وذلك خوفاً من الثمن الذي قد تدفعه اجتماعياً، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعض هؤلاء المعتقلات هنَّ أمهات، تركن أطفال لهن خارج المعتقل، وأصبحت تجربة الاعتقال بالنسبة لهن رهاباً يواجهنه، فيما أن بعض المشاركات الأخريات هن "موظفات"، وبالتالي يقعن تحت منظومة رقابة إدارية، قد تهددهن "للفصل"، الذي يأتي على صيغة لم يعد وجودك في المؤسسة ضرورياً لعدم وجود مهام تقومين بها، مشاركات أخريات باحثات عن عمل يواجهنَّ إشكالية في قبولهن للعمل في المؤسسات غير الحكومية، والتي يتلقى أغلبها تمويلاً خارجياً، على اعتبار أنه محل "شبهة" بالنسبة للممولين، وفي حالات المؤسسات الحكومية، فإنهن يتعرض للفحص الأمني، ويتم التعامل معهن وفقاً لانتمائهن الفصائلي والحزبي في التوظيف سواء في الضفة أو في القطاع.

إن التغلب على كل هذه العقبات التي ذكرت، جاءت من خلال العلاقة التي طورتها الباحثة مع هؤلاء المشاركات، من خلال اللقاءات العديدة التي جمعتها بهن، ساهم هذا في طمأنة المشاركة بأنها لن تكون عرضة لأحد من هذه "التهديدات"، نتيجة روايتها هذه، وبأن روايتها التي تقدمها، هي لغاية الدراسة البحثية فقط.

تم إجراء ثلاثة عشر مقابلة مع معتقلات فلسطينيات، تم حكمهن بفترات مختلفة أدناها ثلاث شهور وأقصاها 25 عاماً، من مختلف التنظيمات الفلسطينية، بعضهن من لها انتماء فصائلي، والبعض الآخر ليس لها أي انتماء، منهن من تم الحكم عليها على خلفية قضية أو تم الحكم عليها إدارياً، معتقلات ما قبل فترة أوسلو وما بعدها، شملت المقابلات معتقلات قاصرات، غير قاصرات، متزوجات وغير متزوجات.

تم إجراء المقابلات مع المشاركات في الدراسة في الفترة الواقعة ما بين (2018/12/10– 2019/2/30)، واستهدفت هذه الدراسة منطقة الضفة الغربية "المدينة والقرية والمخيم".

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من نسوة عايشنَّ الاستعمار الصهيوني، وتعرضنَّ للاعتقال السياسي، الذي أخذ يظهر بشكل جلي وواسع بعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع في العام 1967، حيث تفيد هيئة شؤون الأسرى بأنه تم تسجيل أكثر من 15 ألف امرأة وفتاة (هيئة شؤون الأسرى، ٢٠١٧). مثل المعتقل الصهيوني الوسيلة الأهم التي لجأت لها الصهيونية لإنهاء دور الفاعل الأهم في السياق الاستعماري الفلسطيني، وهو دور "المقاوم"، بحيث أصبح هذا المقاوم هدفاً للسلطات الاستعمارية نتيجة المقاوم زعزعة المفهوم الوجودي للمشروع الصهيوني.

تكون مجتمع الدراسة من النساء اللواتي تم اعتقالهن، من قبل قوات الجيش الصهيوني بادعاء نشاطهن السياسي الذي يضر فيما يعرفه المستعمر بـ" أمن إسرائيل"، وقد وافقن على إجراء المقابلات المعمقة لغرض الدراسة والبحث، وتعرضن للاعتقال السياسي بين أعوام 1985–2019، تم الإفراج عنهن بعد قضاء محكوميتهن في السجون الاستعمارية الصهيونية، أو من خلال محكمة الثلث، أو صفقة تبادل– شاليط، وممن لم يسبق لهن الحديث عن تجاربهن السياسية أو الخوض فيها بتفاصيلها.

المعتقلات المشاركات في الدراسة:

شملت الدراسة إجراء مقابلات مع ثلاثة عشر معتقلة فلسطينية وهن:

- (ن.و): 48 عاماً، متزوجة، لاجئة من قرية عنابة قضاء الرملة، تسكن في مدينة بيتونيا، من تنظيم أبو جهاد خليل الوزير، اعتقلت بتاريخ 1986/6/4، وأطلق سراحها في 1989/6، أصدر بحقها حكماً مدته 21 عاماً وهي تبلغ من العمر 15 عاماً، قضت منهن ثلاثة أعوام في المعتقل في الفترة الواقعة بين أعوام 1986–1989، تنقلت بين مركز توقيف المسكوبية، ومعتقل رام الله مكان المقاطعة الآن، جرت مقابلتها يوم الإثنين بتاريخ 2018/12/10 في منزلها ما بين الساعة 6:30 مساءً وحتى الساعة 10 مساءً.
- (آ.ر): 62 عاماً، متزوجة، تسكن في مدينة رام الله، من تنظيم الجبهة الديمقراطية، التحقت للدراسة في جامعة بيروت، إلا أنها لم تكمل دراستها حيث منعت من السفر في عام 1982، مدربة نقابية في قوانين العمل، وقانون الضمان الاجتماعي، وتمكين المرأة في النقابات العمالية، تعرضت للاعتقال ما بين أعوام 1991–1993، أصدر بحقها حكماً بالسجن مدته 25 شهراً، قضته في معتقل تلموند، جرت مقابلتها يوم الأربعاء بتاريخ 2018/12/12 في منزلها ما بين الساعة 1 ظهراً وحتى الساعة 4 مساء.
- (ف.ح): 48 عاماً في 2018، عزباء، تعرضت ما بين أعوام 1991–1993، أصدر بحقها حكماً بالسجن مدته سنين ونصف بعد أن ادعت إصابتها بالجنون داخل المعتقل، قضته في معتقل الهشارون، جرت مقابلتها يوم الأربعاء بتاريخ 2018/12/26 في منزل الباحثة ما بين الساعة 11 صباحاً وحتى الساعة 3 عصراً.

- (ز.س): 35 عاماً، متزوجة، تسكن في مخيم الجلزون، لاجئة من قرية سطرية في مدينة الرملة المحتلة، من لحركة حماس، موظفة في جمعية إنعاش الأسرة، وطالبة في برنامج اللغة العبرية في جامعة القدس المفتوحة، تعرضت للتحقيق في معتقل عوفر، جرت مقابلتها يوم الثلاثاء 2019/2/19، ما بين الساعة 11 وحتى الساعة 2 ظهراً.
- (ص.ك): 30 عاماً، مخطوبة للأسير (ج،ع)، تسكن في قرية صفا قضاء رام الله، من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حاصلة على درجة البكالوريوس في الخدمة الاجتماعية من جامعة القدس المفتوحة، وتعمل في إدارة حضانة للأطفال في قريتها صفا، تعرضت للاعتقال بتاريخ 2009/10/25 وأطلق سراحها في 2011/10/18، أصدر بحقها حكماً بالسجن 20 عاماً، و5 أعوام مع وقف التنفيذ، متنقلة بين مُعتقلي الهشارون والدامون، جرت مقابلتها يوم الخميس 2019/2/28 في منزلها في قرية صفا، ما بين الساعة 4 مساء وحتى الساعة 8 مساء.
- (ك.ق): 45 عاماً، متزوجة، تسكن في البيرة، لاجئة من قرية يازور قضاء يافا، تعرضت للاعتقال في 2010/8/1، وأطلق سراحها في 2011/8، حكمت بالسجن 4 شهور إداري، تم تجديده ثلاث مرات، جرت مقابلتها يوم الخميس 2019/2/21، ما بين الساعة 3 ظهراً وحتى الساعة 5:30 مساء.
- (ب.ط): 25 عاماً، عزباء، تسكن في مدينة البيرة، تنتمي لحركة حماس، حاصلة على درجة البكالوريوس في الصحافة والاعلام من الكلية العصرية، تعرضت للاعتقال في عام 2011، وقضت حكماً مدته 16 شهراً، قضته في معتقل الهشارون، أطلق سراحها في صفقة شاليط بعد أن قضت خمسة شهور في المعتقل، وغرامة مالية قدرها 20 ألف شيقل، أعيد اعتقالها مرة أخرى في العام 2014

لاستكمال الحكم الذي صدر بحقها، كما اعتقلت للمرة الثالثة في عام 2018، جرت مقابلتها يوم الثلاثاء بتاريخ 2018/12/11، ما بين الساعة 11 صباحاً، وحتى الساعة 2 ظهراً.

- (هـ.ن): 27 عاماً، عزباء، تسكن في قرية دير قديس قضاء رام الله، حاصلة على بكالوريوس في اللغة العربية من جامعة القدس المفتوحة، وطالبة ماجستير في برنامج اللغة العربية في جامعة القدس/أبو ديس، تعرضت للاعتقال على حاجز نعلين بتاريخ 2011/9/12، وأطلق سراحها في 2011/12/18 ضمن صفقة شاليط، صدر بحقها حكماً بالسجن 27 شهراً، ثم أعيد اعتقالها في 2014/12/10 قضت خلالها سنتين في معتقل الهشارون، جرت مقابلتها يوم الأحد 2019/1/13 في رام الله ما بين الساعة 2 ظهراً والساعة 4 بعد الظهر.
- (ن.ع): 36 عاماً، عزباء، تسكن في مدينة البيرة، لاجئة من قرية المالحة قضاء القدس، مستقلة، حاصلة على درجة البكالوريوس في علم الحاسوب من جامعة أبوديس، والماجستير إدارة أعمال في جامعة انديانا بنسلفانيا ضمن برنامج مشترك مع الجامعة العربية الأميركية، تعرضت للاعتقال في 2015/9/7، وأطلق سراحها 2017/2/9، صدر بحقها حكماً مدته 18 شهراً، وغرامة مالية قدرها 100 ألف شيقل، ووقف تنفيذ لمدة سنة سارية لمدة خمس سنوات من تاريخ الإفراج، قضت فترة الحكم في مركز توقيف الجلمة ومُعتقلي هشارون والدامون، جرت مقابلتها يوم الثلاثاء 2018/12/25 في مقر هيئة شؤون الأسرى والمحررين ما بين الساعة 2 ظهراً وحتى الساعة 4 ظهراً.
- (ج.ق): 22 عاماً، عزباء، تسكن في قرية شقبا غرب رام الله، مستقلة، حاصلة على بكالوريس في الإعلام من جامعة بيرزيت، تعرضت للاعتقال بتاريخ 2015/10/28، وأطلق سراحها في شهر يناير

2016، أصدر بحقها حكماً إدارياً مدته ثلاثة شهور، قضته في معتقل الهشارون، جرت مقابلتها يوم الإثنين 2019/2/18، ما بين الساعة 6 مساء وحتى الساعة 9 مساء.

- (أ.ق): 24 عاماً، عزباء، تسكن في مدينة نابلس، مستقلة، حاصلة على درجة البكالوريوس في تخصص اللغة الإنجليزية من جامعة بيرزيت، تعرضت للاعتقال بتاريخ 2015/12/19، وأطلق سراحها في 2016/3/17، أصدر بحقها حكماً إدارياً مدته ثلاث شهور، قضته في معتقلي الهشارون والدامون، كما تعرضت للإقامة الجبرية مدة ست شهور في نابلس، جرت مقابلتها يوم الأربعاء بتاريخ 2019/1/2، ما بين الساعة 5 مساء وحتى الساعة 7:20 مساء.
- (ت.ح): 17 عاماً، عزباء، تسكن في قرية رمون قضاء رام الله، مستقلة، طالبة في الثانوية العامة، تعرضت للاعتقال في العام 2016، صدر بحقها حكم بالسجن مدته سنة ونصف، قضته في معتقل الدامون، جرت مقابلتها يوم الأحد 2019/2/3، ما بين الساعة 6 مساء وحتى الساعة 8 مساء.
- (م.غ): 16 عاماً، عزباء، مستقلة، تسكن في مخيم الجلزون للاجئين بالقرب من رام الله، لاجئة من قرية العباسية قضاء يافا، تعرضت للاعتقال على حاجز قلنديا بتاريخ 2017/5/20، وأطلق سراحها في 2018/5، أصدر بحقها حكم بالاعتقال لمدة عام، قضته في معتقل الهشارون، جرت مقابلتها يوم الخميس 2019/1/3 في منزلها ما بين الساعة 2 ظهراً وحتى الساعة 5 مساء.

القسم الثالث:

آلية الدراسة وأخلاقيات البحث:

قامت الباحثة بمراجعة الأدبيات التي تناولت جانب الأسر في الحالة الاستعمارية الصهيونية، وذلك في محاولة لمعرفة الجوانب التي تم التركيز عليها في هذه الدراسات، والكيفية التي تناولت فيها هذه الدراسات التجربة

الاعتقالية للنساء على حدة، وقد استطاعت الباحثة من خلال الاطلاع على هذه الأدبيات تحديد الفجوة التي سوف تركز عليها هذه الدراسة، وبالتالي تحديد أسئلة الدراسة بدقة لطرحها على المشاركات في البحث. كما قامت الباحثة في هذا البحث بمراجعة لأهم الأطر النظرية والنظريات التي تناولت جانب الأسر في الحالات الاستعمارية والكيفية التي يتعامل بها المستعمر مع أجساد النساء بصفته رجلاً أبيض مستعمر تارة، وبصفته سجان يمارس سلطته، كما تناولت الباحثة الأطر النظرية ذات العلاقة بوجود المرأة في حركات التحرر الوطني الوطني في دول العالم الثالث، والرواية الشفوية وتاريخ التهميش والمهمشين.

قامت الباحثة بإجراء المقابلات مع المشاركات في البحث بداية من شهر كانون الأول من العام 2018 وحتى آذار من العام 2019، وتم التركيز على منطقة الوسط في اختيار المبحوثين أولاً: لقربها من مكان سكن الباحثة ثانياً: نتيجة للظروف الصحية التي رافقت إجراء هذه الدراسة. تراوحت أعمار المشاركات في البحث بين 17 عاماً و60 عاماً، استمرت كل مقابلة حوالي الساعة تقريباً، تم تسجيل هذه المقابلات على مسجل صوتي، ومن ثم قامت الباحثة بتفريغها حرفياً كما جاءت وإرسال نسخة منها إلى المشاركة في البحث قبل عرضها على مشرفة الرسالة، كما قامت الباحثة بكتابة شرح حول العواطف والأحاسيس والإشارات التي ظهرت في الرواية، وهي التي تستطيع الباحثة وحدها ملاحظتها بدقة لأنها من قامت بإجراء المقابلة وجهاً لوجه مع المشاركة، وشاهدت تعابيرها وعفويتها وانفعالاتها لحظة بلحظة.

أخلاقيات البحث:

التزمت الباحثة في هذه الدراسة بأخلاقيات البحث العلمي، حيث قامت بتزويد المشاركات في البحث بتعريف عن هدف الدراسة والأهمية التي ستضيفها هذه الدراسة ليس فقط لموضوع البحث، وإنما لتعريف الآخرين بجانب آخر من حياة المعتقلات داخل السجون الصهيونية. وفسحت الباحثة خلال هذه المقابلات المجال

للمشاركات بالحديث بالطريقة التي يجدنها مناسبه مع دخول الباحثة في مناقشة معهن في بعض الحالات، إذ كانت المقابلة عبارة عن علاقة ديناميكية تفاعلية. احترمت الباحثة فيها أحاسيس ومشاعر المشاركات في البحث عن الحدث الذي يتحدثن عنه وعن اللحظات التي شكلت لهن ذكرى مؤلمة مثل لحظات التعذيب أو ذكرى سعيدة مثل لقاء الأهل، والتزمت بسرية المعلومات التي قدمت لها في هذه المقابلات عند طلب المشاركة منها بألا تفصح عن هذه المعلومة.

قامت الباحثة بتفريغ هذه المقابلات كما جاءت بصورتها الأصلية، ثم قامت بوضع محاور أساسية، عبّر فيها كل محور عن مرحلة معينة، واحتوى كل محور على مجموعة من الأجزاء، تناول كل جزء فيها قضية محددة. قامت الباحثة بمقاطعة هذه القضايا مع بعضها البعض، وتحليلها من خلال أصوات المشاركات خلال المراحل الثلاث الرئيسية التي تتناولها الدراسة.

موقع الباحثة:

إلى الزمن الذي كم كنت مدينةً له.. حين وقفنا فيه بمحطات قاسية بالكاد ننساها.. أو نتناساها تماشياً مع واقعنا وحاضرنا.. رغبة في المواصلة دون أن ننكسر أو أن تلتهمنا الظروف السيئة.. فراراً من افتراس الأيام الماضية بقسوتها وندوبها وآلامها لأحلامنا وطموحاتنا.. عشتُ وترعرتُ في قرية من قرى غرب رام الله تدعى قرية بيت لقيا، أنهيت التعليم المدرسي من إحدى مدارسها وهي مدرسة بنات بيت لقيا الثانوية في العام 2004، في هذه القرية عشت طفولة كان لها أثراً في اهتماماتي وتفاصيل حياتي.....أصبح مجال اهتمامي يتمحور بشكل أساسي حول المهمشين والمقموعين، أصبحت أجد أن هذا هو المجال الذي أشعر به، إنه يستهويني.. لأنني أجد فيه ماضي وحاضري ومن يشبهوني.. ..إن كل النساء اللواتي مررنَّ في ظروف قاسية في الحياة

السياسية والاجتماعية والاقتصادية يُمثلنني.. هنّ قضيّتي ورسالتي التي أريد أن أوصلها لكل من يقرأ حروفي من ذات الجرح ننطلق وبذلك الأنين نبوح كلنا ونتوجع! إنني أتشارك معهن ذات المعاناة.

حصلت على شهادة الثانوية العامة في الفرع الأدبي، ثم التحقت بعدها للدراسة في جامعة بيرزيت في ذات العام تخصص علم الاجتماع بين أعوام 2004–2008. لقد كان لتجربتي الجامعية أثر كبير في بلورة منهجي الفكري، وأعتبر بأن هذه الفترة من أغنى الفترات التي استطعت من خلالها الاطلاع على الأدبيات والأطر النظرية العالمية والعربية التي ساعدتني في تأطير العديد من القضايا التي يعايشها الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، هذه القضايا التي اكتسبت خصوصيتها من السياق الاستعماري الذي تعيشه فلسطين.

الفصل الثاني

الإطار النظري

في "تجربتي في الكتابة" تقول رضوى عاشور "أنا امرأة عربية ومواطن من العالم الثالث وتراثي في الحالتين تراث الموءودة، أعي هذه الحقيقة حتى العظم مني"، من هنا سأنطلق، من كلمة أعتبرها مفصلية في وصف حالة الرواية عند نساء العالم الثالث هي كلمة الموءودة، هذه الكلمة التي تتضمن بداخلها قدر كبير من القمع والاضطهاد، فقد عانين من ذات الاضطهاد، الاضطهاد الذي خلفته الثقافة المحلية، الاستعمار والامبريالية، والنظام العالمي النيوليبرالي، الأنظمة الديكتاتورية التي أوجدها الاستعمار بعد خروجه.

تعتبر ترينه منه ها بأن رواية القصة أقدم أشكال الإرث التاريخي، واكتسب أهمية كبيرة في الآونة الأخيرة خصوصاً في كتابة النساء الملونات (Trinh 1989)، كنساء مهمشات يقعنَّ في "أسفل السلم الاجتماعي"، يعانين من الثقافة المحلية، من الاستعمار، من مخلفات الاستعمار.

إن توجه نساء العالم الثالث لرواية ما حدث معهن هو بحد ذاته عملية ثورية، وفعل مقاوم تجاه القمع الذي تتعرض له هؤلاء النسوة برفقة هؤلاء الناس الذين يرتبطن بهم، ويتحدثن عنهم، ولده الغضب الايجابي لديهن، وقمن بترجمته الى عملية مقاومة وثورة (Lorde 1984). إنها الإمكانية التي تطرح فيها آسيا جبار الحديث عما جرى في الحرب، وما جرى بعد الحرب لدى النساء(Djebar 1992)، إنها المعرفة التي نتوصل اليها عندما ننتقل من موقع المركز إلى الهامش (Eltit 1997)، إلى المهمشين والفقراء، هذا ما قامت به التيت في روايتها E. Luminata عندما قامت بتغيير زاوية المعرفة، وذلك بذهابها إلى الهامش، إلى المقموعين، إلى من هم خارج النظام، إلى المكان الذي لا تشعر فيه أنها خاضعة، إلى المكان الذي تستطيع فيه إرسال صور

من الهامش إلى المركز، إنها بذلك تكتسب معرفة أخرى، إنها المعرفة التي لا تحكى، المعارف المقموعة التي يريد الأنا "النظام" أن تبقى مقموعة.

إن تغيير زاوية المعرفة، وفتح الباب أمام معرفة جديدة، هو نوعاً من المقاومة، هذه المقاومة التي تأتي من تلك الطاقة الداخلية التي تحتويها المرأة في داخلها (Lorde 1984)، حيث تتحول فيها الراوية إلى فاعل (Morrison 1995, Trinh 1989,Lorde 1984)، تروي فيها التجربة التي عاشتها، أو عايشتها النساء الأخريات، من خلال الحقيقة التي تراها هؤلاء النساء، وليس من خلال الآخر الذي يكتب عنها، محولاً إياها إما إلى ضحية مسكينة تثير الشفقة، فقدت المعيل، أو مستغلاً إياها في الرواية كعنصر جنسي. إن هذا التحول في الدور أوجد للرواية حيزاً للخروج على منظومة مترسخة من القيم الدينية والرقابة الاجتماعية، وإطلاق العنان للحديث عن تلك التجارب، الذي ستكون نتيجته الوصول الى مكان معين (Djebar 1992)، فتوجه الرواية للحديث عن ذاتها (من خلال ما تملكه من ذكريات) عن هؤلاء المقربين سواء من تربطهم بها صلة دم أم لا، وكأنهم صفحة مفتوحة حيث لا أسرار ولا مجاملات ولا تمجيد، يتمثل في مدى مقدرة الرواية على البقاء خارج هذه المنظومة (Anzaldua 1987).

إن أهم ما يميز رواية النساء هي تركيزها على التفاصيل للحديث عن التجربة أو القصة، إنها التفاصيل الصغيرة التي لا ينتبه لها الناس في العادة، وهي الأهم هنا (Morrison 1995)، وتكمن أهميتها في أنها ستوفر لنا إمكانية بناء قصص أو مشاهد من خلال هذه التفاصيل، بالتأكيد هي لن تكون قصة كاملة متكاملة كما قالت موريسون لأنني سأدخل مرحلة التزييف والأكاذيب (Morrison 1995)، وهو ما لا يجب أن يحدث، فالقصة يجب ألا تحتوي على أكاذيب بادعاء امتلاك الحقيقة (Trinh 1989) ، فلا أحد يمتلك الحقيقة، نحن نمتلك أجزاء من الحقيقة، وكل رواية تسلط العدسة على الحقيقة التي تراها الرواية.

إن التوجه لاستنطاق هذه التفاصيل تتيح لنا الحصول على مجموعة من القصص، هذه القصص التي تنقلنا من البيت، إلى الجبال والكهوف والوديان، ما بين القرى والمدن، واضعة إيانا في أزمنة هذه القصص والمشاهد، فعلى سبيل المثال استطاعت سحر خليفة في روايتها "حبي الأول"، أن تبني رواية احتوت بداخلها على العديد من القصص والمشاهد، كما وامتدت لأكثر من زمن (الانتداب البريطاني وزمن الاحتلال الاسرائيلي)، بناء على تفصيل قد يعتبره الكثير تفصيل ثانوي في ظل ظروف الثورة وضياع فلسطين، إنه الحب، ولكنه ليس الحب في الظروف الطبيعية، إنه الحب في الثورة والقتال، إنه بالنسبة للبعض هامشي لأنه يثير تساؤلات حول معنى الحب في الثورة، (وأنت تعلم أنك ربما ستقتل أو تسجن، وأنت ترى الناس تعاني وفلسطين تضيع وأهلها يشردون)، إلا أن خليفة قد اتخذت منحى آخر في تناولها، فالتفصيل الثانوي بالنسبة لها أصبح القاعدة أي الأساس وليس الاستثناء، واستطاعت من خلال ذلك أن تبني رواية، متنقلة بين عدة أزمنة وعدة أماكن في الرواية، بحيث استطاعت من خلال هذا التفصيل بلورة مشاهد وقصص هذا العمل الروائي، هذه القصص والمشاهد التي ناقشت العديد من القضايا كان منها الحب في الثورة، والتفاوت الطبقي، معاناة فقدان الأهل إما بموتهم أو هجرتهم أو اختفاء الأخبار عنهم، المعاناة في الغربة، ضياع فلسطين، تآمر العرب، خطة نخشون، الزعامات المحلية، المطاردة في الجبال، قضية السلاح، القيادات العربية، جاء ذلك من خلال شخصيات الرواية، وهي شخصيات موجودة في ذاكرة الكاتبة، وأهمهم نضال بطلة الرواية الرئيسية، ربيع، وداد أم نضال، ستي زكية، الشهيد عبد القادر الحسيني، مختار القرية، الزعامات المحلية، الهيئة العليا (خليفة 2010)، كما نجد في رواية آسيا جبار "نساء الجزائر في شقتهن" هذه التفاصيل من خلال شخصيتي علي وناظم، هذه التفاصيل المعتقلة مثلاً بوصف اللحظات التي عايشها في مخبأه، التعذيب في السجن، كيف تدفق الماء عليهم، كيف أكلوا، كيف أمنوا السلاح، عامل القهوة، السجان، التعذيب، هذه التفاصيل لا تعطيها الرواية الرسمية للثورة

(Djebar 1992). إن هذا التعدد في الشخصيات أتاح لنا الخروج بعدة قصص مشاهد، وليست قصة واحدة في الرواية الواحدة (Trinh 1989; Djebar 1992) هذه المشاهد والقصص التي تنقلنا من البيت، إلى الجبال والكهوف والوديان، ما بين القرى، والسفر إلى الخارج، واضعة إيانا في أزمنة هذه القصص والمشاهد.

وهنا يظهر لنا الفرق بين الرواية الشفوية وكتابة أحداث التاريخ أو كتابة النص التاريخي الذي يضعنا فقط في صعوبات الدراسة التي واجهت الكاتب/ة، بحيث ينصرف بعد ذلك إلى التركيز على ما وجده الباحث وعلى تحليلاته وتأويلاته حول الحدث، دون التركيز على معاناة من عايشوا الحدث، وهم الأقدر على روايته، أضف إلى ذلك أنه إذا اعتمدنا على التاريخ كمصدر للحدث هو لن يعطينا معلومات عن تفاصيل الوقت والمكان الذي حصلت فيه هذه الأحداث، إلا أن هذه التفاصيل تستطيع الرواية الشفوية أن تغطيها، لأن المهمش إذا تحدث عن تجربته سوف يبدأ بالحديث عن تفاصيل الحدث الصغيرة التي لا تتواجد في السرد أو النص التاريخي، سوف يبدأ بالحديث عن اللحظات التي عايشها في مخبأه، التعذيب في السجن، كيف تدفق الماء عليهم، كيف أكلوا، كيف أمنوا السلاح، عامل القهوة، السجان، التعذيب، هذه التفاصيل لا تعطيها الرواية الرسمية، ولا النص التاريخي، إنما تعطيها ذكريات هؤلاء الذين شاركوا في الثورة.

إن تلك القصص يجب أن تكون أصدق من التاريخ، إن تلك القصص تروى من الذاكرة وتتناقل وتتوارث عبر الأجيال كالسلسلة (Trinh 1989)، إنها الذاكرة التي تربط الماضي بالحاضر بطريقة متصلة، فتعمل على استنطاق الأمور التي تبدو للوهلة الأولى من الزمن الغابر، استنطاقها بالتفاصيل التي أحاطت بها، (Morrison 1995) طارحة كل التوتر والسجال الذي يدور في تلك العقول المسكونة داخل الجسد، ذلك الجسد المعذب والمغيب في الوقت ذاته كنساء من دول العالم الثالث تعاني من القمع بشقيه السياسي والاجتماعي، والقمع الاستعماري من ناحية أخرى، والاختزال الدائم لصوتها بصوت واحد.

سمة أخرى، إذ تعتبر منه ها بأن لغة الرواية هي لغة تم تحريرها من الحدود، وتجاوزت المعنى وكل أنظمة المصداقية والحقيقة، بمعنى تجاوزت اللغة غير البريئة، ثانياً ترينه منه ها لا تناقش إذا ما كانت القصة هي حقيقة أم لا، ولكن القصة كلغة احتمال، القصة التي تفتح التوقعات، التوقعات من واقع التجربة المادية التي تعيشها هؤلاء النساء، وكأن رواية الحدث على شكل قصة بإمكانها ليس فقط أن تخبرنا بما حدث بصورة مجردة وإنما إخبارنا ما حدث في وقت وزمان قد يكونان محددين أو غير محددين (Trinh 1989).

إن رواية النساء مرتبطة بعملية "استرجاع للذاكرة"، حيث العودة للماضي، وليس بالضرورة أن تكون تلك العودة من لحظة الولادة الى اللحظة الآنية، أو بالأحرى من نقطة البداية الى النقطة التي نقف عليها، ولكنها قد تبدأ من زمن أو مكان أو حدث معين، (بيرقدار 2009)، معالجة الزمن أو المكان أو الحدث الذي عاشته وعايشته المرأة، برفقة هؤلاء "المهمشين".

إن عملية استرجاع الذاكرة هي جزء من الطبيعة البشرية يمارسها الكل، إلا أن هذه العملية تتخذ عند نساء العالم الثالث مناحي أخرى، أهمها تداخل الخيال مع الحقيقة في رواية أو كتابة الحدث، إنه الجانب المهم الذي رأت أنزالدوا بأنه لا يوجد فصل بينه وبين الواقع (Anzaldua 1987) ، وشبهت موريسون اندفاعه بالفيضانات، ولكن لماذا؟ أو ما هي الحاجة لاستخدام الخيال في خضم الحديث عن وقائع حقيقية قد حصلت؟

إنه كما قالت عنه موريسون الحاجة لمليء بعض الفراغات، فحتى عندما نملك تلك الذكريات، نحن بحاجة لمليء بعض الفراغات من أجل إخبار قصص هؤلاء (Morrison 1995)، وهو بالتأكيد لا يعني الانغماس في عالم الأوهام والرغبات والمبالغة، وإنما تكمن أهميته في الدور الذي يلعبه في جمع الأحداث وإعادة تشكيلها على هيئة قصص ومشاهد دون أي مبالغة في استخدامه، لأن المبالغة في استخدام الخيال تقلل من مصداقية الحدث وتدخلنا في مرحلة التزييف وحتى الكذب، وبالتالي نحن هنا بحاجة الى عملية مهمة أسماها الكاتب

بيرقدار عملية ضبط الخيال (بيرقدار 2009)، وهو ما يعني إقامة جسر من التوازن بين الواقع والخيال يحفظ للأحداث حقيقتها بمعنى (لمسة من الخيال المبني على الواقع الذي يحاول أن يرسم الحدث بتفاصيله).

ولكن من خلال كل ما ذكر، نتساءل ما الهدف من هذه الرواية؟

بالنسبة لانزاالدوا فإنه ليس آلية للعرض (Anzaldua 1987)، وعند موريسون الرواية من الذاكرة النسائية يجب أن يكون لها هدف، فعندما كتبت موريسون عن حياتها التاريخية قالت "أكتب هذا النص لإقناع أشخاص آخرين– أنت القارئ، الذي ربما ليس أسود، بأننا بشر يستحقون نعمة الله والتخلي الفوري عن الرق" (Morrison 1995)، وبالتالي فإن موريسون وخليفة وجبار ومنه ها وغيرهن، هن ملتزمات بإخراج أصوات هؤلاء النساء عن تجربتهن وتجارب أسلافهن، وهو تاريخ غير منتهي، إنه تداخل عناصر من الماضي مع الحاضر، وكذلك ارتباط الماضي بالحاضر بطريقة متصلة، فالنكبة لم تنتهي لقد تحولت استعمار صهيوني، والعنصرية ضد السود لا زالت مترسخة، وأصحاب الامتيازات في الجزائر لا زالوا هم أنفسهم منذ الاستعمار، وبالتالي هن ملتزمات بالكتابة عن تاريخ هؤلاء الأسلاف والأجداد من خلال تلك الذاكرة.

هدفاً آخر وهو استمعوا الي وأنا أتحدث عن حياة هؤلاء، عن العبودية والتحرش الجنسي بالعبيد، هذا الجانب الوحشي من العبودية يجب أن يعرفه الناس من خلال الحديث عن حياة هؤلاء لفضح أهوال الرق (Morrison 1995)، عن ضياع فلسطين والمؤامرات الداخلية والخارجية والخيانة والهجرة (خليفة 2010)، عن النساء تحت الاستعمار وبعد خروج الاستعمار (Djebar 1992) كل ذلك لا يتم إلا من خلال رواية الحدث بلسان من عايشوه، بالتالي عندما يكون للرواية هدف، تصبح عملية تبادلية مع الآخرين، يتطلع من خلالها الآخرين على مكنونات الرواية، الذي تجسده بمشاهد وقصص يتداخل فيه الماضي مع الحاضر، فيصبح هذا التاريخ هو التاريخ الحيّ.

الفصل الثالث

مراجعة الأدبيات

مقدمة:

تعتبر قضية الأسرى الفلسطينيين والإفراج عنهم من القضايا المركزية في الصراع الفلسطيني الصهيوني، فمنذ نكسة العام 1967، زُج بالآلآف من الفلسطينيين داخل المعتقلات الصهيونية، وبالرغم من عدم وجود إحصائية دقيقة تبين أعداد الأسرى الفلسطينين منذ بداية الاستعمار الصهيوني حتى يومنا هذا، إلا أن الاحصائية الأخيرة المعتمدة صدرت في العام 2014 وبينت بأن حوالي 805 آلاف فلسطيني تعرضوا للاعتقال في المعتقلات الاسرائيلية (مركز المعلومات الوطني 2014).

التموج النضالي:

لقد تعرضت الحركة المعتقلة خلال مراحل النضال الوطني للكثير من الهزات الجذرية، وتأثرت بشكل أساسي بمسارات التجربة السياسية الفلسطينية وإخفاقاتها ونجاحاتها، التي انعكست على تجربة المعتقلين والمعتقلات داخل المعتقل، فالحالة الثورية قبل اتفاق أوسلو لها ما يميزها، أهمها كان نشوء منظمة التحرير الفلسطينية كجامع أساسي للفلسطينيين في أماكن شتاتهم، وتبنيها للكفاح المسلح كخيار وحيد لتحرير فلسطين (الهندي 1995)، هذه الحالة الثورية امتدت إلى داخل السجن فكانت مشابه لخارجه (واقع التعذيب في السجون الاسرائيلية وأثره على المعتقلين الفلسطينيين2011؛ التعذيب عملية منهجية يمارسها الاحتلال بحق الأسرى 2010).

أما في المرحلة التالية، التي انتهت بتوقيع اتفاق أوسلو في العام 1994، فقد شهدت الحالة النضالية تحولاً جذريا بتحولها من الكفاح المسلح كخيار وحيد لتحرير فلسطين والذي تم تبنيه بشكل أساسي حتى بداية الانتفاضة الأولى، إلى المضي في طريق السلام وتبني حل الدولتين. رافق هذه الفترة دخول المفاهيم النيوليبرالية إلى الأراضي الفلسطينية، فظهر على أرض الواقع مصطلح "التنمية"، ضمن إطار مؤسساتي ضيق، تتحكم فيه القوى الخارجية من خلال التمويل التي تقدمه (Harvey 2003)، حيث تم العمل على اختزال قضية الأسرى من خلال بعض الهيئات التي تم تأسيسها لمتابعة شؤونهم، وبالتالي انحسار الامتداد الشعبي الخارجي لقضية الأسرى وتحويلها إلى قضية أشخاص وأهالي مع بعض المتضامنين معهم، أضف إلى ذلك الضغوطات التي تتعرض لها السلطة الفلسطينية من قبل القوى الخارجية الممولة لغرض التخلي عن هؤلاء الأسرى الفلسطيني على اعتبار أنهم ارهابيين يجب قطع الرواتب والمساعدات التي تقدم لهم.

ثم جاء الانقسام الفلسطيني الفلسطيني بين أكبر فصيلين من فصائل العمل الوطني الفلسطيني وهما حركتي فتح وحماس، فقامت إدارة المعتقل باستغلاله، معتمدين في ذلك على سياسة قديمة حديثة وهي فرق تسد، من خلال فصل أسرى التنظيمات عن بعضهم البعض.

السجن– استلاب الحرية:

يعتبر الناشف بأن شخصية السجن ترتكز بشكلها البسيط على "الحرمان من الحرية" (الناشف 2008)، في حين يرى فوكو بأن السجن أداة من أدوات تكنولوجيا سياسية من أجل إخضاع الجسد، وتشكيله، وتتميز هندسته بأنها مغلقة ومصممة بحيث تضع الفرد دائماً تحت رقابتها (فوكو 2006)، فمن خلال منظومة السجن، تستخدم السلطات الصهيونية وسائل عقابية جسدية ونفسية تسعى من خلالها إلى تطويع جسد الأسير، والتعامل معه بالعقل الاستعماري الاستعلائي عبر مهادنته تارة وتهديده تارة أخرى للولوج إلى داخله وسحب اعترافات منه من

شأنها الإبقاء عليه داخل السجن لسنوات طويلة من عمره. يتم ذلك عبر مجموعة من الأبعاد استخلصها فراس جابر في دراسته حول السجن "الإسرائيلي" كمفهوم زماني ومكاني البعد الأول الحرمان من الحرية واستلابها في عقاب فوري على فعل الأسير المقاوم للاحتلال، البعد الثاني الزماني، وهو مركب من زمن العقوبة، ومن الزمن المتخيل من قبل الأسير، الثالث، هو بعد المكان كهندسة وفضاء عقابي يحاول ضبط الفرد / الجماعة، من خلال بنية هندسية مكثفة تحمل عوامل الضبط والعقاب في آن واحد، و تتيح السيطرة على المعتقلين. البعد الرابع الإجراءات والممارسات العقابية داخل السجن بحق الأسرى الفردية منها والجماعية (جابر 2010،13).

ويأخذ مفهوم السجن في الزمن الاستعماري الصهيوني، سياقه كسجن استعماري معدٍّ لاعتقال المقاومين الفلسطينيين والزج بهم في السجن لسنوات طويلة بتهمة ودون تهمة، واستخدام وسائل عقابية جسدية ونفسية، بحيث تم اللجوء لهذه السجون لتكون "بديلاً حضارياً" (أبو عطوان 2007)، لاستهداف الجسد، كجسد يعمل على زعزعة الفكرة التي تقوم عليها الصهيونية فكراً وعملاً، من خلال عزله وحرمانه من محيطه الاجتماعي الطبيعي، والتلاعب بحيثيات المكان والزمان، لخلق نظام قادر على "إرهاق المعتقل"، وشرعنة عمليات التعذيب والاضطهاد بحقه.

الأدبيات حول الأسرى الفلسطينيين:

ركزت الكثير من الأدبيات على توثيق ما يتعرض له الأسرى الفلسطينيين، خصوصاً الأدبيات الصادرة عن مؤسسات تعنى بشؤون الأسرى ومن أهمها وزراة شؤون الأسرى، ونادي الأسير الفلسطيني، ومؤسسة الضمير، ووزارة شؤون الأسرى، ومركز القدس للنساء، إضافة الى بعض المراكز الأخرى، وجاءت في مجملها على شكل تقارير ومنشورات (مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان؛ التقارير الإداري 2012،2013،2014،2015،2016, واقع التعذيب في السجون الإسرائيلية وأثره على المعتقلين الفلسطينيين 2011).

أدبيات أخرى ركزت على الأبعاد القانونية لقضية الأسرى، من حيث شرعية نضال الفلسطينيين في ضوء الاتفاقيات ومبادئ القانون الدولي، وهل كفلت تلك الاتفاقيات وضعاً وحقوقاً يحميها القانون الدولي عموماً والقانون الدولي الإنساني خاصة؟ وكيف نشأ وتطور الإطار القانوني الدول الحمائي لوضع الأسرى وحقوقهم؟ وما هي تلك الحقوق، وكيف يتوجب إنفاذها، وما واجبات سلطات دولة الاحتلال تجاه تطبيقها والالتزام بها؟ (قبعة، 2012؛ أبو عيد 2013).

بعض الأدبيات الأخرى ركزت على آليات المواجهة داخل المعتقل والتغلب على ظروف "السجن القاهرة" ومن أهم هذه الوسائل التي جاءت في الدراسات المراجعة:

الصمود كاستراتيجية للبقاء، تركز لينا ميعاري على الصمود خلال الاستجواب، كآلية لزعزعة هيكل السلطة الاستعمارية، وتعني بالصمود عدم الاعتراف (ميعاري 2014، 11)، بينما ترى بدارنه أن القوة الكفاحيّة الكامنة في حالة الصمود المعنوي في وجه التعذيب والتنكيل الإسرائيلي أمرٌ يصعب على العقل استيعابه. فهذه العزيمة الهائلة بالتفوق على المستعمِر في سجنه ومعتقلاته الغاشمة دونما «سلاح» سوى الذات المجردة، هذه العزيمة تتحدّى علاقات القوّة (بدارنة 2016).

التفكير بالكينونة والذات: يطرح الباحث إسماعيل الناشف، محدودية المكان، كعامل يساعد على توسيع الأفق الشخصيّ والذاتيّ للفرد (الناشف 2008)، بحيث يصبح هذا المكان الضيق والمحصور، هو المتسع والفضاء الواسع للتفكير، ويصبح التفكير بالكينونة والذات بحد ذاتها عملية مقاومة تجاه القمع الذي تتعرض له المعتقلات، اللواتي عانين من عنف السياسات الاستعمارية (Hannuneh 2018).

العلاقات الاجتماعية داخل المعتقل، إذ تنطلق هذه العلاقات الاجتماعية داخل المعتقلات السياسية بسبب انعدام التواصل الخارجي، والعزلة التامة التي تقبع بها المعتقلات منذ اللحظة الأولى لاعتقالها، التي لم يعد

يتبقى منها إلا بعض الزيارات العائلية والمكالمات المحدودة، فتصبح هذه العلاقات الاجتماعية داخل المعتقل أحد أهم الوسائل التي تلجأ لها المعتقلات للتغلب على ظروف السجن وقضاء الوقت خلال اليوم (صالح 2015، 2).

الأنشطة والفعاليات داخل المعتقل إذ تمثل هذه الأنشطة منفساً لاستغلال وقت الفراغ الطويل داخل المعتقل، والعيش داخل حجرة اسمنتية لا تدخلها الشمس والهواء، سواء كانت هذه الأنشطة تنفذ إما بشكل فردي، أو بشكل جماعي من خلال التنسيق بين الأسيرات والاتفاق على مواعيد محددة لعقد هذه الأنشطة كمناقشة كتاب، أو عقد دورة تنمية بشرية، أو دبكة، أو غناء(صالح 2015، 2).

حاولت دراسات قليلة تسليط الضوء بصورة مباشرة على موضوع المعتقلات منها دراسة سحر فرنسيس ودراسة رولا أبو دحو ودراسة خالدة جرار ولينا الجربوني، إذ حاولنَّ الحديث عما تتعرض له المعتقلات داخل السجن، لغرض إجبارهن على تقديم اعترافات، فظهر أن المحققين قد تعمدوا استخدام أساليب العنف سعياً وراء الاعتراف بهم كجنود لهم سطوة وسيطرة على هؤلاء المعتقلات، وتعرضت دراسة سحر فرنسيس بأن النساء الفلسطينيات تعرضن لما تعرض له الأسرى الذكور، سواء كان ذلك الاعتقال أو الاحتجاز، إلا أن الفلسطينيات تعرضن أيضاً للعنف الجنسي وغيره من أشكال الإكراه على أساس نوع الجنس (Bayour 2004; Francis 2017). أظهرت دراسة رولا أبو دحو المحاولات الحثيثة من إدارة السجن التعامل معهن كأفراد بدلاً من مجموعة، كما تناولت فكرة رئيسية تتمحور حول الإضراب الذي خاضته الأسيرات تضامناً مع رفيقاتهن الخمسة، بحيث كان هذا الإضراب الأول الوحيد الذي هدف إلى المطالبة بالإفراج عن معتقلين، وليس لتحسين ظروف المعيشة داخل المعتقل (ABU Duhou 2017, 62–69)، أما دراسة خالدة ولينا الجربوني فإنّ ما يميز هذه الدراسة أنها جاءت من نسوة عايشن حدث الاعتقال، وعلى علاقة مباشرة بالمعتقلات، يتشاركن نفس الظروف، ونفس

التجربة، حاولن من خلالها الحديث عما تتعرض له المعتقلات للقمع الدائم من قبل إدارة السجن، أثناء الاعتقال، سواء في التحقيق أو في غرف المعتقل، منها المس بخصوصيتهن، وانتهاك كرامتهن وقسوة ظروف الاعتقال، والنقل إلى المحاكم بواسطة البوسطة (جرار والجربوني 2015–2016، 7).

إننا وبعد الاطلاع على الأدبيات المذكورة، فإن هذه الدراسة تستهدف أصوات متعددة أخرى، أصوات المعتقلات اللواتي لم يسبق لهن أن كتبن أو تحدثهن عن تجاربهن، وبقيت تجاربهن كيّ الكتمان، يأتي هذا الصوت المهمش في البداية كصوت يتم اختزاله بصوت واحد، وهو صوت القيادية في الحركة المعتقلة، التي تتحدث عن تجارب الآخرين بصوتها، ضمن نسق مختار بعناية للكلمات والأهداف والشعارات، تضيع بداخله في كثير من الأحيان معاناة وتجربة كل صوت. كما يأتي هذا الصوت كصوت مهمش يتداخل فيه صوت القمع السياسي الاجتماعي، الهيمنة الاستعماري، والاختزال الصوتي، مرتكزين في ذلك على ثلاثة مراحل مرحلة ما قبل الاعتقال، أثناء الاعتقال، بعد الاعتقال. صحيح أن تجربة الاعتقال هي الحدث المركزي في التجربة برمتها، إلا أن الصوت لا يمكن اختزاله بهذا الحدث المركزي ناسيين أو متناسيين ما أدى اليه، وما سيترتب عليه بعد الخروج من المعتقل، النضال الجديد الذي لا يقل قسوة على النضال داخل المعتقل، كل ذلك يأتي بأصوات متعددة وليس صوت واحد، أصوات ثلاث عشرة معتقلة فلسطينية.

الفصل الرابع

كل فلسطيني "متهم"– مرحلة ما قبل السجن

القسم الأول:

تقديم:

يعرض هذا الفصل ويحلل روايات المعتقلات الفلسطينيات لتجاربهن قبل فترة السجن. القسم الأول يناقش الروايات من خلال السياق العام تاريخياً وجغرافياً. توصلت الباحثة أن حديث المشاركات قد تباين بناء على السياق التاريخي للفترة التي سبقت مرحلة الاعتقال، فظهر الحديث في اتجاهين: الاتجاه الأول مثلته المشاركات اللواتي تعرضن للاعتقال قبل توقيع اتفاق أوسلو، أما الاتجاه الثاني فمثلته المشاركات اللواتي تعرضن للاعتقال بعد إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية، قام هذا التباين على أساس أن شكل الحالة "الثورية" خارج المعتقل، انعكس على طريقة حديث المشاركات عن هذه التجربة.

كما ظهر أن حديث المشاركات قد تباين أثناء الحديث عن القوى الشعبية تبعاً لاختلاف المنطقة الجغرافية (مخيم، قرية، مدينة)، ولكن في ذات سياق الفترة الزمنية، والتي تغطيها مرحلة ما قبل أوسلو، فيما تشابهت روايات المشاركات بعد توقيع اتفاق أوسلو. تحاول الباحثة في القسم الأول تحليل القوى النافذة على الأرض في هذه المناطق الجغرافية الثلاث، من خلال روايات المشاركات الثلاث اللواتي اعتقلن فترة ما قبل أوسلو وهنّ (ن.و)"تسكن في المخيم"، و(ف.ح)"تسكن في القرية" و(آ.ر) "تسكن في المدينة"، ثم بيان التحولات التي حدثت على هذه القوى بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية كما أظهرتها باقي رواية المشاركات.

السياق العام: تاريخياً وجغرافياً:

تظهر رواية المشاركات في البحث توجهين رئيسيين في الحديث عن التجربة، ترجعه الباحثة أولاً إلى اختلاف السياق الزمني للتجربة السياسية التي حدثت فيها عملية الاعتقال، وثانياً اختلاف المنطقة الجغرافية ما بين مخيم أو قرية أو مدينة، ويمثل ذلك في البداية تجارب المعتقلات اللواتي خضنَّ التجربة منذ منتصف الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات، وبالتحديد حتى توقيع اتفاق أوسلو في 1994، وهن المشاركة (آ.ر) "تعرضت للاعتقال ما بين أعوام 1991–1993"، والمشاركة (ف.ح) "تعرضت للاعتقال ما بين آذار 1991، وشباط 1993"، والمشاركة (ن.و)"تعرضت للاعتقال ما بين حزيران 1986، حزيران1989 ".

أظهرت رواية المشاركات اللواتي يغطين هذه المرحلة التاريخية أن الانتماء الداخلي والالتزام الوطني الجماعي كان في ذروته خلال هذه الفترة في المناطق الجغرافية الثلاث، إذ اكتسبت التجربة الفردية بعداً وطنياً واجتماعياً وشعبياً، وهذا ما أظهرته رواية المشاركة (ن.و)، فتحدثت بإيجابية كبيرة عن هذا البعد الشعبي والاجتماعي:

> " في السابق كان فيه إحساس بأنو من الواجب عليك أن تشارك في كل فعالية، ما كنا نخاف، كان الصغير والكبير يشارك، لما سكروا اليهود جمعية إنعاش الاسرة، روحنا على الصليب الأحمر في القدس، عشان نضامن معهم، وأم الشهيد والأسير عمرها ما طلعت لحالها، الكل يطلع معها".

في هذا الجزء من الرواية تناولت المشاركة (ن.و) قضية مفصلية في الثقافة الفلسطينية، وهي قضية التضامن الشعبي، فتحدثت عن التضامن مع المؤسسات الخيرية التي اكتسبت بعداً وطنياً آنذاك كجمعية إنعاش الأسرة، كما تناولت قضية التضامن مع المعتقل وأهل المعتقل، فتظهر روايتها أن هذه القضايا كانت مترسخة ومتجذرة في الثقافة الفلسطينية.

بينما توضح رواية (آ.ر) بعداً آخر لمدى التضامن الشعبي بين الناس، ويتجلى ذلك من خلال موقفها الذي اتخذته تضامناً مع المعتقلات اللواتي أضربن عن الطعام، وتتحدث عن هذا الإضراب بالقول:

" في العام 1994 الأسيرات خاضوا إضراب، وأعلنوا فيه إنو يا بنروح جثامين، أو بنروح مفرج عنا، سكروا الأبواب، ورفضوا يطلعوا فورة، ورفضوا يستلمو الوجبات لمدة 14 يوم، في هذا الإضراب أنا تضامنت معهم، وخضت الإضراب في الصليب الأحمر بالقدس".

في هذا الجزء من رواية (آ.ر) يظهر التضامن الشعبي باعتبار قضية الفرد هي قضية جماعية، وليست قضية تخص العائلة أو المحيط الاجتماعي الصغير، فعملية الاعتقال ذاتها ليست شأناً خاصاً، وإنما قضية وطنية جماعية، تخص كل إنسان، فلم تأتي (آ.ر) على ذكر صلة قرابة مع إحدى المعتقلات، أو صداقة، أو معرفة مسبقة، أو انتماء فصائلي حزبي، يكفي أن تكون هذه الإنسانة معتقلة حتى يأتي التضامن الشعبي معها من كل الفلسطينيين على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم.

أما المشاركة (ف.ح)، فتتحدث عن كيفية تضامن الناس مع بعضهم البعض عند الاستشهاد، فتذكر كيف أن الناس كلها في بلدتها قد تأثروا وتضامنوا مع أهل وزوج وأبناء الشهيدة (ف.م) التي استشهدت في مدينة القدس في أوائل التسعينيات، فتقول:

" كانت الناس تتأثر على بعضها البعض، كل الناس زعلت على استشهاد (ف.ح)، جنازتها كانت مليانة ناس، وصار فيها خطابات وهتافات، مش بس الرجال شاركوا في جنازتها، حتى إحنا النساء اطلعنا وروحنا على الجنازة".

إن ما تظهره رواية المشاركات الثلاث هو قوة التضامن الشعبي على امتداد الحيز الجغرافي، وقد ظهر أن هذا التضامن تجلى بالعديد من المظاهر، كان أهمها المظاهرات، والإضراب العام، المشاركة في الجنازات الذي

كان حدثاً يتحول إلى حيّز لإلقاء الخطابات والهتافات ضد الاستعمار الصهيوني، الاعتصام أمام الصليب في القدس. ويبدو بأن هذه الممارسات كانت عبارة عن قوة جماعية متماسكة، تتميز باتساع قاعدتها الشعبية التي احتوت بداخلها كل الانتماءات الفصائلية، والتي تظهر الروايات هذه بأنها لم تقدم مصالحها الفئوية على المصالح الوطنية، بل سبقت المصالح الوطنية أي مصالح حزبية.

الاتجاه الثاني الذي يغطي الفترة الزمنية، تمثله رواية المشاركات اللواتي تم اعتقالهن أو التحقيق معهن ما بين العام 2005– 2019، وهن المشاركات (ب.ط) (اعتقلت ثلاث مرات في عام 2011، 2014، 2018)، (ن.ع) (اعتقلت ما بين أيلول 2015، شباط 2017)، (أ.ق) (اعتقلت ما بين كانون الأول 2015، آذار 2016)، و(ج.ق) (اعتقلت ما بين تشرين الأول 2015، كانون الأول 2016)، و(م.غ)(اعتقلت ما بين أيار 2017، أيار 2018)، و(هـ.ن)(اعتقلت ما بين أيلول 2011، كانون الأول 2012)، ثم أعيد اعتقالها في كانون الثاني 2014، وأفرج عنها في عام 2017)، (ت.ح)(اعتقلت ما بين عامي 2016، 2017)، (ك.ق)(اعتقلت ما بين آب 2010، آب 2011). تظهر هذه الروايات غياباً واضحاً للحديث عن أي فعل يدل على التضامن الشعبي، أو حتى عن السياق العام الذي جاءت فيه التجربة، كما لم يتم التطرق لأي شكل من أشكال الممارسات الاستعمارية الصهيونية على الأرض، ولا لأي من سياسات مارستها السلطة الوطنية بحسب ملاحظة أو رأي المشاركة، ولا حتى مجرد إبداء الرأي حول الظروف السياسية والاجتماعية التي رافقت التجربة بشقيها الإيجابي والسلبي باستثناء رواية المشاركة (ص.ك) "التي اعتقلت ما بين تشرين الثاني 2009 وتشرين الثاني 2011" إذ قالت:

> "في عام 2008 كانت حرب غزة، وفي شهر 2009/10، صار اقتحامات للأقصى، تقريباً ثلاث مرات، وما أخذ هذا الموضوع حقه في الاعلام، خبر عادي زي اليوم للأسف، صحيح وقتها كنت أنا

نشيطة في الجامعة، وأشارك في فعاليات، بس ما كنت حاسس إنو هذا الاشي الي ممكن يرضيني إني أعملوا لبلدي، وأنا وقتها كنت كثير مضايقة، شايف الظلم بعيني، الي الواحد بنجن لما يشوفوها، فقررت أعمل اشي، وطعنت جندي على حاجز قلنديا".

إن غياب الحديث عن الظروف السياسية والسياق العام الذي جاءت فيه التجربة الاعتقالية باستثناء رواية (ص.ك) يحيلنا إلى التفكير بأن مساحة التعبير والحديث لدى النساء كانت كبيرة في الماضي قياساً مع الفترة الزمنية اللاحقة والتحولات التي حدثت عليها، وقد يكون ذلك نابعاً من التغييرات السياسية بعد توقيع اتفاق أوسلو 1994 وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية، فبعد أن كانت المعتقلة تتعرض لمنظومة رقابة واحدة هي المنظومة الاستعمارية، أصبحت تستشعر بأنها مراقبة من قبل منظومتين رئيستين المنظومة الاستعمارية الصهيونية، والمنظومة المساندة لها وهي سلطة الأجهزة الأمنية الفلسطينية التي قد تكون في بعض الأحيان أشرس من المنظومة الاستعمارية، ناهيك عن أنهما منظومتان متكاملتان في كثير من الحالات ضمن ما يعرف بـ"التنسيق الأمني"، لذلك فإن كل حرف تنطقه المشاركة بخصوص هاتين المنظومتين من الممكن أن يترتب عليه استدعاؤها، والتحقيق معها، وما يتبع ذلك من محاولات للتضييق عليها، سواء في العمل أو التنقل أو في غيره.

وفيما يتعلق باختلاف المنطقة الجغرافية وتأثيرة في سرد الرواية، فقد ظهر أن رواية المشاركات اللواتي يغطين فترة ما قبل أوسلو قد تباين عند الحديث عن القوى النافذة على الأرض داخل كل حيّز، فظهر أن هناك ثلاث محاور رئيسية للحديث عن هذه القوة، فأظهرت رواية المشاركة (ن.و) "من مخيم الجلزون" وجود شخصية "المختار" في المخيم، وقد يعود تجذر دور المختار في المخيم إلى نكبة فلسطين في العام 1948، التي اضطر فيها أكثر من 800 ألف فلسطيني للهجرة، وتحولهم إلى لاجئين في مخيمات، وعلى الرغم من أن المشاركة

(ن.و) تظهر دور المختار بإيجابية، إلا أن المختار هو شخصية جدلية في التاريخ الفلسطيني، فقد كان للمخاتير دور كبير أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين سواء في محاولة مهادنة اليهود خوفاً من سقوط قراهم، أو محاولة دعم الثورة والثوار في تأمين السلاح والمكان، إلا أن رواية (ن.و) ركزت على إيجابية هذا الدور، من خلال وجوب مرافقة المختار للجنود قبل أي عملية اعتقال "لامرأة"، وقد يكون السبب في ذلك بحسب المشاركة هو منع الجنود من اقتحام البيت، وتدمير محتوياته.

> "في تلك الفترة كان يجب أن يأتي مع الجنود أثناء الاعتقال المختار، ما في اعتقال لبنت بدون وجود المختار، عندما خرجت من البيت حتى أول المخيم كان هناك كميات كبيرة من الجنود الإسرائيليين، تفوق 500 جندي، وكان المختار موجود".

إلا أن ما تظهره هذه الشهادة أن المختار ظهر كوسيط بين الجنود الذين أتوا للاعتقال وأهل المعتقلة، إذ لم يكن يكتسب على أرض الواقع أي قدرة أو قوة تمنع حدوث عملية الاعتقال، أو حتى قدرة على المطالبة بمعرفة مصير المعتقلة وما آلت اليه الأمور بعد اعتقالها، هذا من ناحية، من ناحية أخرى لم تأت المشاركة على ذكر أن المختار كان له دور أساسي في تلك الفترة في عملية المقاومة الشعبية، على الرغم من سؤالها عن هذا الجانب، إذ اكتفت بالقول "كان وسيط، وكان لازم يكون موجود، كان يحلّ مرات المشاكل بين الناس، ويصلح بينهم".

إلا أننا وبموازاة ذلك وفي سياق ذات الفترة الزمنية نجد أن هناك قوى نافذة أخرى كان لها قاعدة واسعة وذلك في القرى الفلسطينية والتي تجلّت بشكل أساسي في ظاهرة عرفت باسم "الملثمين"، وهم مجموعة من الأشخاص ذو موقع فاعل في القرية، وفي العادة فقد كانوا يغطون وجوههم بالكوفية ويطوفون في أرجاء القرية باستمرار، منعاً لحدوث أي عملية اعتقال من خلال محاولة عرقلة اقتحام الجنود للقرية بضربهم بالحجارة و"المولوتوف"، أو مصادرة أي منتجات إسرائيلية داخل المحلات، أو العمل على تأمين متطلبات الحياة لسكان القرية في ظل

الحصار الذي كان يفرضه الجيش الصهيوني على القرية عقاباً لهم، كما كان للملثمين حق في إعلان الإضراب، وكان يجب على الناس الالتزام، تتحدث المشاركة (ف.ح) عن ذلك بالقول:

" لما كانوا يحكوا الملثمين ممنوع يعني ممنوع، اليوم إضراب الكل يلتزم، ما في شغل يعني ما في شغل، الكل يلتزم، الملثمين كانوا حاكمين البلد، وكان في نظام أكثر من اليوم، الناس وقتها كانت تخاف من الملثمين أكثر من اليهود، كان الهم دور أكثر من اليهود والسلطة اليوم، الملثمين معروفين إنهم ناس قدّ حالهم في البلد... اليهود قتلوا الشباب الملثمين في بلدنا في المكيل (ساحة وسط البلد)، كانوا مطاردين من اليهود، (ج،ر) ابن خالي، و(م،ز)، واثنين معهم ما الهم دخل، هذول كانوا مرعبين البلد، حطولهم اليهود جهاز في سيارة، وبعتوا السيارة مع حدا، وكانت كاميرا جوا السيارة، قتلوهم في نص البلد، هذول الملثمين عجزوا اليهود وهم يطاردوا وراهم، كانوا ضابطين الناس، الله يرحمهم"

تظهر رواية (ف.ح) بأن شخصية هؤلاء الملثمين كانت مستهدفة من قبل الجيش الإسرائيلي، وليس كما المختار، فالمختار لم يكن يشكل أي تهديد، بل كان أكثر شخصية تنسيقية، أما الملثمين فقد استخدموا القوة، لذلك فقد عمّد الاحتلال لاغتيال مجموعة من هؤلاء الملثمين في بلدتها للتخلص منهم.

في ذات الوقت نجد أن هناك قوى قيادية ثالثة نافذة تركزت في المدينة وأظهرتها رواية المشاركة (آ.ر)، وكانت تسكن حينها في مدينة رام الله، فلم تأتي على ذكر لا المختار ولا الملثمين. إنما على الدور الذي لعبته مدينة رام الله من تركز الطبقة الوسطى فيها، كثير منهم كانوا من تيار المثقفين الذي انضووا داخل الأحزاب اليسارية، ودخلوا في نقاشات عميقة حول مسار التفاوض السلمي الذي بدأت بانتهاجه منظمة التحرير الفلسطينية في تلك الفترة، والتي شاعت أحاديث آنذاك بأن هذه المفاوضات ستقود إلى تبييض كل السجون، وقد اعتبرت (آ.ر) بأن اعتقالها قد جاء في في هذا الوقت الذي أسمته الوقت "الضائع" (اعتقلت ما بين أعوام 1991–1993)،

فقالت: كنا نفكر أن هذا الاعتقال جاء بالوقت الضائع، لأنها جاءت بعد بدء مفاوضات مدريد، وعملية التفاوض في تلك الفترة"، فيما اعتبرت بأنها لم تغير في التفكير الثوري، وأنها كانت حبر على ورق ودليلها على ذلك بالقول:

" ثاني يوم طلعت فيه من السجن، قولت لصحفي إسرائيلي عمل معي مقابلة، والله وإحنا مروحين في البوسطة، انضرب الباص الي كنا فيه، لأنو الباص أولو جنود، وآخره جنود، والأسرى والأسيرات في النص، وانكسرت المراية، هذا دليل على أن المقاومة مستمرة، الشغلة الثانية، وأنا قاعدة في الدار هان، سيارات الجيش، والإزعاقات، عملياً ما تغير إشي، فقلت للصحفي حطّ عنوان المقابلة أم الفدا ما زالت على استعداد للفدا! عملياً لم يكن هناك هالتغيير الجذري، لأنو الاحتلال كان موجود والمقاومة موجودة، بالتالي الاتفاق كان حبر على ورق".

أما فيما يتعلق بالقوى النافذة على الأرض التي تغطي الفترة الزمنية بعد قيام أوسلو، فلم تذكر أي من المشاركات هذه المفاصل الثلاث نهائياً، كما لم تذكر أيً من المشاركات أي مفصل آخر من مفاصل القوى النافذة التي تمسك زمام الأمور بعد توقيع اتفاق أوسلو.

فعلى الأرض تسيطر الآن ذات الأجهزة الأمنية والتي تعمل مع السلطات الاستعمارية ضمن التنسيق الأمني لتغطي المناطق الجغرافية الثلاث (المخيم، والقرية، والمدينة)، هذا الحال أوجد منظومة رقابية مزدوجة على الفرد مكونة من المنظومة الاستعمارية والمنظومة المحلية المتمثلة بأجهزة السلطة الوطنية الفلسطينية، والتي كانت نتائجها إيجاد منظومة ثالثة وهي منظومة رقابة داخلية تتولد من داخل الفرد على نفسه، خوفاً من المطاردة أو الاعتقال، أضف إلى ذلك أن هذا التحول أنهى بدوره المختار والملثمين، وأضعف الحس الوطني لدى الطبقة الوسطى، وعمل على إدماجها في مؤسسات السلطة التي أعقبت الاتفاق، أو في المؤسسات التي أصبحت تتلقى تمويلاً خارجياً.

أما التشابه الذي أظهره السياق الزمني والموقع الجغرافي خلال الفترتين المستهدفتين، على امتداد عمر المقابلات، فبين أن منطلقات العمل كانت منطلقات وطنية، نابعة من إيمان المشاركات بفكرة التحرر.

أظهرت رواية (ف.ح) بأن ما قامت به كان نابعاً من انتماء وطني بحت، ولم يكن بسبب هروب، أو معاناة، ويظهر ذلك في رواية (ف.ح) عندما تقول:

"في العام 1991 استشهدت امرأة من بلدنا إسمها (ف.ح)، كان عمري وقتها تقريباً 17 سنة، حطيت الموضوع في راسي، إنو أروح وأطعن جندي، قعدت ثلاث شهور وأنا أفكر وأخطط كيف بدي أطلع وأروح وآجي، قلت ممكن أنسجن بعد العملية، عشان هيك رتبت الأمور، لازم يكون معي غيار ثاني، كنت محضر الأواعي الي بدي أطلع فيهن وأعمل العملية، كنت حاطتهن في كيس وحضرت السكينة، أجى الموعد سبحان الله، الله كاتب".

ويتشابه ذلك مع رواية المشاركة (هـ.ن)عندما تعتبر بأن النهج الذي سارت عليه في العمل الوطني هو ذات النهج الذي سارت عليه عائلتها، بمعنى أنها ليست حالة شاذة عن العائلة والبيئة المحيطة، بل هي جزء منها فتقول:

" البيئة الي تربيت فيها بيئة وطنية، اليهود كانوا يجوا دائماً على بيتنا، وبيت أعمامي، ويعتقلوا ويخربوا، هذا الاشي صار في دمي، مشيت على نفس هذا النهج".

كما تظهر رواية المشاركة (ن.و) بأن هذا العمل الوطني الذي تبنته هو خيارها الخاص، وبرأيها هو الطريق السوّي والصحيح، ويتلاقى مع تجربة أهلها في الأسّر، وأن حبها لفلسطين، قد سبق أي حب آخر، ولذلك فقد كان هذا هو سبب اختيارها لهذه الطريق، فتقول:

" أنا اخترت هاي الطريق، هناك طريقين، يا إما بمشي طريق صح أو طريق خطأ، أنا كنت في فترة المراهقة، في هاي الفترة بتحس فيها البنت إنها لازم تعيش وتحب وتنحب، أنا حسيت حالي إني أنا بحب بلدي ووطني، وأنا راسم حياتي إنو كل اشي فلسطين بالنسبة الي، لحد الآن أنا هيك ما تغيرت".

تبين هذه الروايات بأن حالة الثورة، تعطي حرية أكبر للمرأة للانخراط فيها، هذه الحرية هي أكثر من الحرية التي تعطى لها إما قبل أو بعد إنتهاء الثورة، إذ تجد المرأة نفسها أثناء الثورة بأنها قد انخرطت فيها ليس كعامل مساعد، وإنما كجزء من المقاومة الثورية الفعلية على الأرض، سواء أكانت في المدينة أو القرية أو المخيم، أو في المعتقل أو تحت التعذيب.

إن دخول المرأة في إطار المقاومة الفعلية ناتج عن العلاقة التي تربطها بمجموعتها، وهنا شعبها الذي تعرض للطرد واستعمار أراضيه، وكأن حالة الثورة تجعل من العادي والمقبول أن تشارك المرأة بموازاة الرجل بالمهمات القتالية. إن الاستعمار يحاول في الحالة الفلسطينية كما حدث في الحالة الجزائرية أن يؤدلج المقاومة الفلسطينية بأنها هروباً من الاضطهاد الأبوي، والاضطهاد الممارس ضد النساء في المجتمع الفلسطيني، وبأن الفعل المقاوم هو عملية هروب من هذا الواقع الذي تعيشه المرأة الفلسطينية، وهذا يتشابه مع الحالة الجزائرية ففي الفصل الأول من كتاب فرانز فانون "الجزائر تخلع الحجاب"، يشرح فانون كيف حاول المستعمرين الفرنسيين أن يضعوا الرجال الجزائريين في بوتقة واحدة بأنهم يضطهدون النساء، يسجنونهن، ويأتي هذا الاستعمار ليحاول أن يخلص المرأة الجزائرية من هذا البؤس، وهذا ما يحاول الاستعمار الصهيوني تبنيه في حالة المقاومات الفلسطينيات بأنهن نساء ضعيفات في مجتمعاتهن، يعانين من الظلم، يتم ضربهن من قبل الرجل الفلسطيني، وقمنَّ بهذا العمل بقصد الانتحار، فيصور نفسه بأنه ضحية لهؤلاء النساء اللواتي يحاولن التخلص من الاضطهاد الذي يتعرضن له بالقيام بهذه العمليات.

القسم الثاني:

عملية الاعتقال:

يظهر القسم الثاني من رواية المعتقلة تركيز المشاركات على قضية مفصلية أخرى لا يمكن النظر اليها بمعزل عن التجربة برمتها، إلا أن الحديث عنها قد جاء ضمن الحديث عن مرحلة ما قبل الاعتقال، وهي عملية الاعتقال ذاتها، وقد يعود تركيز المشاركات للحديث عن هذه المفصلية في هذا الجزء، استباقاً للحديث عن تجربة الاعتقال ذاتها، والتي بدا أنها تركز أكثر على موضوع التحقيق والحكم، والفترة التي تقضيها المعتقلة داخل السجن بأحداثها وتفاصيلها كما سيأتي على نقاشه الفصل التالي.

تظهر رواية (ن.و) الكيفية التي تم فيها اقتحام بيتها في منتصف الليل، بينما لم يتجاوز عمرها آنذاك الخمسة عشر عاماً، فتقول"

> "تم اعتقالي في 1986/6/4 في الساعة الواحدة والنصف صباحاً، وكان مئات الجنود الإسرائيليين موجودين داخل البيت، كان اليوم الثالث لوفاة جدتي، كان عمري حينها خمسة عشر عاماً".

إن رواية (ن.و) تظهر بأن عملية الاقتحام تمت بمرافقة مئات الجنود الذي تواجدوا أثناء عملية الاعتقال، فيما هي فتاة قاصر لا يتجاوز عمرها الخمسة عشر عاماً، وللوهلة الأولى يظهر بأن هذه الفتاة لم تكن بوضع مناسب، فجدتها توفيت منذ ثلاثة أيام، فلماذا هذا العدد الكبير من الجنود لاعتقال فتاة قاصر؟

إن هذه الممارسة تأتي ضمن سياسة ممنهجة للتخويف والترهيب، ليس للمعتقلة نفسها فقط، بل لعائلتها، لسكان المنطقة، وحتى لكل الفلسطينيين، إذ تبنى السياسة الاستعمارية على أسلوب الاستباحة لغرض الترهيب، ويحدث ذلك من خلال إظهار قوة هؤلاء الجنود بعددهم وأسلحتهم وممارساتهم العنيفة التي ترافق الاقتحام والتي تتمثل غالباً بالتدمير والتخريب والسرقة والضرب.

وما حدث مع (ن.و) يتلاقى مع ما حدث مع المشاركة (ك.ق) عندما تم اقتحام بيتها في منتصف الليل لاعتقالها، فتقول:

" كانت الساعة 2 بالليل، صار في طرق على الباب، وخبط بقوة، صحينا، لبست ملابس الصلاة، وراح جوزي يفتح الباب، دخلوا كميات كبيرة على البيت، احنا توقعنا إنو يكون تفتيش عادي، مش اعتقال، لأنو أنا ابني صغير، وجوزي ما الو أي نشاط سياسي، بعدين لما شفت المجندات، عرفت إنو في اعتقال لمرأة، طلبني ضابط المخابرات، وقالي بدي أحكي معك لحالنا، دخلنا على غرفة غير الي كان فيها ولادي وجوزي، وقالي بدي أحقق معك في الميدان".

هنا لا يمكن فهم رواية المشاركة (ك.ق) بمعزل عن رواية (ن.و)، فعملية الاقتحام في منتصف الليل هي المفصل الأساسي في الروايتين، إلا أن الفرق الذي يظهر في رواية (ن.و) هو اعتقال فتاة قاصر، وفي رواية (ك.ق) اعتقال امرأة كبيرة في السن، تعاني من مجموعة من الأمراض المزمنة والخطيرة تم التحقيق معها بشكل ميداني، ليقرر الضابط بعد ذلك اعتقالها.

وفي ذات السياق تظهر أيضاً رواية المشاركة (ن.ع) الكيفية التي تم استباحة بيتها فيها، عندما داهمت قوة من الجنود البيت في ساعة متأخرة، وصادرت بعض أملاك العائلة، وقامت بتخريب محتويات البيت فتقول (ن.ع):

"داهمت قوة عسكرية البيت فجر يوم الاثنين 2015/9/7 الساعة 2:30 صباحاً، ووصلوا إلى غرفتي وداهموا الغرفة، وحاورني الكابتن المسؤول عن الفريق، أخذ هويتي وتلفوناتي، سألني عن شغلي وعملي، وخلال هذا الوقت كان باقي الكتيبة تجمع جميع الأجهزة الإلكترونية من كل البيت، حطموا الباب الرئيسي، وحجزوا جميع أهلي في غرفة واحدة ما عدا الوالد، وقاموا بتحطيم كل شيء في البيت، الخزاين، المكتبات، صادروا الأجهزة الإلكترونية، الحواسيب، والتلفونات لكل العائلة".

ما تظهره رواية (ن.ع) أن عملية الاقتحام، قد تمت بشكل عنيف، من خلال تحطيم بعض محتويات البيت، ومصادرة أجهزة تملكها العائلة، وهي عبارة عن ممتلكات خاصة، فلم يعرف لماذا تمت مصادرتها، ولماذا لم

تعاد حتى هذا اليوم إلى العائلة، فيما تتشابه روايتها مع رواية (ك.ق) في جزء آخر وهو التحقيق الميداني، فتظهر الروايتين بأن التحقيق الميداني يدور حول أسئلة عامة، تحمل في طياتها تهم جاهزة، أو استفسارات مبهمة تقود المعتقلة في الحالتين إلى السجن لفترات قد تطول أو تقصر، وقد تكون "بتهم" أو "بدون تهم".

أما رواية المشاركة (ج.ق) فهي رواية تجمع بين مفاصل كثيرة، فالاقتحام تم في منتصف الليل، رافقه عملية تخريب وتدمير وتفتيش عشوائي، إلا أن المفارقة الحقيقية التي نجدها في رواية (ج.ق) هي الممارسات التي رافقت عملية الاعتقال، فأظهرت روايتها ممارسات متعلقة بالتعذيب الجسدي، وحرمانها من حقها في ارتداء الحجاب، وكذلك حالة الصدمة التي دخلت فيها المشاركة حول ما يحدث معها، وتوقيعها على أوراق تحت شعورها بالتهديد والخوف، وتتحدث عن ذلك:

> " لحظة الاعتقال موضوع مستحيل أن أتخيله أو أتوقعه، وكان التاريخ 2015/10/28 كنت سهرانة بدرس على امتحان في الجامعة، فجأة كيف وليش؟ شوي بلشت أغفى، فجأة صحيت على غرفتي كلها جنود، ناس بتصرخ، قنابل صوت في البيت، أنا إنصدمت شو الي بصير؟ أنا شو عامل، يعني مستحيل يخطر في بالي حتى لما شفتهم إنو سجن، قلت يمكن تفتيش أو هيك، ما كان في واردي أبداً إنو اعتقال، والي أنا، مستحيل أنا، وقتها ما كنت حاطه على راسي شال، حدا ضربني على خاصرتي، صحيت لقيت بوجهي مجندة وجها أسود، وشعرها مجعد، وناصحة كثير، وشكلها بخوف، إصحيت مفزوعة، بتحكيلي قومي، تفتيش، طبعاً في هاي الفترة كانوا ماخذين تلفوني وجميع أغراضي الشخصية، وقفتني على الحيط، وبلشت تفتش فيّ، وأنا مصدومة، أهلي شفتهم مربوطين في زاوية البيت، إمي وأبوي وأختي، لحد الآن أنا مصدومة بسأل في المجندة ايش الي بصير، من حقي أعرف شو الي بصير، ما جاوبت، بلشت تضرب فيّ وهي تفتش فيّ، أكثر اشي كان مؤلم لما ضربت راسي بالحيط، بعدها بتحكيلي يلا، بحكيلها وين، طيب بدي ألبس على حالي، لابس نص كم، والدنيا برد، بالكثير خلتني آخذ بلوزة خفيفة، وما خلتني أحط شال على شعري، وأنا محجبة"

إن هذه الرواية تظهر مفاصل أخرى تحدث أثناء عملية الاعتقال، تقوم على ممارسة العنف الجسدي من خلال الضرب، والضرب هنا يكون بغرض إلحاق الضرر، فالضرب على الخاصرة، وضرب الرأس بالحيط ممارسات

لا تقوم على فكرة الترهيب والتخويف فقط، بل تقوم أيضاَ على فكرة إلحاق الضرر، والضرر هنا لا يكون بالضرورة لحظي، بل قد يكون متعمد بشكل يجعل المعتقلة تعاني منه لسنوات طويلة. وهنا نجد عملية انتهاك للجسد، من خلال جعله حلبة للممارسات الاستعمارية السلطوية الاستعلائية، فالجندي هو الذي يقرر هنا، لأنه في هذه اللحظات هو صاحب السلطة العليا، التي اكتسبها من كونه مستعمِر، ونظرته الاستعلائية تجعله يتعامل بازدراء ودونية مع معتقدات المعتقلة، وتمثل ذلك بمنع المعتقلة من تغطية جسدها بالطريقة التي تؤمن بها، وأبرزها حقها في وضع الحجاب على رأسها، وهو الحق الذي حرمت منه المعتقلة (ج.ق) عندما تم اعتقالها وهي مكشوفة الرأس، علماً أنها ترتدي الحجاب. أضف إلى ذلك أن المعتقلة دخلت في حالة من الصدمة، فهي لم تعرف حتى هذه اللحظات ما يجري، إذ لم يكن بواردها أن يكون هذا عملية اعتقال لها، وهذا ناتج عن كون المعتقلة ليس لها أي نشاط سياسي، قد يكون وراء سبب اعتقالها.

جانب آخر للانتهاك يتمثل بفرض السلطة الاستعمارية سطوتها على الأرض من خلال "الحاجز"، كحاجز زعترة على سبيل المثال، وتظهر رواية (أ.ق) كيف يعمل الاحتلال على تثبيت دعائمه على الطرق والمواصلات عن طريق التفتيش اليومي والعشوائي لمركبات المواطنين، وتوقيفهم ساعات طويلة، وفحص الهويات، والتفتيش الجسدي في الميدان، وغيرها من الانتهاكات كما حدث شخصياً معها، فتقول (أ.ق):

> "تم اعتقالي يوم السبت وأنا متوجهة من نابلس للجامعة على حاجز زعترة، وكان هناك إيقاف للمركبة التي كنت أنا متواجد فيها، وأخذوا هويات البنات الموجودات في السيارة، وأخذوا هويتي، اقتادوني بعدها لداخل الحاجز".

ويظهر هنا بأن الحاجز هو المكان المهم الذي يمارس الجنود سلطتهم عليه بكل قوة، إذ يتم إيقاف السيارات وتفتيشها، وتعطيل حركة الناس من خلال تأخيرهم لساعات طويلة، طلب الهويات للفحص، إمكانية اعتقال أي

شخص، دون تقديم أي توضيح، أو منحه فرصة لإبلاغ أهله. فيما تظهر روايتها تشابهاً مع رواية (ج.ق) من ناحية ردّ فعلها على هذا الاعتقال، وتصف بأنه كان مفاجأة وصدمة كبيرة:

"في هذه اللحظات أنا مش عارف إيش الي بصير، لم أكن متوقعة الاعتقال، أو أن يحدث ذلك في يوم معي، كانت مفاجئة طبعاً، كانت صدمة بالنهاية.. بحكيلي ضابط وأنا على زعترة (أ.ق)، بحكيلو نعم، بحكيلي إنت لازم تيجي عنا، بهذا المعنى، أنا رديت عليه، ليش آجي؟ لا يوجد لدي أي مشكلة، وما بعرف ليش أنا موجودة هان؟ أنا لازم أروح على الجامعة هسه، رد علي بس تيجي بتعرفي".

وفي ذات السياق يظهر الحاجز بموقع آخر، وهو الحاجز الذي يكون فيه كل فلسطيني عرضة للقتل المباشر، للتحرش الجنسي اللفظي، فقط لأنه قد يتصرف بطريقة خارجة عن المألوف بحسب توقعات الجندي، ربما قد يضع يده في جيبه، أو يمشي بالخطأ في الطريق المخصص لعبور السيارات بدلاً من طريق المشاة، أو يتلفظ بكلمة، وهذا ما حصل مع المشاركتين (م.غ) على حاجز قلنديا، و(ت.ح) على حاجز بيت عور، مع الأخذ بعين الاعتبار مدى العنف الجسدي واللفظي الذي لحق بالمشاركتين من جراء ذلك، فتقول (م.غ):

" اليوم الي انسجنت فيه كنت أمرّ من حاجز قلنديا، كنت لابس شنطة المدرسة، الجنود كلهم فجأة صاروا حولي، ووضعوا الأسلحة على راسي، الاشي مش طبيعي، أكون ماشي، وفجأة أصير في وضع زي هيك، شدوا السلاح، صاروا يصرخوا فيّ، كانوا يحكوا بالعبري بس أنا ما كنت فاهم، بعدها أنا وقفت، مش عارف شو بدي أعمل، أجى جندي قرب السلاح كثير علي وكان بدو يطخني، بآخر لحظة لأنو كان يوم سبت، بالديانة اليهودية ممنوع القتل يوم السبت، رش علي غاز الفلفل، فضى العلبة، انخنقت، وما كنت شايفة أي اشي، كنت حاسس الموت قريب مني، كنت أدعي يا رب ما بدي أستشهد، لسه الحياة قدامي، حلمي أصير محامية، لساتني صغيرة، ما بدي أموت هسه، كان عمري بس 14 سنة، في هاي اللحظات صار في زلمة يصرخ من السيارة ما طخوها، بعدها أجوا جنديين وكلبشوا ايدي لورا، ودخلوني على الحاجز، إجوا مجندات وصاروا يضربوا فيّ بالأسلحة على كتفي".

تظهر رواية المشاركة (م.غ) بأنها كانت معرضة للقتل، أثناء مرورها من حاجز قلنديا، إذ وجهت نحوها الأسلحة لإطلاق النار عليها، تم ضربها، ورش غاز الفلفل على وجها، ولكن "الحظ" هو اليوم الذي صدف أنها مرت فيه، وهو يوم السبت والذي تقول المشاركة بأن القتل ممنوع فيه حسب الديانة اليهودية. إن الضرب والعرضة للقتل، وإطلاق النار لمجرد الاشتباه، تظهرها رواية (ت.ح) التي كانت ترافقها في ذلك الوقت صديقتها المقربة (ن.ش) على حاجز بيت عور 443، إذ لمجرد الاشتباه بهما من قبل الجنود، أطلقوا عليهما وابل من الرصاص بشكل مباشر، أصيبت على إثره زميلتها (ن.ش)، فيما تعرضت (ت.ح) للضرب المبرح من قبل الجنود بعصاة كهربائية والخوذة الخاصة بالجنود، تقول (ت.ح):

> "أول ما مسكوني ضربوني في عصاية كهرباء على رجلي، وفي ضابط مسك راسي وضربني بالخوذة الخاصة فيه، المسبات إشي مفروغ منه، لما اعتقلوني كانت معي صاحبتي اسمها (ن،ش)، كانوا يطخوا علينا بشكل مباشر، وهي تصاوبت، ولما سألت الضابط عنها قالي إنها ماتت، أنا عرفت بعدها إنو إصابتها كانت في كتفها، وما عرفت إنها لساتها عايشة إلا بعد ثلاث أيام لما شفت أهلي في المحكمة".

كما أن هذه الممارسات لم تتوقف على الضرب، وتقديم معلومات خاطئة، بل امتدت لممارسات متعلقة بالتحرش الجنسي من خلال ألفاظ نابية، والتي تضمر بداخلها معاني مقرونة بتصورات جنسية وهذا نجده في رواية (م.غ) عندما تقول:

> "كانوا يسبوا علي كلام كبير، كلام ما بنحكى "شوموطة"، بعدها فتشوني، أنا رفضت التفتيش العاري، قلتلهم طخوني وما بغير أواعي، ما بشلح، وكنت أبعد فيهم، بعد ما خلص التحقيق الميداني معي أخذوني على سجن نقلوني في سيارة شرطة، جابوا أكل قعدوا يوكلوا ويشربوا ميّ قدامي، وقعدت واحدة من الشرطيات الي في سيارة الشرطة، وفتحت الفيديو لاعتقالي، صارت تحكيلي (fuck you)، شرموطة، قحبة، صارت تخبط فيَّ في ايدها".

إن إطلاق هذه الألفاظ على المعتقلة لم تأت من فراغ، بل هي متعمدة وهي متعلقة بشكل أساسي بممارسات جنسية خارجة عن المألوف بالنسبة للمشاركة ومتعلقة بالجسد. إن اللجوء إلى هذه السياسة تأتي بشكل متعمد، وليس من فراغ، فالصهيونية عملت على بناء سياساتها على تلك المفاهيم الحساسة في السياق الفلسطيني، فالصهيونية الذكورية تتشابه في ذلك مع الفانتازيا الذكوريّة الاستشراقيّة التي كانت دائمًا مقرونة، منذ أولى موجات الاستعمار، بجنسنة جسد المرأة وتغريضه (جعله غرضًا) كوسيلة لفرض الهيمنة عليه.

الفصل الخامس

الاستباحة: "الآخر" وقابلية انتهاكه – عن رواية الفلسطينيات المعتقلات لتجاربهن السياسية أثناء الاعتقال

تقديم:

يسلط هذا الفصل الضوء على التجربة الاعتقالية بتفاصيلها الثانوية والرئيسية حسب رواية المشاركات، إذ إن أهم سمات رواية النساء هي تركيزها على التفاصيل والجزيئيات التي تعطينا صورة كاملة أو شبه كاملة ومتخيلة عما حدث مع المعتقلة، وآليات تفاعلها مع هذه التفاصيل التي تتحدث عنها.

يتناول هذا الفصل ستة أقسام، وكل قسم مقسم إلى مجموعة من الأجزاء، تسلط جميعها الضوء على التجربة الاعتقالية بتفاصيلها.

يسلط الجزء الأول من هذا القسم الضوء على وصف التحقيق على اعتبار أن موضوع التحقيق من أصعب المراحل التي تمر بها المعتقلة، والتي يتوقف عليها ما سيأتي على المعتقلة لاحقاً، إذ تُجمع الروايات أن موضوع التحقيق من أصعب وأهم المراحل التي تتعرض لها المعتقلة. إن هذا الجزء يحاول أن يظهر المحقق والمعتقل وكأنهما في معركة، لكل منهما أساليبه، ويتوقف الانتصار في هذه المعركة على الصمود أو عدمه.

وتتعرض المعتقلات في التحقيق للتهديد بالضرب والتهديد بالاعتداء الجنسي، والصراخ، والتحرش الجنسي اللفظي، وفي التحقيق يظهر الصمود، والصمود يعني عدم الاعتراف.

يأتي الجزء الثاني من هذا القسم على نقطة انطلاق مركزية وهي أن استهداف الجسد هي ضمن الإرث الاستعماري تاريخياً، والتي يشكل الاستعمار الصهيوني جزءاً مهماً منها، بحيث يتم التعامل مع جسد المعتقلات

بأنه "سلعة مباحة"، "دونية" "متخلفة" "ضعيفة" "ملونة"، ولأنها كذلك حسب الفكر الاستعماري الصهيوني فإنه يتم استهداف هذا الجسد من خلال ممارسة العنف الجسدي عليه أولاً، العنف الجنسي ثانياً

يركز الجزء الثالث من هذا القسم على أسلوب آخر، ويعود ذلك إلى تركيز المشاركات في الدراسة على أن هذا الأسلوب هو الأكثر دهاءً وخبثاً داخل غرف التحقيق، وهو تعدد الشخصيات "التمثيلية" لمجموعة من المحققين في غرفة التحقيق، أو الأدوار "التمثيلة" لذات المحقق، وهذا يتوقف على اللحظة الآنية لظروف التحقيق ونفسية المعتقل وسلامته الجسدية.

يسلط الجزء الرابع من هذا القسم الضوء على ردة الفعل التي ترافق المعتقلة بعد خروجها من التحقيق، والتي ظهر بأن ردّات الفعل هذه قد تراوحت بين: مشاعر الفرحة والراحة، نتيجة انتهاء فترة التحقيق، وقدرة المعتقلة على الصمود، مشاعر الذهول من جراء ما تعرضت له المعتقلة، مشاعر التوجس والخوف من المعتقل والاندماج السريع مع الآخرين. ظهر بأن ردة فعل كل معتقلة توقفت بناء على معرفتها وخبرتها بالعمل الوطني والسياسي من عدمه.

يركز الجزء الخامس من هذا القسم على جانب "مكملات التحقيق"، ومكملات التحقيق عبارة عن أسلوبين آخرين هما العصافير والإسقاط، يتميز هذين الأسلوبين بأنهما الأكثر "ضبابية، وسرية"، حسب المشاركات، بحيث يقوم هذان الأسلوبان على "الخداع بسرية وبهدوء".

القسم الأول: التحقيق كآلية استعمارية

في وصف التحقيق:

هنا في هذه اللحظات الأولى بعد الاعتقال، حيث لا الزمن يشبه زمانه الحقيقي، ولا المكان يشبه مكانه الآخر. هي ربما ساعات أو أيام أو أشهر، ولكنها في حساب الزمن، هي الزمن الحقيقي الذي يقف المعتقل في مجابهته للعقل الاستعماري الاستعلائي، الذي أصبح بيديه الآن السلطة الكاملة لاستباحة الزمان والمكان والجسد، لانتزاع أي اعتراف من شأنه أن يزج بالمعتقلة أعوام طويلة داخل مكان مغلق محدود، يفتقر لكل مقومات العيش اللائق بالإنسان.

لقد ظهر من خلال الروايات بأن المشاركات قد اعتبرنَّ بأن مرحلة التحقيق هي مرحلة مفصلية في تجربة الأسر برمتها، وهي من أهم وأصعب مراحل الأسر، التي يتم فيها ممارسة العنف بأشكاله المتعددة لتطويع أجساد المعتقلات وإيصالها لمرحلة الانهيار السريع، من أجل انتزاع أي معلومة مهما كانت صغيرة وبسيطة من المعتقلة، مستخدمين في ذلك كل صنوف التعذيب الجسدي والجنسي وما يترتب عليهما من عنف نفسي يستمر مع المعتقلة حتى بعد خروجها خارج أسوار السجن.

تصف المشاركة (ب.ط) "أمضت في التحقيق عشرين يوم، تعرضت خلاله، للشبح على الكرسي، الصراخ، الشتائم، والتهديد بفضحها أخلاقياً"، مرحلة التحقيق بأنها من أصعب المراحل التي تتعرض لها المعتقلة منذ لحظة اعتقالها وحتى خروجها من المعتقل، فهذه الفترة طالت أم قصرت فإنه يمارس فيها شتى أنواع التعذيب الجسدي، والتحرش الجنسي، دون أن يكون هناك أي رقابة قانونية أو إنسانية على ما يحدث داخل غرف التحقيق الصغيرة، تتحدث (ب.ط):

" من أصعب وأهم مراحل الأسر للأسير، لا يوجد راحة ولا نوم، دائماً هناك صراخ وشتم وترعيب، كنت أشعر كل ما أتأخر ساعة، أو يتأخروا يوم معي، ينجنوا، هذا الاشي أنا كنت أعرف أن هذا بداية الانتصار، إذا اشتد الصراخ معناه فاضيين لا يوجد لديهم اشي".

وتظهر رواية (ب.ط) أن التحقيق يشبه "العالم السفلي"، ففيه الصراخ والشتم والشبح والضرب والتحرش، وتتفق المشاركة (ن.و)"تعرضت لتحقيق قاسي في المسكوبية، تم خلاله وضع شبك مليء بمياه المجاري على وجهها، وتهديدها بالاعتداء الجنسي عليها، وهدم بيتها"، مع وصف (ب.ط) للتحقيق، بأنه من أصعب مراحل الأسر، فهذه المرحلة تعني إما الصمود وإما الاعتراف، لذلك فهي في روايتها تشيد بنفسها كيف استطاعت التغلب على المحقق في التحقيق على الرغم من صعوبة هذه المرحلة، إذ تقول:

" التحقيق ما كان مزحة، ولكن قدرت أتغلب عليه، صمدت، ما اعترفت ولا بأي اشي، ولما هددني وقالي بدنا نهدّ داركم... قلتلو بلاقي مية حدا يبني دارنا... لما قالي بدنا نعتدي عليكي... قلتلو بلاقي مية حدا يتجوزني".

تبين رواية (ن.و) بأن التحقيق هو مرحلة صعبة، ففيها يتم المساس بقضايا ذات حساسية بالنسبة للمعتقلة، ففي رواية (ن.و) تم تهديدها بهدم البيت، وهذا يعني تشتيت أهلها، وتحويل معاناتها الشخصية إلى معاناة تشمل كل أفراد أسرتها، كما هُددت بالاعتداء الجنسي عليها، وتشويه سمعتها، الأمر الذي يعني بالنسبة للمحقق بأنها لن تستطيع أن ترتبط بأي إنسان، وأن تكون عائلة.

أما (آ.ر) "تعرضت لتحقيق شبحت فيه ساعات طويلة في الحمام امتدت لأكثر من سبع ساعات، وضع خلالها كيس أسود على رأسها تفوح منه روائح كريهة" فقد اعتبرت مرحلة التحقيق معركة حقيقية يجب أن تخرج منها بدون أدنى اعتراف، ولو كلفها هذا الصمود حياتها، وتظهر الرواية أن اتخاذ هذا القرار كان بوعي، لأنه قرار ناجم عن تفكير وتخطيط مسبقين، فاعتبرت (آ.ر) نفسها أنها في معركة، وهذه المعركة هي معركتها، يجب أن تقاوم فيها حتى النهاية، ومقاومتها تكون بعدم اعترافها بأي تهم موجهة لها.

"" كنت أعتبر كل جلسة تحقيق معركة، ولازم إلي أنا أطلع منها، خلص حطيت في راسي، ما في اعتراف، لو بأدي التحقيق معي للوفاة، مش راح أعترف، وهذا كان قراري من البداية، وبالفعل خرجت بدون أي اعتراف".

وظهر أن التحقيق يقوم على فكرة مهمة وهي زعزعة ثقة المعتقلة أولاً بنفسها من خلال الإيعاز لها بأنه يعرف عنها كل شيء، وثانياً زعزعة ثقتها بالمحيط الاجتماعي لها، وبنشاطها الفصائلي إن وجد، على اعتبار أنهم يعرفون كل التفاصيل المتعلقة بها، لذلك فهي في وضع لا يسمح لها بمزيد من "الكذب"، بل يجب عليها أن تعترف بما قامت به، لأن المزيد من "المراوغة" من قبلها، يعني إضافة سنوات طويلة على حكمها، وإحضار عائلتها كلها إلى السجن، ففي رواية المشاركتين (ك.ق)"تعرضت لتحقيق أجبرت من خلاله على الجلوس لساعات طويلة على الكرسي وربط رجليها، ورواية (ز.س)"تعرضت لتحقيق في أجهزة المخابرات الأردنية، وأجهزة السلطة، وأجهزة المخابرات الصهيونية"، نجد أن المحقق قد استخدم أسلوب حاول من خلاله أن يظهر للمعتقلة بأنها عبارة عن صفحة مفتوحة له، يعرف عنها كل شيء، فتتحدث (ك.ق):"" قالي أنا بعرف عنك كل اشي، بعرف وين بتروحي، بعرف ولادك، بعرف شو بتوكلي، شو بتشربي، بس بدي أسمع منك"، وهذا نفس الأسلوب الذي استخدمه المحقق مع المشاركة (ز.س) عندما حاول المحقق إيهامها بأنه يعرف عنها أدق التفاصيل، من خلال ربطها بصور وأسماء تسكن في قطاع غزة، ومكان سكنها وعملها، فتقول: "حاول يخوفني، يربطني في أشياء ما الي فيها، دخلني في غزة، وفي أسماء، وفي صور على الكمبيوتر، فتح على "Google Earth" وصار يورجيني في بيتنا ومكان شغلي".

كما بينت الروايات أن التحقيق يقوم على فكرة "التضخيم والتهويل"، لكن اللافت للنظر هنا أن هذا التضخيم لا يكون بتقديم معلومات واضحة، وإنما عبارة عن تهويل وصراخ من خلال اشعار المعتقلة بأنها قد ارتبكت أعمالاً فادحة من شأنها أن تزج بها في السجن لسنوات طويلة، ففي رواية المشاركة (ن.ع) "تعرضت لتحقيق أجبرت

فيه بالجلوس على كرسي صغير أرجله قصيرة، وربط يديها ورجليها بالكلبشات لساعات طويلة"، أن المحقق قد استخدم وسيلة أخرى لترهيب المعتقلة عندما تقول:

"بشعروكي دائماً أنك مرتكبة أعمال فادحة، واوو شو إنت عاملة؟ أحد المحققين قالي: إنت أحسنلك طلعي حالك من الوحل الي حاطه حالك فيه، طيب أساساً أنا مش عاملة اشي، بتصيري تحكي إنتَ شو بتحكي، عذاب نفسي، لا يوجد محامي، ولا أعرف عن ماذا يتم سؤالي، هم صحيح بسألو عن شغلك بس ليش؟ إنت ما بتعرفي".

كما نجد أسلوب التهويل قد تم استخدامه في منحى آخر من خلال اعتبار المحقق بأن شخصيته معروفة للجميع بأنه فقط محقق شرس، وقد بدا أن هذا المحقق يعتقد بأن المعتقلة عندما تسمع باسمه سوف تتحطم معنوياً، وتختصر عليه الوقت الطويل في التحقيق، تقول (آ.ر):

"أول محقق حقق معي، اسمه أبو نهاد، زلمة كبير بالسن، وقالي أكيد سمعتي عن الكابتن أبو نهاد، وفعلاً كنت سامعة عن الكابتن أبو نهاد إنو محقق شرس، وقوي، قلتلو: لا ما حصل الشرف الي إني أسمع عنك".

إن تعمد المحقق ذكر اسمه والصفات التي يعتبرها بأنها ملازمة لاسمه بين الناس بأنه محقق "شرس"، حدث في أول لحظة دخل فيها للتحقيق مع المعتقلة، وقبل أن يتفوه بأي كلمة أخرى.

هنا نتساءل عن ردة فعل هذه المعتقلة على هذا التهويل، وكيف تفاعلت معه؟

- عند النظر إلى ذلك نجد أن المرأة هنا كانت أولاً فلسطينية مستعمرَة أمام رجل مستعمِر، هنا ظهر شكلين من القمع قمع جنسي امرأة مقابل رجل، وقمع استعماري مستعمَره مقابل مستعمِر، أظهرت رواية (آ.ر) بأنها لم يكن لديها أي اعتبار للعامل الجنسي رجل مقابل امرأة، بل تعاملت معه كمستعمِر، إن ما قامت به (آ.ر) هنا أنها أزاحت كونه رجل، وما يحمله مفهوم الرجل مقابل المرأة من علاقة الخضوع مجتمعياً، وركزت عليه بأنه مستعمِر، وبأن هذه الصفات هي صفات يدعيها كل مستعمِر، وهي لا تشكل بالنسبة

لها رهاباً يصعب عليها مواجهته، بل إنها استطاعت مواجهته، بإنكارها لمعرفته، وكأنها هنا لا تعترف بصفاته هذه، ولا بتأثيرها عليها.

استهداف الجسد: "استباحته"

إن ممارسة العنف تجاه الجسد هو الأسلوب الأبرز في السياق الاستعماري العالمي عامة، والصهيوني خاصة. وتقوم فكرة ممارسة العنف تجاه الجسد على اعتبار أن للمحقق سلطة مطلقة على هذا الجسد، يمتلك من خلالها كل أدوات القوة، ويسمح له باستخدامها مقابل المعتقل المتجرد من القوة المرئية.

لقد أظهرت الروايات بأن المشاركات في الدراسة كنّ على علم بأن أجسادهن استخدمت كحلبة مستباحة لممارسة العنف الاستعماري أثناء التحقيق، من خلال الكيفية التي تحدثنّ بها عن الممارسات المنفذه تجاه أجسادهن. تم التعامل أولاً مع أجسادهن وكأن للمحقق عليها "سلطة مطلقة" ، فالمحقق كان لديه القدرة والقانونية أن يتصرف بهذا الجسد بالكيفية التي يراها "مناسبة" دون أن يكون هناك أي ضوابط إنسانية أو قانونية، وثانياً ظهر بأن غرفة التحقيق احتوت على جسد "الأنا" المحقق، وجسد "الآخر" المعتقلة، وظهر بأن جسد الأنا هو الجسد الذكوري، الأبيض، القوي، المتحضر، فيما ظهر بأن المحقق ينظر لجسد المعتقلة بمنظر "الآخر" الجسد الأنثوي، الملون، الضعيف، غير المتحضر، المجرم، العنيف.

وأظهرت الروايات بأن استهداف الجسد تم من خلال ممارسة العنف باتجاهه من خلال منحنيين أولاً العنف المتعلق بالضرر الذي يلحق بالجسد نفسه من خلال ممارسات متعلقة بـ (الضرب، الشبح، كلبشة اليدين والرجلين، وضع كيس مليء بمياه المجاري على الوجه، الحرمان من استعمال الحمام، الحرمان من الأكل، الحرمان من المشي، الحرمان من النوم، التحقيق لساعات طويلة متواصلة، وضع المعتقل في العزل الانفرادي).

أما المنحنى الآخر فهو المتعلق بانتهاك جسد المعتقلة من خلال ممارسات ذات طابع جنسي وتمثلت بـ (التهديد بالاعتداء الجنسي، إجبارها على خلع ملابسها، التحرش اللفظي الجنسي مثل "شرموطة، قحبة، زانية، بنت زناة، بنت حرام).

في هذا الجزء سوف نأتي على كيفية ظهور استهداف الجسد في رواية المشاركات في الدراسة:

العنف الجسدي:

أظهرت رواية (آ.ر) قول المحقق لها في سجن الخليل:

> "أول كلمة قالي اياها المحقق هان مش المسكوبية، ما في دلال، فش دلع، هان سلخ وذبح، مش رايحة تروحي إلا وإنتي مخلصة كل اشي، ثلاث أيام بلياليهن تم شبحي فيهن، والشبح يكون بربط الايدين لورا، ووضع كيس أسود على الراس، الأجواء شبه ثلج وقتها، صار معي برد ومغص، طبعاً رجعت روحت بدون اعتراف من الخليل على المسكوبية".

وحسب المشاركة فإنه معروف عن سجن الخليل بأنه سجن مخصص للرجال، سيء السمعة، نتيجة لما يتعرض له المعتقلين من تعذيب شديد، فأظهرت روايتها في هذا الجزء أن المحقق حاول إيهامها بأن ما تعرضت له في المسكوبية هو جزء بسيط مما ستتعرض له في سجن الخليل، فقال لها هان "سلخ وذبح"، وهذا يدل على أنه كان ينوي استخدام أسلوب العنف الجسدي القوي، وهو ما حدث بالفعل، إذ تم شبحها لساعات طويلة، مع ربط اليدين للوراء، كما أظهرت رواية المشاركة (ص.ك) أنها تعرضت للضرب المبرح فقالت "ضربوني على جسمي، طلعت على جسمي أزرق، كلو أزرق، أخبط على جسمي وأسأل ليش جسمي ما بوجع، أنا مش حاسس فيه، مبين أزرق وأخضر وأحمر"، تبين رواية (ص.ك) بأن الضرب كان شديداً، لدرجة تغيرت معه ملامح جسدها، من خلال تغير لون الجلد الذي ينتج عن الضرب المبرح، ولكن المشاركة تستغرب أنها بالرغم من كل هذا الضرب إلا أنها لم تشعر

به، ربما يعود ذلك إلى تلك القوة الغير المعهودة، قوة أخرى لا تعرفها المعتقلات، قوة داخلية تتغلب على كل الألم وتتجاوزه.

وظهر من خلال رواية المشاركة (ب.ط)، والمشاركة (ن.ع)، والمشاركة (ز.س)والمشاركة (هـ.ن)"تعرضت لتحقيق تم خلاله كلبشة قدميها ويديها، حرمانها من الدخول إلى الحمام، والتلاعب بالمكيف"، أن التعذيب الذي ألحق الضرر الأكبر بأجسادهن تمثل بـ "قعدة الكرسي مع تكبيل اليدين، وأحياناً القدمين" لفترة طويلة"، وهذا يظهر في رواية (ب.ط) وراية (هـ.ن)، فتقول (ب.ط):

> "قعدة الكرسي، كان يقيدني على الكرسي، أنا ألف إيدي من وراء يكلبشني، لما يشدّ معي آخر فترة حتى رجلي كان يربطهم، وهذا الاشي كان متعب بالنسبة الي حتى إنو إجتني الدورة الشهرية، فصار الألم يزداد، ولفترة شبه إنو يغمى علي، الدكتور قالهم، ممنوع تحققو معها هلكيت، ودوني "أرسلوني" ساعة ونص على الزنزانة ورجعوا يحققوا معي".

أما المشاركة (هـ.ن):

> قعدوني في غرفة "أمتنات" قعدت فيها وأنا مكلبش، على الكرسي، عشان أقوم عن الكرسي رميت حالي على الأرض، مش عارف أقوم، ايدي ورجلي مربطات، أكثر من مرة طلبت أروح على الحمام ولا مرة خلوني أروح، وكانت حينها الدورة الشهرية على وشك أن تأتيني، كنت جالس على الكرسي وحاسس إنها بدها تيجي، وأنا من النوع في هاي اللحظات بضل أروح على الحمام، بس هم ما خلوني.

لقد جاءت رواية (ب.ط) و(هـ.ن) على ذكر هذا المفصل المهم في تعذيب الجسد، المتمثلة بطريقة إجبار المعتقل على الجلوس ضمن وضعية تعمل على إلحاق التعب والضرر السريع بجسده، يأتي ذلك في بعض الأحيان في ظل موعد الدورة الشهرية للمعتقلات التي ترافقها آلام في البطن والظهر، وإرهاق عام في الجسد، كل ذلك يأتي في ظل منعها من استخدام الحمام وتوفير فوط صحية وهو ما سنأتي على نقاشه لاحقاً.

اعتبرت المشاركة (ن.ع) بأن وضعية الجلوس هذه مع الكلبشة، كانت مؤذية جداً لها، خصوصاً عندما كانت يتم وضع الكلبشات وسحبها، بطريقة رأت بأنها انعكست على نفسيتها بشكل سيء، فقالت:

"التعذيب الجسدي القعدة على الكرسي وقت التحقيق، أكثر من مرة كان يتم وضعي على الكرسي الصغير، كرسي مقعده صغير ورجليه قصيرة، ويتم ربط الرجلين واليدين إلى الخلف، الكلبشات التي توضع في اليد سلاسل حديدية مؤذية جداً، وفي الرجلين أيضاً، وشعورك أنك وكأنك حيوانة بمسكوا فيكي من أيديكي وبجروا فيك في السلاسل، هذا شعور سيء حتى الحيوانات لا تعامل هكذا".

فيما تظهر رواية المشاركة (ك.ق) أن تركيزها الأكبر كان من خلال وضع الكلبشات وشدها بقوة باليدين والرجلين فتقول عن ذلك:

"كانوا لما يحطوا الكلبشات، كنت عارف إنو لازم تحطي إصبعم تحت الكلبشة، عشان يكون العرض بين اليد والكلبشة قانوني، أقولها أنا هيك في إيدي، المجندة تتعمد تشد علي في الكلبشات، الكلبشات مش جاي مدورة وتتحرك مع الإيد، في الها حفة، بضلها تضرب في الإيد، وتكون الكلبشة كل حركة بحركتها تتحت بإجرك، وإيديكي"، علماً أن هذه المعتقلة كانت تعاني من مجموعة من الأمراض المزمنة والخطيرة، وأصيبت بالغرغرينا وتحتاج إلى عناية طبية خاصة، وحرمت منها، فتقول:

"كان يعطوني دواء للمعدة من عندهم، مش من دواي، دواي كبوه في الزبالة، يفتحوا باب الزنزانة ويعطوني دوا المعدة، وأي دوا ثاني ما كانوا يعطوني إياه، وكنت أطلب من المحقق أقولوا إذا إنت ما أعطيتني أدويتي، أنا بموت عندك، وبالنسبة الي أنا إمرأة بتمنى الموت، لأني واحدة مريضة، والحمد لله ولادي كبار، إنت بتعمل فيّ معروف، وإنت حرّ، إنت شايف وضعي كيف عامل!!!".

وأظهرت رواية (ن.و) و(ب.ط) و(هـ.ن) بأن المحقق قام بإطلاق سيل من التهديدات تجاه هذا الجسد التهديد بالضرب، وهدم البيت، والاعتداء الجنسي، وقضاء سنوات طويلة داخل السجن، وتشويه الوجه، وهذا لا يعني

بأي شكل بأن التهديد كان مجرد كلمات، بل تم تحويله إلى أفعال، فتقول (ن.و): "هددوني بالضرب، وضربوني، وبالاعتداء الجنسي، وبهدم البيت، لقد قاموا بوضع الشبك على وجهي المليء بمياه المجاري". في رواية (ب.ط) نجد بأن المحقق قد هددها بأن تبقى داخل المعتقل لسنوات طويلة من حياتها فتقول" "بس يضل يهددني إنو راح آخذ 20 سنة في السجن، قلتلو 20 سنة عادي"، في حين هددت المشاركة (هـ.ن): " هددني محقق وقالي بدنا نشوه وجهك"، وأظهرت رواية (آ.ر) تهديدها بتحويل بيتها إلى "عيد فصح" بقولها:

> "قالي المحقق، بالدار بنعملك عيد فصح، شو عيد الفصح عندهم؟ هم بطلعوا كل اشي في الدار، من عفش وأغراض، وبطرشوا وبنظفوا، بقولي كل يوم بنيجي بننبش بيتك، وبنروح، قلتلهم مش مشكلة، وين بتحطوا الفرشة بنام عليها".

تظهر رواية كلاً من المشاركة (ص.ك) و(ك.ق) أساليب أخرى في التعذيب، فتقول (ص.ك) "تعرضت لتحقيق تم التهجم فيه عليها، وشتمها، وشبحها لساعات طويلة، وهي المعتقلة الوحيدة التي يتوفر تسجيل فيديو لوقائع التحقيق معها لدى مؤسسة الضمير":

> " كان المحقق يتهجم علي، يجي بدو يخنقني، أكون نعسانة، خلص ما في طاقة، بدي أنام، آجي أعمل هيك يجي يصحيني، أقولو يلا إحكي شو ما بدك، أنا بدي أنام، يجي يصحيني، يطفى الضوء، كان يزيد درجة الحرارة أو يقللها بناء على الجو، يصرخ فيّ بصوت عالي".

تظهر روايتها بأن الحرمان من النوم، مع ساعات التحقيق الطويلة المتواصلة هي العذاب القوي الذي تعرضت له، أضف إلى ذلك أن هذا رافقه تعذيب نفسي آخر وهو التلاعب بدرجة حرارة الغرفة، فعندما يكون الفصل صيفاً، يقوم المحقق بتشغيل المكيف على الهواء الساخن، وعندما يكون الفصل شتاءً يشغل المكيف على الهواء البارد، بمعنى يتحكم بالمكيف بشكل يساهم في الضغط وتعذيب المعتقلة، وهذا أظهرته أيضاً رواية المعتقلة (ك.ق):

"هم كانوا يحاولوا يضغطوا علي، الكونديشن برد شديد شديد، وفجأة الكوندشن يصير نار، البرد بعطل عندي الدورة الدموية، ولما يصير معي هيك، بصير يضيق نفس، بصير عرضة للإصابة بالغرغرينا، تجلطات في إيدي ورجلي، بكفي الآلام الي كنت أحس فيها".

إن رواية (ك.ق) في هذا الجزء تظهر جانباً آخر يتمثل بعدم المبالاة بالوضع الصحي للمعتقل، وكأن المحقق هنا يحاول أن يلعب على وتر آخر، وهو استغلال المعتقل من خلال التحكم بأمور لا سيطرة له عليها، ومنها وضعه الصحي السيء، وهذا هو أسلوب آخر من أساليب التحقيق.

العنف الجنسي:

وفي سياق مهم ظهر أن الماكنة الصهيونية الاستعمارية قد بنت نفسها على المفاهيم الحساسة في الثقافة الفلسطينية، وهي المفاهيم المرتبطة في العادة لفظاً أو فعلاً جنسياً بجسد المرأة، وهذا يظهر في تعليق (ص.ك) على هذا بقولها ""بيجوا هم على الأشياء الحساسة الي بتمس مجتمعنا، وإذا الواحد ما كان قدها هو راح يضعف"، كما يبرز استغلال المحقق لقيم احترام جسد المرأة في الثقافة الفلسطينية عن طريق التحرش اللفظي بالجسد، فتتحدث (ج.ق) عن الكيفية التي تحرش بها المحقق من خلال التغزل بشكلها، بوجهها "غمازاتها" وشعرها، وعرض الزواج عليها لأحد الشبان فتقول:

"صار يحكي يلا إضحكي عشان أشوف غمازاتك، رديت عليه ما بدي، أجى وشلحني المنديل عن راسي، وصار يقولي شو هالشعرات الحلوات، تعالي أجوزك لواحد من شبابنا الحلوين، نادى على واحد، قالي شو رأيك هذا الشاب حلو ولطيف، شو رأيك، هان صرت بس أبكي وأبكي".

تظهر رواية (ج.ق) "تعرضت لتحقيق تم خلالها التحرش به لفظياً، وخلع الحجاب عن رأسها بالقوة"، الكيفية التي يحاول من خلالها المحقق توجيه كلام لها يحمل طابع جنسي، عن طريق "التغزل" بشكلها، وتفاصيل وجهها وشعرها. يظهر في هذا الجزء من الرواية بأن المحقق يريد أن يعطي المعتقلة "رفعاً" في السلم

الاجتماعي، وكأنه يقدم عرضاً لها بأنه سيقوم بتوفير حياة أخرى لها تناسب هذا الجمال، ولا يمكنها إيجاده في واقعها الفلسطيني، فهنا يوجد الشاب الجميل واللطيف، إن هذا العرض يكرس "دونية" النظر "للآخر"، واستغلال ثنائية الأنا والآخر وما تحمله في التحقيق ، وذلك لكسر الصمود.

تظهر لنا رواية (ب.ط) بأن المحقق قد هددها بفضحها عن طريق الفبركة والإدعاء، فتقول"" كان يتهمني بشرفي، ووصل الحد معه للقول لي: راح أعمل صور الك، وأنزلها على الفيس بوك، عشان يعرفوا مين هاي"، إن الاتهام بالشرف هي من المحرمات في الثقافة الفلسطينية، واتهامه لها سيكون علانية، وسيتم نشر صور لها تثبت ذلك على الملئ، وبالتالي فإن حياتها بعد الخروج من المعتقل ستكون على المحك، وربما تقتل بسبب ذلك، هذا ما يريد أن يوحي لها به.

كما ظهر في رواية المعتقلات الكثير من المصطلحات التي وردت على لسان المحققين أثناء التحقيق، واللافت للنظر أن هذه المصطلحات هي مصطلحات تقال في الشارع الفلسطيني، واستخدمها المحقق وبلغتها العربية العامية، مثل "شرموطة" "قحبة" "حبلة" يا بنت الزانية" "إنت مصاحبة"، تقول (ص.ك): "طبعاً الشتائم لا توصف، شرموطة، يا بنت الزانية، إنت اجيتي تنضفي حالك هان، إنت حبلة، يا بنت الزناة"، "رايحة أقتلك يا ساقطة"، "إنت كنتي مصاحبة حدا"، وقد يعود استخدام المحقق لكلمات تحمل طابعاً جنسياً بحتاً، وكما تقال بلغتها وحروفها في الشارع الفلسطيني، إلى الحفاظ على التأثير النفسي الذي قد تلحقه بالمعتقلة، لأن تحويلها إلى لغة أخرى كالعبرية أو الانجليزية قد يفقد الكلمة المعاني التي تحملها الكلمة، والتي تعرفها المعتقلة في وعيها ولا وعيها، والتي تأتي من خلال السياق العام الذي تعودّت عليه المعتقلة وعاشت به.

أما (ن.و) فذكرت أن المحقق بعد أن طالبها بخلع ملابسها مهدداً إياها بالإغتصاب قال لها " في الآخر قالي: "إلبسي يا شرموطة"، تبين هذه الرواية ما بينته الروايات السابقة أن انتهاك جسد المعتقلة جنسياً هو الوتر الأكثر

حساسية، خصوصاً في حالة تجاوز هذا الانتهاك الألفاظ والتوجه نحو الفعل، والفعل هنا هو "الإغتصاب"، فتظهر روايتها أن توجه المحقق نحو فعل "الاغتصاب"، كان قوياً لدرجة إجبارها على خلع ملابسها، لإثارة خوفها من أن يقوم بذلك فعلاً، إلا أنه في النهاية بعد أن فشل في نزع اعتراف عليها، استمر في استخدام الطابع الجنسي، باطلاق كلمة "شرموطة" عليها.

هذا من جانب، أما من جانب آخر، تعرضت المعتقلات الفلسطينيات إلى انتهاك جنسي مشابه أثناء فترة التحقيق، تمثل بإخضاعهن بالاكراه للتفتيش العاري، تجبر من خلاله المعتقلة على خلع ملابسها، فوصفت (ج.ق) هذا الانتهاك بأنه:"مستحيل تمر عليكي لحظة في حياتك تشعري بالمذلة أكثر من هاي اللحظة"، وظهر في بعض الروايات أن المجندة قد أجبرت المعتقلة على خلع آخر قطعة من ملابسها، وإجبارها على اتخاذ وضعيات مذلة، كالقرفصاء لتفتيشها من الخلف، وملامسة جسدها بشكل مباشر، كما ظهر أن الغرفة التي يجرى فيها هذا التفتيش لم تكن مصممة بشكل يتلاءم مع إجراء ما يسمى "التفتيش العاري، ففي بعض الأحيان كانت عبارة عن غرفة عتاد للجنود، أو غرفة للمؤن، وقد تكون مطبخ أو حمام صغير بدون باب في أحيان أخرى.

ظهر أن المشاركات في البحث قد أبديّن استياءً كبيراً أثناء الحديث من هذا التفتيش، وظهر أن هذا التفتيش له آثاراً سلبية على نفسية المعتقلة، فاعتبرت (ن.ع) أن أسوأ ما مرت به هو التفتيش العاري نظراً لانتهاكه خصوصية جسد المعتقلة، ومن ثم عدد المرات التي يتم تفتيش المعتقلة بها بهذا الشكل، فتحدثت عن ذلك بقولها:

> "أسوأ ما كان التفتيش العاري الذي تعرضت له أكثر من مرة، أولها كان في الموقع المجهول الذي اقتادوني اليه فجر يوم الاعتقال، وهناك تم تفتيشي عاري مرتين، المرة الثالثة كانت عندما وصلت مركز الجلمة "كيشون" في نفس يوم الاعتقال، وكل مرة كنت أذهب للمحكمة أو أخرج كان يتم تفتيشي تفتيش عاري، بالاضافة إلى وقت دخولي إلى السجن... في العادة تكون مجندة، وبدخلوكي على مكان، إنتِ ما بتعرفي إذا كان هذا المكان

يوجد فيه كاميرا أم لا، في بعض الأحيان يكون خرابة، أو غرفة العتاد، مزبلة، تطلب منك المجندة أن تشلحي كل ملابسك ما عدا الملابس الداخلية، في أحسن الأحوال ممكن تجعلك تلبسين آخر قطعة فقط، وتطلب رفعها لفوق، يجب أن يتم إنزال البنطلون، وعندما دخلت في ثالث تفتيش عاري في الجلمة "كيشون"، طلبت مني أنزل كمان اللباس الداخلي، هنا أنا انفجرت خاصة أنني كنت في أيام الدورة الشهرية، صعب أن تنزلي لباسك الداخلي بكل ما فيه، الموضوع مؤلم وموجع، غير الذي يتحسسوكي، ويضعوا يدهم على جسدك، وبرفعوا الصدر وبتحسسوا تحته، تحت الابط، عندما دخلت أول يوم إلى السجن، طلبت مني أعمل جلوس قرفصاء، لأجل عمل تفتيش لجسمي من تحت، عند فتحة الشرج، إذا أنا مخبية اشي هناك، الوضع مقرف، ويؤثر على المعتقلة بطريقة نفسية مش طبيعية، النخشون أسوء موقف، المجندة عندما كانت تريد تفتيشك تفتيش عاري، وهي مكتفة ايديها، وتأشر بإصبعها إرفعي، من غير ما تحكي بس تأشر باصبعها، وترفعي في أواعيكي، وتصيري عارية، تشعري إنها تنظر الك نظرة خطأ، إمرأة مثلك مثلها، ولكن نظرتها خطأ، تطلع عليكي من فوق لتحت، وتطلع على أعضائك بطريقة سيئة، هذا كان موقف صعب".

إن الجسد هو الموقع الرئيسي الذي تمارس عليه السلطة، إن فكرة انتهاكه تقوم على امتلاك سلطة شاذة أو سادية تجاه جسد المعتقلة، يتم من خلالها التعدي على جسد المعتقل باعتباره شيئاً قابلاً للمشاهدة والتفتيش بصورة "الآخر"، كما يراها من يملك السلطة، هذه السلطة المطلقة في هذه اللحظات، وفي هذه اللحظة التي تنظر فيها المجندة للجسد تنظر اليه بأنه شيئاً قابلاً للتفتيش والمشاهدة في كل أجزاؤه، إنه امتهان لكرامة الإنسان، إنه القهر الذي يمارس على هذا الجسد، القهر الذي شعرت به المشاركة، القهر باستباحة تفتيش جسدها، بطريقة مشابه لسادية المستعمَرين في النظر إلى أجساد المستعمرات للمتعة. هذا من جانب، من جانب آخر، إن فكرة إنتهاك الجسد تقوم على فكرة العمل على إسقاطات عليه، فالجسد كجسد هو خاضع للممارسات الإجتماعية على أرض الواقع، وعليه فإن ممارسات الإنسان وأفكاره ومعتقداته خاضعة لمنظومة من الصفات العملية المكتسبة، وهي بمثابة مخطط تحفر على الجسد (ظاهر 2019، 50).

في ذات الوقت نجد في الرواية أنه تم التعامل مع القاصرين بذات الطريقة، وهذا ظهر في رواية (ت.ح) من خلال التالي:

" أول ما دخلت السجن أنا قاصر عمري 15 سنة، كان في ضابط اسمه علي، بحكيلي هسه بدهم يفتشوكي السجانات، أنا فكرت تفتيش عادي، في ماكنة أو إشي زي هيك، طلع تفتيش عاري، فتشتني عاري بشكل كامل، كان مطبخ وعليه برداية، إحنا كمان غريب علينا إنك تتفتشي عاري، بتشعري إنو إشي بجرح وبضايق".

على الرغم من أنه (ت.ح) فتاة قاصر، ومن المفروض أن يتم التعامل مع القاصرين بطريقة مختلفة حسب القانون الإسرائيل، الذي يحتم وجود محقق وإجراءات محددة للتعامل مع القاصرين، إلا أنه تم التعامل معها من قبل جنود وضباط عاديين، وتم تفتيشها بشكل عاري، دون أن يتم توضيح ذلك لها قبل إجراء التفتيش، في مكان غير مهيئ بتاتاً، في ظل صدمة من المعتقلة.

أما في الحالات التي ترفض فيها المعتقلة الخضوع لهذا التفتيش العاري، فإنه يتم ضربها بقوة، أو جلب الكلاب لها، فتقول المشاركة (ص.ك) عن تجربتها:

" إجت مجندة بتحكي الي اشحلي كل اشي، بقول لا، أنا مش مدنية، أنا أمنية، أنا ما في معي مخدرات، لا لازم تشلحي، رفضت، إجت بدها تشلحني أواعي بالغصب، دفعتها، صارت تنادي السجانيين، أجى واحد اسمه شاهر، وإجت كمان واحدة، ضربوني بقوة، كأنهم انفشوا فيّ، بالكلبشة على رجلي وإيدي وكل جسمي، كثير توجعت، مسكوني على شعري، وسحبوني على غرفة ثانية، وحطوني في زنزانة، شكل الي كاينة فيها مدمنة، مجنونة، كانت تعمل الدورة على الحيط، والوسخ على الحيط، ما قدرت، ما تحملت، ضليت على الأشناف، الفتحة الصغيرة على الباب، إني بدي أشم هوا، ما في مكان للنوم تعبانة، وغير الضرب، وبرد كانت الدنيا، لما وصلت المحكمة، إمي أول ما شافتني قالتلي مالك اشي إنت؟ قلتلها لا أنا منيحة تمام، بقول لأخوي، ابعتولي محامي، كان الدم ينزل من ايدي، دخلوا علي محامي، قلت للمحامي خلص بدي أروح على السجن، ما بدي أضل عندهم، حلمي صار أروح عن البنات في السجن، أنا تعبانة، وصلت عند البنات، أغمي علي، بعدها شلحت، كل جسمي أزرق، صاروا البنات يطرقوا في الباب، إنهم يوخذوني على العيادة، رفعت عليهم قضية، قالوا إني بستاهل، شو بدو يطلع منهن".

وهذا ظهر في رواية المعتقلة (ج.ق) بقولها: " برفع راسي شوي، في حمام صغير، بفوتوا فيه المعتقلة، وبفتشوا المعتقلة عاري (أنا رفضت)، قالتلي المجندة ما بدك تتفتشي عاري، جيبو المجند مع كلب"، تبين رواية المعتقلات بأن التفتيش

العاري من أصعب اللحظات التي تمر على المعتقلة، فالتفتيش العاري فكرة مؤلمة للأسيرات لأنها تحمل بداخلها فكرة الإجبار، الإجبار على إجراء فعل التعري بشكل أساسي، ولأنها أيضاً مرتبطة بفكرة الاعتناء بنظافة بالجسد، الاعتناء بنظافة الجسد في هذا المكان المحصور، الذي لا تتوفر فيه مقومات ذلك، ومع إجراء هذا تظهر إيماءات الاستهزاء من قبل المفتشة الجندية، هنا تظهر ثنائية "الأنا"، و "الآخر"، كأنثى ومعتقلة أنا لا أستطيع الاهتمام بنظافة جسدي بالطريقة التي أريدها أنا في هذا المكان، وأجبر على خلع ملابسي، مقابل الجندية التي تأتي بشكل "جميل"، ورائحة العطر القوية، والشعر المتناسق، إن هذا ينم عن فكر استعماري تاريخي متعلق بمتعة النظر إلى أجساد النساء في المستعمرات، بأي وقت وبأي طريقة يريدها المستعمِر، وهنا لا يوجد فرق إذا ما كانت التي تجري عملية التفتيش رجلاً أو امرأة، فالفكرة جميعها تدور حول عملية الهيمنة على هذه الأجساد في مخيلة هؤلاء الجنود، بحيث يصبح هذا الجسد وكأنه جسد صالح للمشاهدة في صورة "الآخر" المتخلف، الملون، غير النظيف" لإنتاج المتعة التي يريدها "الأنا" والتي تحتوي على كل أجزاء الخوف والكره والعنصرية، إن الخوف من هذا "الآخر"، يظهر عندما يرفض الاستجابة لمطلب التفتيش العاري. إن الرفض هنا لا يختزل فقط بخلع الملابس، إن الرفض يعني رفض النظر إلى هذا الجسد، رفض النظر إليه بالصورة التي تريدها السياسات الاستعمارية، الأمر الذي من شأنه أن يثير في نفس الجندي شعوراً سادياً يعكسه على المعتقلة بممارسة المزيد والمزيد من العنف ضدها.

وتبين الروايات بأن المعتقلات لا يستطعن رفع شكوى ضد أي من جهاز أو شخص، إذ أن هذه الشكوى بحاجة إلى إثبات، فكيف يتم إثبات ذلك في ظل مكان محكم الرقابة، ويظهر ذلك من خلال قول (ن.ع): " قلت للمحامية والصليب عن هذا التفتيش المذل، الصليب أراد تقديم شكوى، لكن يجب أن يتم إثبات الشكوى؟ هذه مشكلة حتى لو بدك تحكي عن تحرش حدث، كثير صعب إنك تثبتيه"، وهذه إحدى أهم الإشكاليات التي تواجه المعتقلة، فكيف تستطيع المعتقلة

تقديم شكوى، إنه "العنف المشرع" في منظومة مبنية بأكملها على كسرها وممارسة العنف تجاه الجسد، هذا النظام الذي يبني نفسه على هذه المحاولات السادية والشاذة إنها المنظومة الاستعمارية التي لا تتوقف على جهاز السجن فقط، بل تمتد إلى القاضي والمحكمة، والمنظومة الاستعمارية بأكلمها في الخارج.

المحقق وشخصياته التمثيلية:

ظهر من خلال الروايات أن هناك أسلوباً آخر ظهر بشكلين أثناء التحقيق وهو تعدد الشخصيات في التحقيق، الأول ظهر أن غرفة التحقيق قد احتوت على أكثر من محقق، لكل محقق أسلوب ودور "تمثيلي" مختلفه، فهناك المحقق الشرس العنيف، المحقق الحنون، المحقق الناصح، المحقق الإنساني، المحقق الديمقراطي وهذا ظهر أثناء رواية (ص.ك)عندما قالت:

> " في المحقق الشرير وفي المحقق الطيب، بيجي المحقق اللطيف، أنا بدي مصلحتك، وبيجي المحقق الشرير بسب وممكن يتهجم عليكي، يمسك بشعرك، أي إشي ممكن يعملو، هو حرّ، برجع بيجي الطيب اللطيف بعدها، بحكي أنا فاهم، أنا حاسس، أنا بعرف".

هذا التنوع في الشخصيات نجده في رواية (أ.ق) "تعرضت لتحقيق كان عبارة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بحياتها الشخصية والاجتماعية": "كان يحقق معي محققين، واحد كان يستخدم أسلوب نوع من الدبلوماسية والديمقراطية في الحوار، والثاني جاء بالصوت العالي ويخبط على الطاولة". أما المشاركة (آ.ر) فأظهرت روايتها على أن غرفة التحقيق قد احتوت على أكثر من محقق، واحد منهم قد حاول مراوغتها من خلال الإيعاز لها بأن قطعة السلاح التي اعتقلت بسببها غير ذات فائدة، فيما حاول المحقق الثاني تهويل أمر هذه القطعة، فتقول (آ.ر): " محقق يقول أصلاً ما هي قطعة السلاح مصدية مش رايحة تنفع ولا تفيد، محقق ثاني لا هسه تزيتت وتنظفت، والله أعلم كم واحد تقتل، وهيك رايح يكون خراب ديار على الكل وإنتي أول واحدة".

تظهر هذه الروايات بأن غرفة التحقيق قد احتوت على أكثر من محقق، إما في ذات الوقت، أو واحداً تلو الآخر، ويظهر بأن شخصية المحقق التي يتقمصها في كل مرة هي شخصية "تمثيلية"، بمعنى أنه يقوم بالتمثيل على المعتقل، فالمحقق الحنون هو ليس حنوناً، والناصح ليس ناصحاً، والشرس يمثل هذا الدور. إن هذا التنوع في شخصيات المحقق يتوقف على اللحظة الآنية، بمعنى إذا تعرضت المعتقلة لضغط وإرهاق شديدين من قبل المحقق "القوي، الشرس"، يأتي بعده المحقق "الناصح، الحنون"، فيظهر نفسه بمظهر المنقذ، أو القشة التي من الممكن أن تنقذ هذه المعتقلة، ويكون ذلك من خلال شيء يظهره المحقق بأنه "بسيط"، ومن السهل على المعتقلة أن تقوم به، لإخراج نفسها من هذه "الورطة"، وهو الاعتراف، اعترافها بالتهم الموجهة لها، سواء كانت على علم بها أم لم تكن على علم بها، يجب عليها الاعتراف.

أما الشكل الثاني فيظهر من خلال المحقق نفسه، إذ يتقمص ذات المحقق مجموعة من الشخصيات، المتناقضة فيما بينها، والتي يتنقل بينها واحدة تلو الأخرى بناء على اللحظة الآنية وتقيمه لنفسية المعتقلة، فتارة يظهر إنسانية "تمثيلية" تجاه المعتقلة "الأم تيريزا"، وتارة أخرى يظهر وكأنه "الوحش"، وهذا نجده في رواية المشاركة (ك.ق):

> "أنا لاحظت نفس الشخص كان يتغير، يعني ممكن الي حقق معي الصبح نفسه بعد العصر، بس الصبح تعامل معي منيح، رجعت عليه العصر كان معصب، فكان يستخدم أكثر من وسيلة، مثلا ذات المحقق كان يستخدم الوسيلة الأولى إنو إنتي إمرأة كبيرة ومريضة، رورحي على بيتك وولادك، وإنت مش وجه بهدله، وسجن، ومسكوبية، وزنزانة، الوسيلة الثانية، إحنا والله غير إنروجيكي، غير ضلي هون تعفني، ما حدا رايح يطلع عليكي، إنسي الدنيا الي بره كلها، ما حدا بقدر يعمل الك اشي، ما حدا راح يساعدك، بشعروكي إنك رايحة تنقطعي عن العالم الخارجي".

وتظهر هذه الشخصية في رواية الطفلة (م.غ) "تعرضت لتحقيق تم فيه كلبشة رجليها ويديها لساعات طويلة، حرمت من حقوقها باستخدام الحمام وتوفير وجبات طعام، واستشارة محامي كونها قاصر:

" دخلت كانت المحققة اسمها ليزا، هي ما معها الصلاحية إنها تحقق معي، هي محققة مع الكبار، وأنا قاصر تعاملت معي بطريقة خبيثة، مرات تصرخ فيّ، ومرات تحكيلي يلا عشان نخفضلك الحكم، بعدها ترجع تهددني بأهلي، قالتلي مش رايح نخليكي تشوفي أهلك، ورايحة تنسجني 11 سنة."

أما رواية (ز.س) فتظهر ذات الدور التمثيلي للمحقق:

" أصرّ علي أشرب اشي لكن أنا رفضت ولم أقبل بتاتاً، صار في هاي اللحظة معصب، رجع أصر عليّ ومع إصراره الشديد كنت أنا أرفض، الي أنا فهمته إنهم بعملوا هيك مع أي حدا، من باب اشعاره أنه في جو لطيف، وأنا هاي الحركات ما بتزبط معي، أنا من النوع الي برفض يضيّف، لأني بعتبره بصراحة بداية لمهادنة، وأنا مش معنية، برفض أي اشي منهم.

وأظهرت رواية (آ.ر) ذلك الصديق الناصح، الإنسان الذي يؤنبه ضميره، عندما قالت:

"واحد من المحققين لقاني في ساحة المسكوبية ماخذيني على محكمة، فقالي، صحيح أنا كنت قاسي معاكي، بس بضل إنسان، ما تخافي، أخيراً التقوا في "المردوان" الوفد المفاوض، وقال: الوفد الفلسطيني معهم حصانة دبلوماسية، وما بدهم يتفتشوا في المطارات، وما بدهم يخضعوا للرقابة، ولما فتشناهم لقينا الكهربائيات، يعني رايحين يتسوقوا، هاي عصبتني شوي، مع إنهم كانوا عارفين إني أنا معارضة للمفاوضات، قلتلهم يعني وفدنا الي رايح يتسوق، وفدكم اسم الله عليه كان رايح يفاوض، قال لا كلهم أوسخ من بعض، قلتلو هيك مش مشكلة".

إن تنقل المحقق ذاته بين مجموعة من الشخصيات التمثيلية وإتقانها الشديد كما أظهرته الروايات، إنما يدّل على مدى الاهتمام والدعم الذي يقدم لهؤلاء المحققين للقيام بدورهم الاستعماري على أكمل وجه، ويكون ذلك من خلال قدرتهم على تقديم لوائح اتهام بحق المعتقل بناء على اعترافاته المقدمة في التحقيق، من شأنها الزج به لسنوات طويلة داخل المعتقل، حتى لو تم نزع هذه الاعترافات في ظروف نفسية وجسدية خارجة عن طاقة المعتقل، فالهدف هذه الاعترافات التي بسببها يتنقل ذات المحقق والمحققين مع بعضهم البعض ضمن شخصياتهم التمثيلة هذه التي أظهرتها الروايات.

الخروج من التحقيق:

تأتي مرحلة دخول السجن، مباشرة بعد الانتهاء من جلسات التحقيق، وقد تأتي أحياناً وفي حالات قليلة مباشرة بعد الاعتقال، ويتم التحقيق بعد يوم أو يومين، ومن خلال المشاركات في البحث ظهر أن اللحظات الأولى هي لحظات لا يمكن أن تنسى، من ناحية المشاعر والانفعالات الأولى التي رافقت المعتقلة أثناء دخولها للمعتقل في هذه اللحظات، وتنوعت هذه الانفعالات بين البكاء الشديد، الصدمة، التعب والإرهاق، التوجس والخوف، الفرح للخروج من مرحلة التحقيق، الشعور بالراحة.

تبين رواية المعتقلة (أ.ق) بأن رحلة الاعتقال التي تعرضت لها، كانت قد أرهقتها بشكل كبير، عدّا عن الألم النفسي الذي تعرضت له من جراء ما حدث معها، إذ تم اعتقالها من حاجز زعترة بدون سابق إنذار، رحلة العذاب تلاها دخولها إلى المعتقل، وتبين روايتها نقطة مهمة، وهي حالة أخرى لازمتها في اللحظات الأولى لدخول المعتقل، وهي التوجس والخوف، إذ وجدت نفسها في بيئة غير بيئتها، بين معتقلات لا تعرف أياً منهن، لذلك يبدو بأن الإرهاق والتعب الشديدين من ناحية، والتوجس والخوف هما السمتان البارزتان لهذه اللحظات، إذ تصفها:

> "أول يوم تم اعتقالي فيه على الحاجز، هو أول يوم دخلت على السجن عند البنات، لم أذهب الى الاستجواب، ذهبت الى الاستجواب بعد يومين من وجودي داخل السجن، بصراحة حدا معتقل طول اليوم، وآخر النهار الساعة 9 بالليل وصل السجن، هو في شدة التعب والإرهاق، والألم النفسي، أنا عن تجربتي الشخصية كنت أريد مكان أجلس فيه، وأفكر، وأجلس مع نفسي، حتى ممكن أبكي، وأفرغ عن نفسيتي.
>
> لما وصلت كان موجود في الغرفة ستة أسيرات كبار في العمر، نساء فوق الأربعين، أسيرات بعمر جدتي، واحدة بعمر إمي، واحدة عمر 35 سنة، فكنت أنا أصغر أسيرة بينهم، بس أنا ما كنت متخيل الوضع الي أنا موجود فيه، ولا أعرف مين هم هدول الأسيرات، ثاني اشي أنا مش متخيل حالي إني أعيش مع بيئة مختلفة عن البيئة الي أنا عايش فيها، هذا كان تحدي بالنسبة لي، تحدي إنو إنت بدك تتأقلمي مع هذا الظرف، حتى

أنت في نفس الوقت بدك تخففي عن هؤلاء الناس، وإنت عايشة في ظرف صعب، وفي نفس الوقت بدك تخففي عن حالك، فكانت هنا الصعوبة، أنا كل تجربة جديدة بحاول في بدايتها ألتزم الصمت، ما أحكي مع أي حدا، فقط مجاملة مع الأسيرات.

إجت بعدها علي المسؤولة في القسم دلتني على تختي وغرفتي، وعلى الناس الموجودة، لما شفت المكان الذي سأجلس فيه ارتحت نفسياً أكثر وأكثر، لأني أنا بدي أفهم شو بصير، بدي أقعد، بدي أرتاح من الرحلة الطويلة الي كنت فيها، أستطيع القول أنني لم أرتح نفسياً إلا عندما جلست على التخت، بعد يوم كامل من التعب والارهاق، عندما يركن الانسان ويجلس الانسان مع نفسه، يحاول أن يفرغ، نحن البنات نحاول أن نفرغ بالبكاء، بالنسبة لي البكاء الصامت، كنت أنا أجلس في التخت، وأبكي بصمت، وكنت أعتبر هذا النوع من التفريغ".

يبدو بأن المعتقلة كان لها معرفة مسبقة بضرورة التزام الصمت، وتصبح مقاومة المرأة هنا بالصمت وليس بالكلام، وهنا تصبح المعادلة بشكل مقلوب، فبعد أن كان الكلام خارج المعتقل هو مقاومة، يصبح الصمت داخل "السجن هو "المقاومة"، بمعنى مقاومتنا هنا ليس بالكلام كما قالت آسيا جبار، بل بالصمت، وعدم التحدث، إنها الحالة التي نستاءل فيها عن إبقاءها صامتة في الخارج ومقاومتها بالكلام، والحالة التي تتحول فيها بأن تصبح مقاومتها بالصمت في الحالة التي يفرض عليها أن تتحدث فيها.

في رواية (ص.ك) ظهر أن القوة التي كانت تتمتع بها لحظة اعتقالها من حاجز قلنديا، تحولت إلى انهيار لحظة دخولها إلى المعتقل، وقد يكون ذلك عائداً بالدرجة الأولى إلى شعورها أن هذا المكان هو الأمثل حتى تستطيع أن تفرغ عن نفسها بعد ما تعرضت له من الضرب والشتم والسبّ، والذي لم تردّ أن تظهره أمام الجنود، ويظهر ذلك من خلال حديثها عندما قالت:

"" في فترة المسكوبية كنت عادي، إن شاء الله طخوني ما قلقت، ولا عيطت، ولا دمعت، بس لما نزلت عند البنات وين أنا؟ شو صار؟ دموع دموع، وأنا من أول ما انحبست ما دمعت، ما زعلت، ما ندمت، البنات يقولولي يا حبيبتي ما تعيطي إن شاء الله ما بطولي، سألت عن أحكامهم واحدة تقولي عشر سنين، واحدة تقول عشرين سنة، هاي المرة معها سكري، هاي المرة معها قلب، هاي البنت عمرها 14 سنة".

تبين رواية المشاركة بأن المعتقلات قد حاولنّ مواساتها، هذه المواساة يبدو بأنها انعكست على نفسية المعتقلة بشكل إيجابي، بعد أن رأت محكوميات المعتقلات الأخريات، ويعتبر أسلوب المواساة والدعم النفسي الذي تقدمه المعتقلات لبعضهن البعض من أهم الوسائل التي من شأنها أن تخفف عن المعتقلة ما تعرضت له، أو أن تخفف عنها ظروف المعتقل ووحشيته.

إن كل القوة التي استملكتها المعتقلة أثناء اعتقالها، أو التحقيق معها، وصمودها وقوتها أمام المحقق، وما تطلبته هذه المرحلة برمتها، اختلفت باللحظة التي رأت فيها المعتقلة نساء فلسطينيات معتقلات مثلها، إنه الجزء المألوف بالنسبة لها، إنه الجزء الذي تستطيع الآن فيه أن تظهر ضعفها وخوفها، إنه المكان الذي لن يحاسبها على ذلك، فالمعتقلة ليست أسطورة، إنها إنسانة تشعر وتتألم وتجوع، إنها بحاجة إلى تلك اللحظة التي تجلس فيها وتبكي، بحاجة إلى إخراج هذا الجزء الضعيف منها، الجزء الضعيف القوي، هنا تستطيع المرأة أن تبكي، ومسموح لها أن تفعل ذلك، وهي ميزة بالنسبة لها، فلا حاجة لإخفاء هذا البكاء، على عكس الرجل المعتقل، الذي يتحتم عليه عدم البكاء، فبكاء الرجل هو ضعف مجتمعياً، والرجل يجب أن يبقى قوي. أما في رواية المعتقلة القاصر (ت.ح) والتي كانت تمرّ على حاجز بيت عور شارع 443، مع صديقتها القاصر (ن،ش)، حين باغتها جنود الاحتلال بإطلاق وابل من الرصاص عليهما تلاه الضرب الشديد، فكان أكثر ما شغلها حين دخولها إلى داخل المعتقل هو ما حدث مع صديقتها نتالي الشوخة، لذلك كان السؤال الأول الذي سألته لأول معتقلة رأتها وهي المعتقلة لينا الجربوني، والتي كانت ممثلة المعتقلات حينها، ما حدث لصديقتها، تقول (ت.ح):

> "طلعوني على السجن مباشرة، أول اشي شفت المعتقلة لينا الجربوني، أول سؤال سألتها اياه، وهي بكون معها أخبار، إذا (ن،ش) إجت، استشهدت، في المستشفى، ما كنت مصدق إنها استشهدت، قالتلي طلعوا خبر إنها مصابة مش مستشهدة بس إنو إصابتها خطيرة، وقتها صرت أعيط، وبعدها حكتلي خالتو لينا

> إنهم بدهم يوخذوكي على غرفة القاصرات، والصبح بتحكي معي، لأني أنا وصلت السجن الساعه أربعة الصبح تقريباً، نزلت على غرفة القاصرات، القاصرات استقبلوني، أعطوني إلي بحتاجة، وأواعي، وحضروا أكل، هيك أشياء".

كما تظهر رواية (ت.ح) مدى التضامن الكبير بين القاصرات، فيبدو بأن المعتقلة أثناء اعتقالها على الحاجز لم تكن تمتلك أي ملابس، أو أكل، وهذا مشابه في العادة لما يحدث مع كافة المعتقلات لحظة اعتقالهن سواء عند الاعتقال من البيت أو الحاجز، أو الجامعة، أو أي مكان، فظهر أن الالتفاف حولها من قبل زميلاتها القاصرات كان قويّاً على الرغم من عدم وجود معرفة شخصية بينها وبينهن، وهذا بالذات ما يميّز السجن، فالعلاقة هنا ليست علاقة دمّ أو قرابة، هي علاقة بين أشخاص يتعرضون لذات الاستعمار الصهيوني وممارساته المختلفة على الأرض، وهذا بحدّ ذاته سبب كفيل بإيجاد صلة قويّة تدوم حتى بعد الخروج من المعتقل، إن هذا التضامن بين المعتقلات يعتبر أيضاً من أكثر الأساليب المنتشرة بين المعتقلات، والتي من شأنها أن تخفف عن المعتقلة وطأة ما تعرضت له أثناء الاعتقال، وأن تخفف عنها ظروف المعتقل، وقوانين أجهزة السجن.

نجد أن هذا التضامن بين المعتقلات ظهر أيضاً في رواية المشاركة (ج.ق)، فحاولنَّ طمأنتها، وتزويدها بالماء، وبملابس، وتوفير حمامّ لها فتقول:

> "السجانة سهير أخذتني على غرفة المعتقلة (هـ.ن)، كانت (هـ.ن) وكان معها المعتقلة (إ.ح)، وأنا روحت عندهم، قالتلي (هـ.ن) ارتاحي، وجابتلي ميّ، وشربت ميّ، أعطتني غيار، وقالتلي فوتي تحممي، للأمانة قد ما أوصف معاملة (هـ.ن) الي، ما بقدر، وقفت معي وقفة لا يمكن أنساها، شعرت إنو (هـ.ن) حدّ قريب مني، أعطتني غيار وقالتلي فوتي تحممي".

ويبين هذا الجزء من الرواية بأن هذا الالتفاف كان أحد الأسباب الرئيسية التي استطاعت أن تخفف من وطأة الصدمة التي تعرضت لها (ج.ق)، جراء اعتقالها وتعرضها للضرب الشديد أثناء اعتقالها والتحرش اللفظي، وحرمانها من الأكل والماء لساعات طويلة.

ما يميز هذا التضامن بأنه يأتي في مرحلة يذوب فيها الألم الفردي مع الجماعة، لا يعني بالضرورة أنه يختفي، ولكن يتم إخفاءه، ففي اللحظات التي تتألم فيها أحد المعتقلات، يحاول الجميع الوقوف بجانبها والالتفاف حولها، يأتي ذلك لغرض التضامن، وربطها مع الجماعة، وإشعارها بأن الألم الفردي هو ألم مشترك، ولكن هنا من الضروري ألا نفصل الألم الفردي عن الألم الجماعي، ولكن ما يحدث أنه في بعض الحالات يطغى هذا الألم الفردي على الجماعي، وفي أحيان أخرى يطغى الألم الجماعي على الفردي، إنهما في حالة صراع صامت هادئ، الذي يحمل بداخله حاجة للانفجار، ولكن ما يمنع هذا الانفجار هو شعور المعتقلات بأنه يتم التربص بهن كنساء ضعيفات، وحاجة إدارة المعتقل إلى الشعور بانتصارها عليهن، فتصبح فكرة الارتباط الفردي بالجماعة هو نقطة القوة الأكبر في داخل المعتقل. إن ما يعزز هذا التضامن هو سمات التجربة المشتركة ليس في داخل المعتقل، إنها تجربة الفرد التي يتشارك به مع هذه الجماعة في المقاومة خارج جدارن المعتقل، إنه ارتباط المعتقلات مع بعضهن البعض في الخارج، ارتباط المهمشين بالمهمشين، هذا الارتباط جاء نتيجة تشاركهن ذات السمات التي ساهمت في قمعهن في الخارج، وامتد هذا القمع إلى داخل " السجن".

ولكننا إذا أردنا المقارنة بين اللحظات الأولى لدخول (ج.ق)، ودخول (هـ.ن) "المعتقلتين مشاركتين في هذه الدراسة"، نجد بأن (هـ.ن) كانت قويّة، لم تكن متوجسة، وظهر ذلك في روايتها: " أنا بذكر أول اشي لينا الجربوني أول ما استقبلتني مسكت بايدي، قالتلي ليش خايفة؟ قلتلها لا أنا مش خايف، أنا قويّة"، وقد يكون الاختلاف في ردود الفعل بين المشاركتين إلى أن ما تعرضت له (هـ.ن) كان متوقعاً من قبلها، (محاولة القيام بعملية طعن على حاجز نعلين)، ولم يكن وليد الصدفة، أو مفاجأة بالنسبة لها، بينما نجد أن (ج.ق) (اعتقالها من البيت، لم يكن لها أي انتماء حزبي، أو نشاط سياسي)، شكل لها صدمة أرهقتها نفسياً بشكل كبير، فظهر وكأنها في عدم استيعاب، أو عدم تصديق.

إن هذا الاختلاف في ردة الفعل على عملية الاعتقال نابعة من عنصر المفاجأة، أو الصدمة، نتيجة عملية الاعتقال بحد ذاتها، فتوقع الاعتقال نتيجة النشاط السياسي، كانت أهم سبب خفف من عنصر الصدمة نتيجة هذه العملية، فيما ظهر أن المشاركات اللواتي لم يسبق لهن أي تجربة سياسية قد تعرضن لنوع من الصدمة، وعدم التركيز، هذا بحد ذاته يعمل فرق في التعامل مع كل تجربة.

(ن.ع) هي حالة مشابه تماماً لما حدث مع المعتقلة (ج.ق)، إذ تم اعتقالها دون أن يكون لها أي انتماء سياسي أو حزبي، فقط تم اعتقالها لأنها موظفة في جمعية قطر الخيرية، على الرغم من أن عمل هذه الجمعية هو عمل مرخص في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية، تقول (ن.ع):

> "لم يتم اعتقالي إثر أي نشاط سياسي، ولا أي عمل مصنف "إجرامي أو إرهابي" بالنسبة للسلطات الاسرائيلية، فقط كان اعتقالي لأني موظفة جمعية غير قانونية بنظر السلطات الإسرائيلية، فكان مفاجئ لي أن يتم اعتقالي على خلفية عملي بجمعية مسجلة لدى السلطة الوطنية الفلسطينية، ومسجلة بقرار من الرئيس، وكان هناك مذكرة تفاهم بين رئيس الجمعية في الدوحة وبين رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية سيادة الرئيس أبو مازن، ولم أكن أعلم عن أي شيء أنها محظورة بالنسبة لإسرائيل".

وبالتالي فإن اللحظات الأولى لدخولها المعتقل كانت مشابه لما حدث مع (ج.ق)، فكانت (ن.ع) مرهقة ومتعبة، من عملية الاعتقال والتحقيق التي تعرضت لهما، إلا أنها اعتبرت أن ما خفف عنها هذا الحال هو إيمان المعتقلات بأنهن في مركب واحد، وأخوات، وكذلك شخصية المعتقلة لينا الجربوني والتي كانت قد وضعت قوانين تنظيم الحياة داخل المعتقل، فتقول: "وصلت السجن متعبة، شفت الأسيرات، وشفت عميدة الأسيرات لينة الجربوني، أدركت أننا في مركب واحد، وكلنا أخوات. كانت لينا الجربوني واضعة قوانين داخل السجن، وكان هذا له دور أن نعيش حياتنا منتظمة نوعاً ما".

في منحنى آخر ظهر أن الشعور بالراحة لدى المعتقلة وكأنها عادت إلى بيتها وأهلها، والفرح من جراء الخروج من التحقيق هو السمة الأبرز للمشاركتين (ك.ق) (ب.ط)، فتقول (ك.ق):

"بعد ما خلصت جلسات التحقيق هاي، ضليت في المسكوبية تقريباً من شهر 11 لشهر 3، بشهر 3 نقلوني على سجن تلموند، هو سجن هشارون، وهو خاص بالأسيرات، هذا السجن للنساء، وكان فيه رجال وأشبال، فكان في هذا القسم قسمين، موقوفات ومحكومات، طبعاً أنا ما كنت محكومة، لما تروحي هناك انتهى التحقيق، والعلاقة التي تربط الأسيرات مع بعض، علاقة كثير قوية، شعرت إني روحت عند أهلي".

أما (ب.ط) فقد وصفت هذه اللحظات بأنها:"

"أول ما دخلت، دخلت بمرح، أنا مبسوطة، فترة التحقيق، والعزل 15 يوم انتهت، دخلت أضحك، بعرف فلانة وفلانة، أنا كنت أصغر واحدة، كنت أقولهم، أنا ارتحت، اتحممت وصليت الظهر، وسبحان الله، أول سجدة في سجن شارون قسم 11 مش عارف ربي ألهمني الدعاء اللهم عجل بصفقة شاليط، مع إنو ما كنت متابعة، سبحان الله ما في ثلاث شهور إلا هم أعلنوا عن الصفقة".

تبين رواية (ك.ق) و(ب.ط) في هذا الجزء بأنهن شعرنّ بالراحة للانتهاء من فترة التحقيق، خصوصاً أن هذه الفترة استطاعت فيها المشاركتين الصمود في التحقيق دون انتزاع أي اعتراف منهن، فدخلت (ك.ق) وهي مرتاحة لأنها أنهت التحقيق والآن هي موجودة بين زميلاتها في المعتقل، أما (ب.ط) دخلت وهي تضحك، وبدأت بالسلام على المعتقلات، وتظهر الرواية بأن (ب.ط) كانت على معرفة بهؤلاء المعتقلات، وقد يعود ذلك إلى تاريخ عائلتها النضالي، هنا نجد بأن الشعور بالراحة كان نتيجة معرفة مسبقة إما بالأشخاص الموجودين داخل غرف المعتقل، أو بوجود تجربة سياسية خارج المعتقل، صحيح أن المشاركة (ك.ق) لم تكن تتوقع حدث الاعتقال، ولكن معرفتها بالنشطاء السياسيين خارج المعتقل، ساهم في استيعابها لما تتعرض له.

تبين الروايات أن ردة الفعل لدخول المعتقل اختلفت بين المعتقلات، وقد تراوحت بين مشاعر الفرح والراحة، وبين مشاعر الحزن، وبين حالة الذهول والتوجس، والخوف من الاندماج مع الآخرين، وقد ظهر بأن هذا

الاختلاف عائد بالدرجة الأولى إلى مرحلة ما قبل الاعتقال، بمعنى النشاط السياسي والوطني للمعتقلة، أو إلى معرفة المعتقلة بتجارب لمعتقلات سابقات، أو إذا كانت المعتقلة تنتمي إلى عائلة ذات تاريخ نضالي، فقد أظهرت هؤلاء المعتقلات شعوراً بالفرح والاندماج السريع، فيما ظهر أن المعتقلات اللواتي لم يسبق لهن ممارسة أي تجربة سياسية غلب عليهن التوجس والخوف في البداية.

تمتد الخبرة التي تشكل ردة الفعل على عملية الاعتقال، إلى ما بعد الدخول داخل "الغرف"، وذلك في حالة الخبرة في التعامل مع العصافير بالذات، خصوصاً أن هذا الأسلوب هو أسلوب شائع ومنتشر داخل المعتقل، وهذا ما نأتي عليه في جزء مكملات التحقيق.

مكملات التحقيق:

تظهر مكملات التحقيق كأساليب أخرى بعد أن تفشل أجهزة الاستخبارات والتحقيق في انتزاع أي معلومة من المعتقل، فتلجأ إلى وسيلتين أساسيتين ظهرتا في رواية المشاركات في البحث، وهما العصافير وعملية الإسقاط، وتظهر الروايات بأن هاتين الوسيلتين هما أكثر الوسائل "ضبابية، وسرية"، بحيث لا يقوم هذين الأسلوبين على تطويع وإرهاق الجسد، وإنما على أسلوب آخر يقوم على "الخداع بسرية".

العصافير:

ظاهرة منتشرة في المعتقلات، إذ تقوم أجهزة السجن بإيهام المعتقل بأن مرحلة التحقيق معه قد انتهت وانتقل إلى المعتقل، أو قد تضع معه في غرفة التحقيق "عصفور" على أساس أنه معتقل يتم التحقيق معه ". تقوم فكرة العصافير على إيهام المعتقل بأنه يتشارك هذه اللحظات مع أشخاص يحملون نفس أفكاره ومعتقداته، أما الحقيقة فإن هؤلاء العصافير يتم استخدامهم من قبل أجهزة المخابرات كأسلوب آخر يقوم على الخداع وليس

على الترهيب والتطويع، وهو أقرب إلى أسلوب المحقق أو المحققين في أدوارهم "التمثيلية"، يتعاون فيه "العصفور" مع إدارة السجن في نقل أي معلومة يستطيع الحصول عليها من قبل المعتقل بعد أن يظهر للمعتقل بأنه رفيق ويقوم بنسج قصة له من الخيال عما قام به، وفي العادة فإن هذا الأسلوب تعتمده إدارة السجن مع الحالات التي تعتبرها صعبة، ولم تستطيع التغلب عليها في التحقيق.

إن هذه الوسيلة من شأنها زعزعة ثقة المعتقلة بالمحيط الذي تعيش به داخل غرف السجن، وهي غرف محصورة صغيرة في العادة، خصوصاً أن أسلوب هؤلاء العصافير أسلوب الصديق الودود، المحب، الخدوم، الذي يعيش مع المعتقل نفس الظروف، فيظهر بأنه معتقل أيضاً على خلفية كبيرة، إلا أننا نلحظ من خلال الروايات أن وجود "العصافير" داخل الغرف انعكس على المعتقلات فأضحى لديهن حسّ أمني كبير، وعدم ثقة بالمحيطين، وليس بالضرورة أن يكون هذا الحسّ الأمني بالاتجاه الصحيح، ففي بعض الأحيان يقود هذا الحسّ الأمني إلى انعزال المعتقلة وانطوائها وخوفها من الاختلاط مع أي أحد.

تظهر رواية (أ.ق) أنه كان لديها معرفة مسبقة بأن المعتقل قد يواجه ما يسمى "عصافير" داخل المعتقل، ولهذا فقد كان لديها حس أمني كبير، وانعكس ذلك على اندماجها مع الآخرين داخل السجن:

> "كان عندي فكرة إنو ممكن الواحد في السجن يواجه عصافير، داخل بيئة السجن، إنت ما بتعرفي الناس الموجودين، كيف بفكروا؟ بصير نشاطك الذهني عالي جداً، أسئلة بضل في عقلك، لا تستطعين الثقة، الثقة داخل السجن معدومة، كثير صعب موضوع الثقة، وهذا يربي تساؤلات، ويربي أفكار سلبية عند المعتقلة، ويحاول أن يخلق جو من عدم الثقة، إنت لما تكوني موجودة في وسط ما بتعرفيه، أكيد ما بتوثقي فيه، بدك تتعاملي معاه، وتكوني حذرة جداً، وتكوني قليلة الكلام، أو "فليقل خيراً أو ليصمت"، والأفضل إنك تصمتي، هذا الحال، هنا أنا كنت".

تبين هذه الرواية أن "العصافير" كانت أحد الأسباب الرئيسية لانطواء المعتقلة داخل السجن، ويعود ذلك إلى عامل أساسي مهم وهو "انعدام الثقة"، إذ يظهر الخوف الواضح لدى المعتقلة من اندماجها مع أي شخص

داخل الغرفة، وهذا يزيد عندما تتواجد المعتقلة داخل وسط لا تعرف أي أحد من أفراده، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المعتقلة لم يكن لها أي نشاط سياسي ضمن مجموعة تعرفها، وقد تلتقي بأحد أفرادها داخل المعتقل، وتكون على معرفة شخصية به. إن موضوع "العصافير" واجهته (أ.ق) بالتزام الصمت وعدم الحديث، وعلى الرغم من أن هذا يبدو بأنه كان صعباً إلا أنه الضمان الأفضل الذي يمكن أن تلجأ لها خوفاً من الوقوع مع أحدهم، فأن تصمت يعني ألا تتمكن من إعطاء أي معلومة قد يتم إدانتك بها. إن مفهوم الصمت هنا له دلالات كثيرة، فالصمت يكون وكأنه عملية ضبط وتحكم بالصوت تمارسها المعتقلة على نفسها، وهي في هذه اللحظات أكثر ما تكون بأمس الحاجة له هو الكلام، لتهدئة النفس، ومحاولة معرفة ما جرى معها، أو ما الذي من الممكن أن تتعرض له لاحقاً، إلا أنها تجد نفسها أنها ملزمة بالصمت، يأتي ذلك في ضوء المعرفة المنتشرة حول ظاهرة العصافير، ومدى قدرتهم وخداعهم والأساليب التي يلجأون لها بإيهام المعتقلة أو المعتقل بأنهم يتشاركون نفس اللحظات، لحظات التعب والإرهاق، التحقيق، البطولة والعمل المقاوم خارج المعتقل، هنا تجد المعتقلة نفسها بأن هناك ضرورة لتصمت، تصمت لأنها في هذه اللحظات معتقلة، وسوف تبقى صامتة لأنها إمرأة في الخارج، وإمرأة ومعتقلة في داخل المعتقل.

تتشابه تجربة (أ.ق) مع تجربة (ص.ك) فيما يتعلق بـ"العصافير"، تقول:

> " أنا كنت شكاكة في السجن، الي بقلي مرحباً بقول شو في من ورا مرحباً، ومش أنا السبب، المحامي طول الوقت يقول الي، إنتي ممكن تنحكمي حكم عالي، ديري بالك، إنتي في مرحلة خطرة، بعد ما تنحكمي بتقدري تتصرفي أي تصرف، وهم شايفيني صغيرة كان عمري 21 سنة، وأول مرة بخوض هاي التجربة".

وأظهرت رواية (آ.ر) أن هذا الأسلوب كانت على معرفة وإدراك به عندما قالت:

> "العصافير بين الزنازين، في مرة فتحت طاقة صغيرة لباب الزنزانة، واحد جابلي كاسة شاي، بقولي خذي إشربي كاسة هالشاي، فكنت أعمل حالي بشرب فيها وأكبها في الحمام، مرة ثانية قهوة، ومرة ثالثة شاي،

وسألني شو قضيتك، ومع مين، وكيف وليش، وقالي إنو هو من الخليل، وأخته ضربت مستوطن، وبدو المستوطن يعتدي على أخته، وهو قاوم المستوطن، قالي بعدها إذا بتحبي أوصل أي معلومة أو أي خبر لأهلك أنا عندي محكمة، قلتلو لا".

وعلى الرغم من أن أسلوب استخدام "العصافير"، هو الأكثر ضبابية وسرية، إلا أن الروايات أظهرت بأن المعتقلات كنّ على دراية بهذا الأسلوب، الذي نتج عنه وجود حسّ أمني كبير، أدى إلى تلاشي الثقة في داخل المعتقل لدى الكثير من المعتقلات، وهو ما تحتاجه المعتقلة في هذه الظروف السيئة للتخفيف عنها، خصوصاً لدى المعتقلات اللواتي ليس لهن أي تجربة سياسية في الخارج، ولسن على معرفة شخصية بالأشخاص داخل المعتقل.

الإسقاط:

يتم هذا الأسلوب من خلال قيام مدير السجن أو كابتن المنطقة بمحاولة إقناع المعتقلة بأنه بصدد عقد صفقة معها دون معرفة أحد، فحواها تتمثل بأن تقوم المعتقلة بإخباره "بما قامت به"، مقابل أن يعمل كل جهده للإفراج عنها ويظهر ذلك في رواية (ج.ق) عندما تقول:

"كانوا يحاولوا يسقطونا، كان مدير السجن كل يوم يجي يوخذ أسيرة، كنا احنا الأسيرات بنسميها شبكة إسقاط، يحاولوا الأشياء الي ما قدروا يوصلوها من المعتقلة في التحقيق، هو يحاول يوخذها، بلش يحكيلي إنت بنت صغيرة، إحكيلي ومش رايح أحكي لحدا، إحكيلي وأنا رايح أضمن الك إنك تطلعي من السجن".

تظهر رواية (ج.ق) أن مقابلة المعتقلات بهذه الطريقة تتم بطريقة التفافية، ملتوية، إذ لا يجوز استدعاء أي فتاة من قبل مدير السجن والحديث معها، أو محاولة عقد صفقة معها بإيهامها أن تقديم معلومات له من شأنه أن يساعده في الإفراج عنها، وتخليصها من المعتقل، من خلال سحب معلومات من قبل المعتقلة فشل التحقيق في الحصول عليها.

إن ما جاء في رواية (ج،ق) يتشابه ويكمل ما جاء في رواية (ز.س):

"كنت أتعرض لتلفونات من كابتن المنطقة المسؤول عنا على رقم جوالي، كان اسمو الكابتن هارون، كان يرن علي ويطلب مني إني أروح أقابل في عوفر، بس مش لازم أحكي لحدا، كان يشرط علي، وبوقت بعد الساعة ثلاثة بعد الظهر، طبعاً أنا كنت أرفض، يمكن كانوا بفكروا إسقاطي، ما حدا بطلب هيك طلب، وبشدد على موضوع ما حدا يعرف إلا إنو بدو منك تشتغلي معاه، أنا كنت قوية معاه وقلتلو ما بدي أروح...." وتستكمل حديثها في مقطع آخر أثناء التحقيق "شعرت إنو المحقق بدو يعرض علي أعمل معهم، لأنو سألني هل إنت مبسوطة مادياً؟ هل إنت مرتاحة مادياً؟ حاول يضغط علي بموضوع الهوية، صار يحكيلي لو فقدتي هويتك ممكن تزعلي، قلتلو أنا بأي مكان بعيش، وانتمائي لفلسطين مش مرتبط ببطاقة، حاول يضغط علي إنو والدي ما معاه هوية، قالي ما نفسك والدك يجي هون، قلتلو أكيد نفسي بس ما بفرق معاي، ما أشعرتو إنو عندي إشي ممكن يأثر علي، حتى لما لمحلي إنو ممكن يطردني من فلسطين، ويرجعني على الأردن، قلتلو أنا بعيش في أي مكان، بتأقلم في أي مكان وأي بيئة".

تبين رواية (ز.س) الكيفية التي يحاول من خلالها المحقق القيام بعملية "الإسقاط"، فظهر في الرواية أن كابتن المنطقة طلب منها الحضور بدون معرفة أحد، على الرغم بأن ذهاب الشخص للتحقيق، يتطلب إرسال بلاغ استدعاء له ويسلم له باليد، وعليه أن يأتي في موعد ومكان محددين، أضف إلى ذلك أن المحقق حاول الحديث مع (ز.س) بطريقة وديّة مستفسراً عن وضعها المادي، بأسلوب ناعم يحمل بداخله تهديد مبطن عن هويتها كونها أخذتها بعد أن ارتبطت بفلسطيني يسكن في الضفة، وعن رؤيتها لأهلها كونهم يسكنون في مخيم في الأردن.

إن رواية المشاركات في البحث تظهر "استماتة كبيرة" لدى أجهزة المعتقل بشيء واحد ومهم، وهو اعتراف المعتقلة، لذلك فإنه لا يترك وسيلة أو إمكانية إلا ويلجأ لها من أجل كسر صمود المعتقلة، ومنها العصافير والإسقاط. نجد بأن هذين الأسلوبين كان لهما انعكاس على المعتقلين وحياتهم داخل هذا "الحيز المكاني" المغلق والمحصور"، فظهر أن "مكملات التحقيق" هذه أوجدت في كثير من الحالات انعداماً في الثقة، أدى إلى دخول

المعتقلة في حالة من العزلة والخوف من الاندماج خوفاً من "العصافير" أو محاولة "الإسقاط"، إنها الحالة التي يجب فيها أن تصمت المرأة، في الوقت الذي كانت تركز فيه جبار على أن مقاومة المرأة تكون بالكلام، لكن مقاومتها هنا تصبح بالصمت، يجب عليها أن تبقى صامته، والصمت هنا ليس شيئاً سهلاً، إنه بحد ذاته مقاومة، ومقاومة صعبة، فالمرأة هنا مرت بالكثير من اللحظات الصعبة، إنها تفكر بالخارج، إنها بحاجة للحديث، للكلام، للتعبير، ولكن مقاومتها تتطلب منها أن تصمت. إن هذه المقاومة على الرغم من ضرورتها إلا أنها تصبح عبئاً على المعتقلة في مرحلة من المراحل، وكلما زاد هذا العبء تزداد حاجة المرأة للحديث، للتفريغ، ولكن المعضلة هنا عندما يتم اللعب على حاجة المرأة هذه للكلام، حاجتها للطمأنة، واستغلالها في هذه اللحظات التي تحتاج فيها الحديث، استغلالها بضابية وسرية، فيقدم الضابط نفسه على أنه "المنقذ"، الذي سيقوم بإخراجها من السجن.

القسم الثاني: الحيّز المكاني في المعتقل الاستعماري

تقديم:

يتناول الجزء الأول من هذا القسم وصف الأمكنة التي ظهرت في رواية المشاركات، وهي الكنتين، والزنازين وغرف المعتقل. تشكل أيديولوجيا المكان هنا وحدات منفصلة تقوم على فكرة السيطرة، السيطرة على الجسد أولاً، ثم السيطرة على مكنونات هذا الجسد ثانياً، لذلك فإن هذا المكان يبنى بطريقة استثنائية، يظهر من خلال مجموعة من الوحدات، لكل وحدة آليات مختلفة يتم التعامل فيها مع المعتقلات، بحيث تتكامل هذه الوحدات جميعها مع بعضها البعض لهدف واحد وهو كسر المعتقلة.

يأتي الجزء الثاني من هذا القسم على نقاش الهوية الفصائلية داخل هذا الحيّز المكاني، ويناقش هذا الفصل بأن الهوية متحولة عبر الزمن، فهناك تعدد في الهويات، ونحن كبشر كائنات مركبة من مجموعة من هذه

الهويات، ولكن الفخ الذي نقع فيه عندما نختار عنصراً واحداً من عناصر هويتنا ليطغى على باقي العناصر الأخرى، لنختصر بذلك مركباتنا جميعها في عنصر واحد وهي الانتماء الفصائلي، الذي أصبح يترتب عليه أولاً الفرز السياسي والذي يحدد المكان الذي سيقضي فيه المعتقل فترة حكمه، وثانياً التمثيل، بمعنى كل إطار حزبي يختار ممثل عنه يمتلك مجموعة من الصفات ويتحدث باسمه، ويكون حلقة وصل بينه وبين إدارة السجن. يحاول هذا الجزء أن يطرح الأفكار الجدلية التي ظهرت في الرواية والتي تباين بسببها موقف المشاركات من قضية الفرز السياسي والتمثيل داخل المعتقل.

يتناول الجزء الثالث من هذا القسم التحديات التي تواجهها المعتقلات كنساء في هذا الحيّز المكاني، من خلال ثلاث محاور رئيسية ظهرت في المقابلات وهي: الأوضاع الصحية المزمنة، الدورة الشهرية، فكرة الأمومة. يحاول هذا الجزء أن يتتبع الكيفية التي تعبر بها المعتقلات عن هذه التحديات، والكيفية التي يتم التعامل معهن في إطار هذه التحديات. ليتوصل الجزء إلى أن هذه المحاور الثلاث تأتي أيضاً ضمن سياسة معاقبة المعتقلات، وممارسة المزيد من الضغط عليهن لكسر صمودهن.

في وصف الحيّز المكاني المعتقل:

المكان في المعتقل الاستعماري مختلف عن كل الأمكنة الأخرى، مصمم بشكل محصور وضيق، يقوم على الرتابة الروتينية الكبيرة، مقسم إلى مجموعة من الوحدات، والجزئيات، مبني وفق أيديولوجيا تعمل بناء على منطق داخلي يحمل عزلاً حسياً وحرماناً دائماً للأسير (جابر 2010، 217)، لإخضاع المعتقلين وإفقادهم السيطرة على أجسادهم وحتى قناعاتهم ومبادئهم.

يظهر المكان في الروايات من خلال مجموعة من الأمكنة: أولاً الكنتين ثانياً الزنزانة التي تتبع مرحلة التحقيق، وفيها يتم وضع المعتقل أثناء جلسات التحقيق فيها، ثالثاً غرفة السجن داخل المعتقل، وفيها يقضي المعتقل الحكم الصادر بحقه من قبل المحكمة، أو قد يكون موقوفا على ذمة التحقيق.

أولاً: الكنتين

سنقوم في هذا الجزء بتناول حيّز مكاني مهم ظهر في رواية كافة المشاركات في الدراسة على امتداد عمر المقابلات (1985–2019). يمثل الكنتين في حياة المعتقلات اليوم داخل المعتقل متطلباً أساسياً يتمكن من خلاله قضاء متطلباتهن وشراء حاجياتهن. تتمثل آلية العمل داخل الكنتين بقيام عائلة كل معتقلة بإيداع مبلغ شهري في حسابها، لا تتمكن المعتقلة من الحصول عليه، فقط تستطيع من خلاله شراء احتياجاتها ويخصم ذلك من المبلغ الاجمالي المودع في حسابها.

البضاعة الموجودة في الكنتين هي بضاعة "إسرائيلية"، أسعارها أضعاف السعر الحقيقي في السوق، تتحدث المشاركة (ت.ح) عن الكنتين فتقول:

> " أهلي كانوا يحطولي في الكنتين 1400 شيقل، كل شهر، اتخيلي إحنا كنا ثمان بنات في الغرفة، وكل بنت أهلها يدخلولها هذا المبلغ، إحسبي كل شهر قديش"، وتتفق معها في ذلك المشاركة (أ.ق) فتقول:
>
> " كانت غالية جداً، مرهق بالنسبة للأهل، ومرهق توفير هذا الشيء للأسيرات، حتى هناك بعض الأسيرات من قطاع غزة صعب توفير أموال للكنتينا لهم".

تظهر هذين الروايتان بأن الأسعار داخل الكنتين هي أسعار مرتفعة الثمن، تفوق بكثير أسعارها الحقيقة في السوق، فإذ افترضنا بأن الغرفة الواحدة التي تحتوي بداخلها على 8 معتقلات، وتدفع كل معتقلة منهن مبلغ يقارب 1400 شيقل في الشهر، يصبح المبلغ الإجمالي الذي تدفعه 8 معتقلات في داخل الغرفة هو 11200 شيقل شهرياً على الأقل، وإذا ما قارنا هذا المبلغ بما تستطيع المعتقلة شراؤه من الكنتين خلال تناولها لوجبة

رئيسية يومية وهي وجبة الغذاء، يتبين لنا مقدار الغلاء الهائل في الأسعار، هذا من جهة من جهة ثانية أظهرت الروايات أن الارتفاع الهائل في الأسعار ليس هو المشكلة الوحيدة فقط، بل أيضاً نوعية الأكل المتوفرة داخل هذا الكنتين، فتستكمل (ت.ح) حديثها بالقول "كل الاشي هناك معلبات، حتى على مستوى ورق الدولي كان معلب، فاصولياء بيضا وخضرا كلو معلب، حتى اللحمة كانت معلبة، وطعمها سيء كثير"، ويلتقي مع قالته (ت.ح) مع ما روته المشاركة (م.غ) عندما أبدت ملاحظتها على نوعية الأكل الموجودة داخل الكنتين فتقول: "الأكل الموجود في الكنتين شوكولاته كثير، بتنصح كثير، كلو أكل دسم، الاحتلال عمداً بجيب هذا الاكل، لأنو مضر بالصحة، تخيلي أسير في السجن، بغرفة ضيقة، بس يجيبولي أكل دسم، عشان ينصح، وتخرب صحتو، ويصر معاه سكري".

تظهر روايات المشاركات بأن سلطات الاحتلال تعمد إلى سياسة رفع الأسعار الموجودة داخل الكنتين بشكل كبير جداً من ناحية، ومن ناحية أخرى نوعية الأكل الموجودة داخل الكنتين، هي نوعية رديئة، تنعكس على صحة المعتقلة بشكل سيء، فما هو موجود عبارة عن معلبات، طعمها سيء، لا يوجد رقابة عليها، وفي ذات الوقت عدا عن المعلبات هناك تركيز على أنواع من شأنها العمل على زيادة سريعة في وزن المعتقلة داخل هذا الحيّ المحصور، وما يترتب على هذه السمنة من أمراض متعددة قد تلحق بالمعتقلة وتزداد خطورتها إذا ما أخذنا بعين الاعتبار بأن الخدمات الصحية داخل المعتقل هي خدمات سيئة للغاية تنحصر في معظم الحالات فيما أسمته المشاركات بـ"الحبة السحرية".

تبين هذه الروايات بأن أجهزة السجن تعمل على استغلال موضوع الكنتين كعقاب للأسرى وأهاليهم، من خلال قيام إدارة السجون بتقديم وجبات رديئة للمعتقلين لا تصلح للأكل فتقول (م.غ) " أكل السجن كان نكبه، كان يجيبوا الجاج، الريش والدم عليه، ومطبوخ وهو هيك، مقرف، اللحمة على السواد، معكرونة خبايص"، فتصبح المعادلة هنا ليس

الأكل الجيد والأكل السيء، بل الأكل السيء والأكل الأسوأ منه، فإدارة السجون بتعمدها تقديم هذه الوجبات السيئة جداً والرديئة، يجد المعتقلين أنفسهم أمام الخيار الأقل سوءاً وهو الشراء من الكنتين.

من ناحية أخرى تحدثت بعض المشاركات عن التحول الذي حدث على الكنتين ما بين الماضي والحاضر، فتحدثت (آ.ر) عن وضع الكنتين بين الماضي والحاضر، فتقول:

" اليوم ما في أهل إلا بدفعوا 1000-1500 شيقل كل زيارة، هذا ظلم للأهل، وهذا قلة وعي للأسرى، طيب إحنا كل وجبة طعام نحولها لمعركة بينا وبينهم، والله بذكر وجبات طعام رجعناهم، بحجة إنها غير صالحة للأكل البشري، الرز مدرع (فيه دود) طابخينه بالدرع، الفاصوليا تكون خربانة، نرجعها ونرفض نستلم الوجبة، فكنا كل شغلة صغيرة ولا كبيرة نحولها لعملية نضالية بينا وبين السجون، اليوم مريحين إدارة السجون وبنحمل الأهل فوق طاقتهم، وهذا مؤلم، سهل على إدارة السجن إنها تنقض على مكتسبات الأسرى، بس وين وعي الأسرى في رفض هذا الحكي، ويحملوا إدارة السجن هاي المسؤوليات"، وتتفق المشاركة (ن.و) مع المشاركة (آ.ر) في رأيها فتقول: "في هذا الوقت قد يصل مصروف الأسير إلى 1500 شيقل، وهذا عبئ على أهله، لا أحد من الأسرى يأكل أكل السجن، وأصبحوا يعتمدون بشكل أساسي على "الكنتين"، وهذا دعم اقتصاد في داخل السجن، لأن المنتجات إسرائيلية، في السابق كنا نجبر إدارة السجن هي الي توفر النا وجبات تصلح للأكل".

تظهر رواية (آ.ر) و(ن.و) بشكل واضح التحولات التي حدثت على موضوع الكنتين بعد منتصف التسعينات، فبعد أن كان الكنتين حتى ذلك الوقت شيئاً هامشياً، وكان الاعتماد الأكبر على الوجبات التي كانت تقدمها إدارة السجن، والتي كانت سرعان ما تتحول لعملية نضالية بين المعتقلين وإدارة السجن، تقوم الحركة المعتقلة من خلالها بإرجاع الوجبات السيئة والرديئة، للضغط على إدارة السجن لتحسين نوعية الأكل، وهو ما كان يحدث بالفعل، أصبح اليوم الكنتين متطلباً رئيسياً يصعب الاستغناء عنه، بل أصبح الخيار الرئيسي للمعتقلين.

إن هذا التحول ظهر بأنه انعكس على المعتقلين بشكل سلبي، إذ تمكنت إدارة السجن بسبب ذلك من تحويل أعباء توفير وجبات ثلاث مناسبة للأكل لكل معتقل، والتي كانت تتحمل بسببه نفقات شهرية تصل إلى ملايين الشواقل، إلى أعباء فردية تخص كل معتقل على حدة، وقدرة كل معتقل على إيداع أهله المبلغ الخاص به بالكنتين، بينما حتى منتصف التسعينات، كانت تجبر إدارة السجن على تقديم أكل جيد للمعتقلين على نفقتها الخاصة وليس على نفقة المعتقلين.

هذا ولم يظهر أنه قد حدث خلال السنوات الأخيرة أي اعتراض على موضوع الكنتين من قبل المعتقلين بشكل عام لغرض إجبار إدارة السجون على تقديم وجبات مناسبة للأسرى، فقالت (أ.ق):

> "في النهاية الأسير ليس في مطعم، بدك تتأقلمي على الوضع، يوجد بدائل، أنا ما كنت أعلق على هذا الوضع كثير، وما كان يهمني، وكنت أسلك حالي بأي اشي، إنت في السجن، بدك تتأقلمي".

تبين رواية (أ.ق) السلوك العام للمعتقلات خلال الفترة الأخيرة، وهو ضرورة التأقلم، بسبب عدم وجود بدائل أخرى، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو السبب في هذ التحول، ولماذا أصبح اللجوء إلى البدائل الأخرى خياراً صعباً في هذا الوقت.

يبدو بأن الإجابة عن هذا السؤال ستكون في سياق تعمد إدارة السجن بث التفرقة بين المعتقلات، حتى لا تستطيع المعتقللات على اختلاف فصائلهن اتخاذ موقف واحد مشترك. إن الإجابة على هذا السؤال تظهر لنا بشكل جليّ عند مناقشة جزء آخر في هذا القسم وهو الفرز السياسي داخل المعتقل، وكيفية تأثير ذلك على تعميق الاختلاف بين المعتقلات.

ثانياً: الزنزانة "الجحيم"

تمثل الزنزانة المكان الآخر الذي ظهر في رواية المشاركات بشكل جليّ، والزنزانة هي المكان الذي يتبع مركز التوقيف الذي يتم فيه التحقيق مع المعتقلة، وهي غرف صغيرة جداً، ولها عدة أنواع: الزنازين انفرادية، الزنازين الجماعية، وهناك زنازين من نوع آخر، وتسمى الخزانة، أو الشبح، وفي العادة فإن مساحتها مصممة بطريقة يبقى المعتقل واقفاً فيها.

الزنازين الانفرادية هي غرف تقارب مساحتها 2*2، ويوجد فيها فرشة، أو تخت من باطون، وعلى أسفله مباشرة يأتي فتحة صغيرة تستعمل كمرحاض"، أو قد لا تتوفر هذه الفتحة أصلاً، ويوضع بدلاً منها "قنينة"، للبول فقط.

الزنازين الجماعية غرف تقارب مساحتها 3*3، تضم بداخلها ما بين 3-6 معتقلين، وقد يوجد بداخلها "فتحة"، أو قد يوضع بدلاً منها "قنينة"، في إحدى الزوايا، للبول فقط، أما إذا أراد المعتقل إخراج "براز"، في الحالتين (زنازين العزل، والزنازين الجماعية)، فذلك يتطلب منه الحصول على إذن من الجندي، وقد لا يسمح له بالخروج أكثر من ثلاثة مرات في اليوم الواحد على الحمام الخارجي لأي سبب كان.

وفي العادة فإن الزنازين الانفرادية تتشابه ظروفها مع ظروف الزنازين الجماعية، إلا أن استخدامها مختلف نوعاً ما، إذ يتم استخدام الزنازين الانفرادية مع المعتقل الذي تريد أجهزة السجن الضغط عليه بشكل أكبر، والضغط هنا لا يكون فقط من خلال هذه الظروف المشتركة بين الزنازين الانفرادية والجماعية، بل المفارقة تكمن في وضع المعتقل لوحده، بمعنى عزله عن الجماعة، عن الناس، عن الآخرين، فأن يكون المعتقل لوحدة في غرفة صغيرة لفترة طويلة قد تمتد لأسابيع، وربما لأشهر، لا يرى فيها الشمس، لا يتكلم مع أحد، يكون الهدف التأثير على السلامة العقلية والنفسية للمعتقل، وبالتالي اعترافه، أو قد يتم عزل المعتقل في الانفرادي خوفاً من تأثيره على باقي المعتقلين، الذين يخضعون لتحقيق مماثل، ويجري الضغط عليهم للاعتراف.

أظهرت المقابلات أن الظروف المأساوية للزنازين على اختلاف أنواعها لم تتحسن وفقاً للفترة الزمنية التي تغطي عمر المقابلات (1986–2019)، فقد بقيت الزنازين مصممة بشكل يشابه "الجحيم"، خصوصاً أنها تأتي في مرحلة حساسة جداً بالنسبة للمعتقلة، ومهمة للمحقق، وهي مرحلة التحقيق، لذلك فإن الزنزانة مصممة بشكل يشعر المعتقل بأنه بالحاجة الماسة للخروج منها، والخروج منها يعني إما اعترف المعتقل، أو وصول المحقق مع المعتقل إلى نقطة لا يمكنه الحصول منه على أي اعتراف، وبالتالي تحويله إلى غرف المعتقل.

تحدثت المشاركة (ف.ح) (تعرضت لتحقيق في داخل مستشفى هداسا)، عن غرفة الشبح أو الخزانة، حسب ما يسميها المعتقلين بالقول: "الزنزانة هاي غرفة صغيرة كنا نسميها الشبح، مفصلة على مقاس جسم الأسير، لا يستطيع الحركة، ويبقى واقف، كما أنها معتمة جداً كنا نسمع أصوات صراخ الشباب في مراكز التوقيف". تظهر رواية (ف.ح) مدى الفظاعة الكبيرة التي تمارس بحق المعتقلين في هذه الغرف، فأن تقف في غرفة صغيرة مصممة على مقاس الجسم، لفترة طويلة، دون أن يستطيع المعتقل تحريك جسده يميناً أو شمالاً أو حتى رفع يده أو رأسه للأعلى، هي حالة مشابهة "للجنون"، ناهيك عن الأثر الجسدي الذي يتركه هذا على جسد المعتقل، ولذلك فإن هذا الوصف لا يشعرنا بالغرابة عندما نعلم بأن أصوات المعتقلين كانت تتعالى من داخل هذه الغرف دون أن يتعرضو للضرب في هذا الوقت.

أما المشاركة (ن.و) (أمضت فترة التحقيق جميعها في داخل الزنازين، ومنها الزنازين الانفرادية)، تتحدث:

> "المسكوبية كانت مسلخ، وضعوني في عزل انفرادي، الزنزانة عبارة مرحاض، كان فتحة صغيرة، والحيط عبارة عن "حصمى"، ولما أحط ظهري على الحيط أشعر وكأن ظهري "بنخزق"، أضربت 18 يوم عن الطعام احتجاجاً، أخذوني إلى زنزانة ثانية، كانت عبارة عن منهل عربي، فاير، وفي تخت، وإذا بدي أنزل إجري أنزل إجري في الوسخ، ولكني كنت دائماً أغني أغني لفلسطين، وكانوا يجيبوا الي الأكل وما كنت أقلق، ولا أشعر إني أبين إني ضعيف، وهذا ليس شيء سهل".

تظهر رواية (ن.و) الظروف المأساوية داخل الزنازين، فهي مكان تنعدم فيه الحياة، روائح سيئة، مظلمة، لا يوجد فيها مكان صالح للجلوس، الجدران مصممة بشكل بارز وخشن، كل ذلك لكسر إرادة المعتقلة، وإنهاء صمودها، لذلك فإن (ن.و) أنهت حديثها في هذا المقطع بعبارة بينت أنها كانت تعرف ما يجري معها في هذه اللحظات عندما قالت بأن كل هذه الظروف المأساوية لم تؤثر على نفسيتها وجسدها، بل كانت تغني، صحيح أن هذا كان صعب، ولكنها استطاعت فعله، وفعله يعني إفشال خطط إدارة السجن في تعاملها مع المعتقلين لكسر صمودهم.

أما المشاركة (ك.ق) فتظهر روايتها بأنه على الرغم من الظروف المأساوية للزنزانة، إلا أن معرفتها السابقة بتجارب معتقلات ساعدتها في التكيف مع هذا الوضع الاستثنائي، فتقول:

> "كانت الحنفية في الحيطة، معظم الغرفة كانت تكون خشنة، عاملينها بالشامينتو الخشن، وتكون بارزة، إنت لو بدك ترجعي ظهرك ما بتقدري، أنا كنت متعلمة من تجارب الناس إنهم كانوا يرفعوا الفرشة، ويعملوا الفرشة مثل مقعد، وركيت ظهري على الحيطة، آكل الخبزة، وأشرب المية من الحنفية الي كنت أتوضأ منها وأشبع، حتى نفسها الكباية البلاستيك الي كنت أتوضأ فيها، كنت أشرب فيها، وأحطها جنبي عشان أستخدمها لليوم الي بعدو".

إن الأسلوب الذي اتبعته المشاركة وهو أسلوب "التكيف"، هو الذي استطاعت من خلاله المعتقلة الصمود في داخل الزنازين، وعدم الاعتراف، وإنكار كل التهم الموجهة لها، والدليل على ذلك أن المشاركة (ك.ق) لم تقدم لها لائحة اتهام علنية، بل ملفاً سرياً معروفاً بالملف الإداري، وتلجأ له سلطات الاحتلال كإجراء "عقابي" ضد من لا تستطيع تقديم لائحة اتهام ضده، لعدم تمكنها من جمع معطيات واضحة وبيّنات كافية لإدانة المعتقل سواء باعترافه، أو اعتراف أحد عليه، أو تثبيت إدانته بفيديو أو تسجيل أو غيرها من الأدلة.

أما المشاركة (آ.ر) (تنقلت بين العديد من الزنازين في المسكوبية، وسجن الخليل) فركزت في حديثها عند الحديث عن الزنزانة على ما يسمى "البرش"، وهو عبارة عن فرشة جلد توضع في هذه الغرف، فقالت:

"دخلت عدة زنازين بفترة التحقيق، الإشي المشترك في الزنزارين إنو هالبرش موجود على الأرض، بشهر 11، و12، و1، أثلجت في هذيك السنة، ما في غير بطانية واحدة، والبرش جلد، الحمام بنفس الزنزانة، أكثر من زنزانة يكون الحمام فايض فيها، وروائح، إشي مقرف".

يتشابه وصف (آ.ر) لوضع الزنزانة مع وصف باقي المشاركات، إلا أن إضافة (آ.ر) هو ما يسمى البرش، فهي المشاركة الوحيدة التي تحدثت عن البرش بوصفه إحدى أهم الأشياء التي ترهق المعتقلة، فأن تجلس على هذا البرش والأجواء باردة هو أن تجلس على قطعة من الثلج، أما في الصيف فأن تجلس على البرش يعني أن تجلس على قطعة من النار، بالتالي لا يمكننا النظر إلى البرش إلا كما ننظر إلى الجدار، والمرحاض، والرائحة، والظلمة في أنها سياسة متعمدة للضغط على المعتقل لكسر صموده.

يظهر في مقطع آخر من رواية (آ.ر) تتحدث عن الطريقة التي تتذكر المعتقلات بها "البرش" بطريقة سيئة ومؤلمة، فعندما أصبح هناك بوادر للإفراج بعد اتفاقيات السلام التي عقدتها منظمة التحرير مع اسرائيل قالوا البنات، بنرمي البرش وبنضل المروحين، وهذا يظهر في الرواية من خلال المقطع التالي:

"إحنا كمعارضة كان عنا قناعة إنو المفاوضات مش رايحة تؤدي إلى حل، الأخوات في فتح وثقوا في المفاوضات، وفكروا إنو رايحين يبيضوا السجون، والكل رايح يروح، وهي بحيكها بألم، لأنو الكل تفاءل إنهم بدهم يروحوا، وبالتالي ظهرت مقولة البرش على الباب، يعني متى بقلولنا روحوا، بنرمي هالبرش، وبنضل طالعين، وهان كانت الصدمة، الطامة، لما صاروا يبلغونا بالافراجات، ثلاث اربع بنات بس بدهم يروحوا بناء على الاتفاق، أنا لما قالولي بدك تروحي، والبنت الي رسمتلي رسمة هيها معلقة على حيط البيت لليوم ما

بدها تروح، أنا ظايلي شهر أو أقل، البنت إلي ما بدها تروح محكومة مؤبد و17 سنة، طيب مين أولى بالترويحة أو الإفراج، البنت الي محكومة مؤبد و 17 سنة، ولا أنا إلي ضايلي شهر وبروح، هذا كان مؤلم جداً للأسيرات".

تظهر الرواية أن الذكرى الأولى عن الزنازين جاءت حول البرش، وكأن فرحة الخروج من المعتقل تتمثل برمي البرش والخروج، وهذا ما لم يحدث.

إن الزنازين على أنواعها جاءت مبنية بشكل يعمل على إرهاق الجسد، وإرهاق نفسية المعتقل، وهي وحدة من مجموعة من الوحدات داخل منظومة السجن، والتي تعمل وفق أيديولوجيا تحمل في طياتها عزلاً وإرهاقاً جسدياً ونفسياً للمعتقل لكسر صموده.

ثالثاً: غرف السجن

تظهر الروايات بأن غرف المعتقل تعتمد مجموعة من الآليات التي تفتقر لمقومات الحياة، فهي غرف صغيرة الحجم، والعدد فيها لا يتناسب مع حجمها، حيطانها خشنة بشكل كبير، يوجد فيها بلاطة وعليها غاز، وبجانب البلاطه يوجد مرحاض صغير مغطى بقطعة قماش، وفي غرف أخرى قد يوجد دوش مع مرحاض، في أعلى الغرفة يوجد شباك صغيرة مغطى بقطعة من الحديد تحجب ضوء الشمس عن الدخول إلى داخل الغرفة، ولا تستطيع المعتقلات من خلاله النظر إل الخارج، والإضاءة يتم التحكم بها من قبل إدارة السجن.

إن غرف المعتقل مصممة لممارسة "التعذيب الناعم" وتتّسم هذه الآليات بكونها هادئة صامتة ومتقنة بدقة، يكون لها إيقاع ثابت وتأثير تراكمي على أجساد ونفسية الأسيرات والأسرى، وهو الهدف الأساسي من وراء تصميم هذه الغرف بهذا الشكل، إذ أننا لا يمكن أن نفهم وحدات الأمكنة منفصلة عن بعضها البعض، بل هي وحدات متكاملة تعمل كل منها وفق آلية مختلفة لهدف واحد.

تتحدث المشاركات (ج.ق) "أمضت ثلاثة شهور في داخل هذه الغرف"، (ص.ك) "أمضت سنتين في داخل هذه الغرف"، (ن.ع) "أمضت سنتين ونصف في هذه الغرف"، و(م.غ)"أمضت سنة في هذه الغرف"، عن الاكتظاظ الكبير فيها، فالغرفة التي تتسع لست معتقلات يوضع فيها أكثر من عشر معتقلات، لدرجة يصبح فيها وقوف معتقلتين مع بعض بين سريرين أمراً صعباً، فإذا أرادت أن تنزل معتقلة عن سريرها ينبغي لجميع المعتقلات العودة إلى "أسرتهن"، من أجل أن تستطيع هذه المعتقلة الذهاب للحمام، أو الصلاة، أو حتى مجرد الوقوف فتقول (ج.ق):" غرفة السجن الي أنا كنت فيها صغيرة جداً جداً، لدرجة إنو لو أسيرة بدها تمشي بين التختين ما في مجال لأسيرة ثانية تنزل، على نفس المنطقة"، أما المشاركة (ص.ك) فتقول: " سجن هشارون مقسم إلى عدة غرف، والغرف صغيرة، في غرف ما بتوسع إلا لبنتين، السرير من فوق وتحت، مساحة صغيرة فقط إلي تروحي فيها على الحمام، أو توقفي بس"، وتتحدث المشاركة (ن.ع):

> " عندما دخلت سجن الهشارون كنت المعتقلة رقم 26، خلال وجودي بالسجن في هشارون لحد شهر 12 كان هناك تقريباً 40 أسيرة، والقسم رقم 2 في سجن هشارون لم يكن يتسع لهذا الحد من الأسيرات، أعتقد أن الحد الأقصى له كان 32–33 أسيرة، فكنا نفترش الأرض، والي بدها تنزل تصلي لازم الي نايمة على الأرض تقوم، إذا بدها أسيرة تروح على الحمام لازم الكل يوقف على جنب، عشان الي بدها تروح على الحمام تعرف تمرق، كانت الحياة صعبة جداً، غير صعوباتها هي مخالفة للقانون والقانون الدولي الانساني"، أما المشاركة القاصر (م.غ) فقالت عن هذا الاكتظاظ " كنا لما نصلي في الغرفة، ما في مساحة كافية، أربعة بصلوا، الباقي بطلعوا على التخوت، واحدة منا كانت تنام على كرسي".

يتضح من خلال الروايات أن العدد في الغرف يفوق القدرة الاستيعابية بشكل كبير، فهي مصممة بطريقة تجعل الوقوف فيها صعباً لأكثر من معتقلتين، وهذا يعني أن المعتقلات في هذه المساحة الضيقة التي يقضين فيها أكثر من ثلثي وقتهن في اليوم الواحد لا يستطعن الحراك أبداً، وكل ما يستطعن فعله هو الجلوس على

التخت، والتناوب على الوقوف في المساحة الضيقة بين الأَسرّه، وهذا بحد ذاته قادر على عمل تراكمات جسديه ونفسية سيئة للمعتقلة، فأن تجبر على الجلوس لفترة طويلة على التخت، دون أن يكون لديك القدرة على أن تحرك جسدك، ناهيك عن العدد الكبير الذي يفوق القدرة الاستعابية والذي تضطر بسببه المعتقلات أن يتشاركن ذات السرير، أو النوم على الكرسي.

فيما تأتي رواية المشاركتين (ف.ح) "أمضت في هذه الغرف ما يقارب السنتين"، (ن.و) "أمضت في هذه الغرف ما يقارب الثلاث سنوات، على الحديث عن مرفق مهم للحياة داخل المعتقل وهو "الحمام"، فاعتبرت المشاركتين أن وجود الحمام في داخل الغرفة كان يسبب إحراج أو ضيق للمعقتلة التي تدخل الحمام، وعدم شعور بالراحة لدى باقي المعتقلات، أضف إلى ذلك أن هذه الحمامات افتقرت للنظافة، فالصراصير منتشرة بكثرة في الحمام وحتى في داخل الغرف، وفي العادة فإن الحمام في أغلب الوقت "فاير"، مما يتسبب بوجود رائحة كريهة جداً، ومحصورة، في ظل انعدام التهوية، وصعوبة حتى في استخدام الحمام بين المعتقلات، تتحدث المشاركة (ف.ح) فتقول:" الحمام في الغرفة، الحمام مربع صغير، وفي الكرسي، ودش، الواحد كان يستحي يفوت على الحمام، لأن الحمام في الغرفة، ولما نتحمم نتحمم في الغرفة مليانه ناس، كان الواحد يستحي"، ويتشابه وصف (ف.ح) مع وصف (ن.و)، فتقول الأخيرة " كان بيت خارج عربي (حمام)، وهذا الحمام كان يوجد فيه مئات الفيران والعرس التي تخرج، فكنت أضطر أنام على التخت الي في الطابق الثالث، وآخذ من البنات "الكنادر" والبطانيات، وألف التخت فيهم، عشان أبين حالي إني قاعد، والسبب كل ما يتجمع الفئران أرمي عليهم، أحاول أن أوفر حماية لي....كل يوم كنت أصحى ألاقي كيف حب السكر كل الغرفة فيران".

تبين رواية كلاً من (ف.ح) و(ن.و) الظروف المأساوية لمرفق مهم للحياة وهو الحمام، إذ أنه في السجن يعتبر مرفق مهم بالنسبة للفئران والصراصير، وليس للمعتقلات، وهذا ما تعمد سلطات الاحتلال على فعله، إذ لم

تذكر أي مشاركة نية جدية لدى إدارة السجن للقضاء على هذه الحشرات، أو محاولة معالجة انسداد المجاري وفيضان الحمام المستمر، وهذا ما أظهرته رواية (ن.و) عندما احتجت على وجود الفئران في داخل الحمام والتي تخرج إلى داخل الغرف فقال لها الضابط وكان اسمه يوني: "ما إنت مخربة وبتقاومينا، خايفة من الفيران"، قلتلو لا أنا مش خايف، بس أنا تعودت أقاوم الحيوانات الي زيك، لأنك إنت أخذت أرضي". إننا هنا لا يمكن فهم وضع الاكتظاظ داخل الغرف، ووضع "الحمام" في هذه الغرف بمعزل عن بعضها البعض، بل هي سياسة متكاملة، تسير مع الوقت بايقاع ثابت، يكملها وصف باقي المشاركات عن ظروف هذه الغرف، إذ تركز المشاركتان القاصرتان (م.غ) و(ت.ح) "أمضت ما يقارب السنة في هذه الغرف"، بالإضافة إلى المشاركات السابقات أيضاًعلى وجود الحشرات الكثيرة في هذه الغرف، فتقول (ت.ح): " في الغرفة كان في صراصير كثير، الأكل إذا ما كنتي مسكرتيه منيح، تلاقيه مليان صراصير، تكوني قاعدة الصراصير حوليكي قد ما بدك، عادي، الحمام مليان، يعني أنا أول ما انسجنت مليان وأنا كنت أخاف كثير منهن، بس بعدها إتأقلمت، صرت أنام والصراصير حوالي، أعمل طبيخ والصراصير حوالي". يتشابه وصف (ت.ح) مع ما قالته (م.غ) عن مدى الانتشار الكبير لهذه الحشرات داخل الغرف فتقول:"هي غرفة صغيرة، فيها حمام ما الو باب، الغرفة مليانة صراصير، بس احنا كنا نحاول نظفها، الصراصير كانت تخوف، صراصير كبار، أسود أبو شوارب". تبين هذه الروايات أن غرف المعتقلات تحتوي على حشرات، إن هذا هو أسلوب التعذيب الذي يعتمد على أسلوب المراكمة البطيئة على نفسية وجسد المعتقلة، هذه المراكمة البطيئة، تلعب بالدرجة الأولى على إرهاق نفسية المعتقلة، بحيث تصبح هذه المراكمة لها ارتدادات على نفسية المعتقلة، لا يمكن تخطيها بدون علاج نفسي أو علاج جسدي بعد الخروج من المعتقلات. أما فيما يتعلق بمرفق آخر مهم، وهو "المطبخ"، فقد كان عبارة عن بلاطه صغيرة، بجانب الحمام، عليها غاز كهربائي، تصف (ت.ح)هذا الوضع بالقول" البلاطة الي كنا نطبخ عليها كانت جنب الحمام، محل الطبيخ جنب الحمام والمغسلة، فكانت الغرفة كثير مضغوطة وصغيرة كثير، بخار الحمام على بخار المطبخ، بتشعري حالك مخنوقة، وبدك تراجعي"، في ذات السياق فقد ظهر أن هذه الغرف هي غرف

شديدة البرودة في الشتاء، حيث لا توفر إدارة السجن أي وسيلة تدفئة للمعتقلات، ناهيك عن نقص في عدد الأغطية الموجودة في داخل المعتقل، لدرجة يشبه فيه البرد الوجع، ويظهر ذلك في رواية (ن.ع) عندما تقول: "في السجن البرد القارس مع عدم توفير مصدر للدفئ هذا تعذيب، أنا كتبت اشي البرد حدّ الألم، كنت أبرد لحد الشعور بالوجع، ما يحدث وكأن السكاكين تضرب فيكي من شدة البرد، الماء البارد". في سياق آخر تحدثت بعض المعتقلات عن افتقادهن لأي خصوصية في هذه الغرفة، والذي كان نابعاً بالدرجة الأولى من وجود مجموعة من المعتقلات في داخل الغرفة الواحدة، لكل معتقلة أسلوبها الخاص، ونمطها الخاص"، فتقول (ص.ك):

> "الشباك حديد، بس ضو شوي، أنا ما بقدر أضوي الضو، أنا كنت مع إمرأة في بداية الخمسينات، بفترة السجن صابها مرض نفسي، فكانت توخذ حبوب، دواء لتقدر تنام، أي حركة أو ضو يصحيها، وأنا حدا بربوش، إذا بدي أروح أشرب كاسة مي لازم يوقع مني اشي، لازم أخرب اشي، الغرفة صغيرة وفيها كثير أغراض، كنا أغلب الوقت نطاوش على هذا الموضوع، إنك تقعدي مع مين صعبة، إنت مجبورة تعيشي مع هذا الانسان، ممكن يكون هذا الانسان أحسن حدا بالكون، وممكن لا، ممكن تكون ثقافته بعيده عن ثقافتك..انت بتعرفي اشي، انت عيشي مع حدا بعيد عن فكرك، إنتو طول الوقت في وجه بعض، طيب ما في شبه، صعب رايح يكون في تصادم".

ويظهر من خلال الرواية أن تنوع أسلوب كل معتقلة في الحياة، والطريقة التي تفضلها في قضاء وقتها، قد أوجد بعض الإشكاليات بين المعتقلات، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هناك تفاوتاً في العمر بين المعتقلات، باستثناء القاصرات، فمن الممكن أن توضع معتقلة في العشرينات من عمرها مع معتقلة في الخمسينات من عمرها، لكل منها أسلوب مختلف وظروف مختلفة، أضف إلى ذلك الاختلاف الذي يجمع تنوع الموقع الجغرافي ما بين المخيم والقرية والمدينة. تظهر رواية (ن.ع) أن المعتقلات قد كنَّ مدركات لهذه النقطة، لذلك حاولن إيجاد نظام لحل هذه الإشكاليات من خلال وضع قوانين تشرف على تنفيذها الممثلة، حتى لا يشكل هذا ثغرة من شأنها زعزعة الثقة داخل المعتقل، ويظهر ذلك في رواية (ن.ع) عندما تروي:

"داخل الأسر جميع البنات تعرف أننا في مركب واحد، وكلنا أخوات، دائماً كان هناك سعي ليكون هناك نظام بين البنات داخل السجن، احترام متبادل، خلال وجودي في السجن كانت عميدة الأسيرات لينا الجربوني، واضعة قوانين للحياة داخل السجن تسهل طبعاً على جميع الأسيرات، وكان لهذا دور أن نعيش حياة منتظمة نوعاً ما، نفس الشيء عندما انتقلت على سجن الدامون، تم ترشيح ممثلة للسجن من أجل أن تكون مسؤولة عن كافة الأسيرات، وكنا نضع قوانين نرى بأنها ملائمة مع حياتنا في سجن الدامون، الأمر لا يخلو من المناكفات بين البنات والمهاوشات، وهذا شيء طبيعي، عظام البطن بتتقاتل، وكمان الأخوات في البيت بتقاتلوا، عدا عن إنا موجودين من أكثر من قرية ومدينة من فلسطين، يوجد تنوع هائل في البيئة وفي العادات والتقاليد بالعلم والثقافة، وهذا انعكس داخل السجن، نحن كنا موجودين نسخ صغيرة عن المجتمع الخارجي، هذه الاختلافات كان لها دور في إعاقة حياتنا، ومن جهة ثانية كان هناك بعض الخلافات التي تقود إلى اختلاف "الرأي لا يفسد للود قضية"، بمعنى أن نبقى ودودات مع بعض، لكن في المحصلة كانت تنتهي المشاكل ولا يتبقى أي خلاف، لأن الجميع كان على يقين أن أي خلاف بين الأسيرات هو عبارة عن ثغرة لدخول المخابرات الاسرائيلية بين البنات، وهذ ما يرفضه الجميع".

تبين رواية المشاركة (ن.ع) الكيفية التي تلجأ من خلالها المعتقلات لمحاولة تسوية هذه الخلافات التي قد تحدث بين بعض المعتقلات، عن طريق وضع قوانين تنظم الحياة اليومية بين المعتقلات، في ظل هذا الوضع الاستثنائي، وتبين (ن.ع) بأن هذه الخلافات هي خلافات هامشية لا تنعكس طويلاً على العلاقة بين المعتقلات، ونجد بأن محاولة تنظيم الحياة داخل المعتقل قد اتخذت أهمية كبيرة بين المعتقلات، إن هذا التنظيم من شأنه توفير نوع من الراحة للجميع، وتفادي حدوث الكثير من المشاكل بين المعتقلات، لأن وجود هذه المشاكل من شأنها أن تكون ثغرة تستطيع من خلالها إدارة السجون اختراق المعتقلات وإسقاط البعض، أو إحداث الكثير من البلبلة داخل الغرف.

أظهرت رواية (ك.ق) أسلوباً آخر للتعامل مع المكان وهو التأقلم وبناء علاقة إيجابية بينها وبين هذا المكان حتى تستطيع التخلص من التفكير في هذا الأمر، فتقول:

"كنت بحاول أتعود على الاشي الي أنا موجود فيه في هذا الوقت، أنا من النوع الكثير موسوس، فكنت بدي أتعود على تختي الكثير وسخ، أتعود على الحمام المقرف جداً، فكان بس تركيزي أتأقلم على هذا الوضع الي أنا فيه، لأني بدي أبني علاقة بيني وبين الغرفة الي أنا موجود فيها، إني أحاول أنظفها، وأمسحها، وأرتب على قدر المستطاع، بدي أتأقلم، لأني من طبيعتي بحب أتأقلم في المنطقة الموجود فيها، ما بحب التجديد السريع، أحاول أبني علاقة بيني وبين المكان، وهذا الموضوع أخذ مني وقت طويل، وفي نفس الوقت أشغلني عن التفكير".

تبين رواية (ك.ق) وسيلة مهمة للتعامل مع المكان، وهي التأقلم وبناء علاقة ايجابية مع هذا المكان، هذا من شأنه أن يعمل على إزالة التوتر والتعب النفسي عن المعتقلة، وسهولة اندماجها في هذا المكان الاستثنائي فترة من الوقت.

إن رواية المشاركات عن هذا الجزء تجعلنا ننظر إلى موضوع المكان، على اعتبار أنه ليس شيئاً عاماً، أو مكان تقضي فيه المعتقلة "حكمها"، وتخرج لاحقاً، إنها الروايات التي تضعنا في قلب هذه الغرفة، إنها هذه الغرفة الصغيرة، ولكنها الغرفة المليئة بالتفاصيل الكثيرة، إن هذه الروايات في هذا الجزء وضعتنا في تصور لهذه الغرف، لجدرانها، شباكها، أرضيتها، أسرتها، مطبخها، الحمام، الملابس، الأكل، النوم، الذكريات، الخلافات، والكثير الكثير من التفاصيل التي لا يمكن أن نحصل عليها إلا من خلال هذه الروايات. إنه المكان الذي صمم لممارسة ذلك التعذيب البطيء الطويل، لغرض كسر المعتقلة، وإرهاقها جسدياً ونفسياً.

الهوية الفصائلية داخل الحيّز المكاني "المعتقل":

لا تتحدد هوية الإنسان بشكل ثابت، بل تتحول طيلة حياته، فتتكون هوية كل إنسان من مجموعة من العناصر: جنسه، دينه، ومذهبه، لغته، أسرته، مهنته، طريقة حياته، إذاً هناك تعدد في الهويات، ونحن كبشر كائنات مركبة من مجموعة من هذه الهويات، ولكن الفخ الذي نقع فيه عندما نختار عنصراً واحداً من عناصر هويتنا ليطغى على باقي العناصر الأخرى، لنختصر بذلك مركباتنا جميعها في عنصر واحد (معلوف1999)، هنا لا

تصبح الهوية موضوع إراداة، وكأن السياق العام هو الذي يحتم طغيان هوية واحدة على باقي الهويات، ويأتي هذا السياق في فلسطين من السياق الاستعماري المتعلق بمقاومة المستعمِر، وهي الهدف لوجود الفصائل، والانتماء لها، فحتى منتصف التسعينات كان الانتماء الفصائلي يتجمع حول قضية واحدة عليا وهي القضية الوطنية الفلسطينية المتعلقة بتحرير فلسطين، إلا أن هذا سرعان ما تحول بعد منتصف التسعينات إلى طغيان هوية الانتماء الفصائلي داخل المعتقل على باقي الهويات الأخرى.

تبين لنا رواية المشاركات في الدراسة على أن الفرز السياسي لم يكن سياسة معتمدة حتى منتصف التسعينات، فنجد في الروايات أن الغرفة الواحدة احتوت بداخلها على معتقلات من حركة فتح، ومن الجبهة الديمقراطية، والشعبية، تقول المشاركة (ف.ح) (اعتقلت ما بين أعوام 1991–1993):

> " لما اعتلقت العلاقة بين الأسيرات في الفصائل كانت منيحة، ما كان يصير على أيامي مشاكل، كنا مثل الأخوات"، اتفقت معها المشاركة (ن. و) (اعتقلت ما بين 1986–1989) في ذلك، كما وسلطت الضوء على هذا التحول السلبي المتمثل في التفكير الحزبي الذي قادت إلى التجزئة والاختلاف علماً أن القضية هي قضية واحدة فتقول:
>
> "في ذلك الوقت، كانت العلاقة بين البنات من مختلف التنظيمات جيدة، بس بعدها لا، صار لكل تنظيم مكان محدد، والسبب هو التفكير الحزبي، قبل كلنا نتنافس من أجل قضية واحدة هي القضية الفلسطينية، هذا الوقت لا، صرنا نتنافس لصالح الحزب مش القضية، هنا التجزئة الحزبية قادت إلى الفشل، لأن القوة والتماسك تقود إلى الانجاز".

تبين لنا هاتين الروايتين بأن العلاقة في السابق بين المعتقلات من التنظيمات المتعددة كانت علاقة جيدة تسود بينها علاقة من الاحترام والمحبة، فيما تحول ذلك لاحقاً لتصبح العلاقة بين التنظيمات هي علاقة متوترة في مجمل الأحيان، وهذا يعود بحسب المشاركة (ن.و) إلى عامل مشترك بين الجميع وهو القضية الفلسطينية، التي قام الأساس بينها على التضامن والتعاون في العمل النضالي، فظهرت الأحزاب وكأنها دوائر متعددة

بعضها أوسع من غيرها، والكل يصطف في الدائرة الأوسع، وهي دائرة القضية والظروف الواحدة المفروضة على الفلسطينيين، في هذه الدائرة ولِدت الأعمال النضالية، ووجِدت الأحزاب والفصائل، ولكن الرواية تظهر أنه سرعان ما تحول هذا العامل المشترك، إلى عامل آخر وهو التفكير الحزبي، وذلك بسبب الانقسام والسياسات الاقتصادية والسياسية التي أرادت في الغالب تحييد الجماهير، وفي الوقت نفسه خيبة أمل الجماهير من بعض التجارب النضالية والسياسية، إذ أن النمط الاقتصادي بعد أوسلو قد اختلف، وهو نمط استهلاكي، أغرق الناس في ثقافة فردية أنانية بعيداً عن الهم العام، كما ظهر على أرض الواقع مصطلح "التنمية"، وأصبحت الأراضي الفلسطينية ساحة لليبرالية الجديدة، فالتكوين الليبرالي الجديد ينبع من تركيزه على الأمن، والأنظمة الإدارية والاقتصادية، وهي مهمة السلطة اليوم، وتحولت القضية الفلسطينية من مشروع سياسي بامتياز إلى مشروع اقتصادي، أضف إلى ذلك فقد تماهت حركة فتح بعد توقيع اتفاق أوسلو في داخل السلطة، وتماهت في ذات الوقت الأحزاب الفلسطينية المنضوية في منظمة التحرير الفلسطينية في السلطة، فيما بقيت الأحزاب الإسلامية المتمثلة بحركة الجهاد الإسلامي وحماس خارج إطار منظمة التحرير، ووقفت موقف المعارضة، ساهم ذلك في تعنت كل طرفين في توجهاته وأفكاره، دون أن يكون هناك محاولة جدية لتقريب وجهات النظر، الأمر الذي ساهم في ظهور المزيد من حالة التشتت والاختلاف، جاءت ذروته في حدث الانقسام في العام 2007، فالسياسات التي انتهجها كلاً من فريقي الانقسام أضعفت الحركة الوطنية، وغيبت كل مجالات العمل العام والتعبئة الشعبية، وتم تفكيك فصائل المقاومة، وبذلك غابت المحاضن التعبوية والكفاحية التي من وظيفتها تعبئة الجماهير وتنظيم طاقاتها ضد "الاحتلال"، وامتد هذا الانقسام إلى داخل المعتقل، إذ لعبت الفصائل في الخارج، على تعميق الخلافات بين منتميها داخل المعتقل، سواء بالتعبئة الفكرية، أو المادية.[1] ومن هنا يمكننا

[1] ربما هناك أسباب أخرى، يمكن معالجتها في سياق دراسات أخرى معمقة لهذا الموضوع.

أن نفهم تأطير أمين معلوف لما يسميه "الهويات القاتلة"، فأن تطغى هوية واحدة على باقي الهويات الكثيرة المشتركة، هذه الهوية التي تحمل في داخلها بذور التفرقة والتجزئة، وهنا ليست الهوية الدينية التي تحدث عنها معلوف، بل هوية مرتبطة بالسياق الاستعماري وهي الهوية الفصائلية، صحيح أن هذا الهوية الفصائلية لم تؤد إلى اقتتال على الأقل داخل السجون كما اعتبر أمين معلوف بأن الهوية الدينية نتيجتها الاقتتال والحروب الأهلية، إلا أن هذه الهوية الفصائلية قادت إلى إشكالية من نوع آخر، وهي ظهور الكثير من الحزازيات والمشكل بين التنظيمات المختلفة، أدى ذلك بدوره إلى عدم ظهور شخصية قيادية واحدة متفق عليها من كل التنظيمات الأخرى، وهذا يظهر في رواية (أ.ق) (اعتقلت ما بين كانون الأول 2015، آذار 2016): " أنا بحكي بناء على تجربتي، كان في كثير حزازيات، لأنه لا يوجد وعي، لأنه كل فصيل بدو يفرض رأيه، الآن لا يوجد شخصية قيادية من الممكن أن تدير كل هذه الأفكار المختلفة في وسط مثل بيئة السجن، أنت تتحدثين عن شخصية قادرة أن تحتوي جميع الأفكار، وجميع الأطياف، وجميع التوجهات، لا يوجد".

بينت هذه الرواية بشكل واضح عدم وجود قيادة واحدة لكل المعتقلين كما هو الحال حتى بداية التسعينات عندما كانت اللجنة النضالية العليا هي المسؤولة عن كافة المعتقلين، ثم تحول ذلك لاحقاً ليصبح لكل إطار حزبي قيادي خاص به، أي تحول هذا الإطار من إطار جامع لكل الأسرى، تحت مسمى اللجنة النضالية العليا، إلى مصطلح ممثلي "الأسرى"، فبعد أن كان القرارات تتخذ بشكل جماعي في وقت واحد، ويصدر بيان واحد، من قبل هذه اللجنة النضالية الموحدة، أصبحت القرارات تتخذ من قبل كل ممثل كل حزب، ثم قد يتخذ القرار لاحقاً من قبل ممثلي الأسرى، بعد نقاشات فيما بينهم، وفي كثير من الحالات تحمل هذه النقاشات وجهات نظر متعددة، قد تقود إلى فشل الاتفاق حول سياسة أو حدث معين، لاعتبارات بالدرجة الأولى حزبية، تخص كل حزب على حده، هذا بدوره انعكس سلباً على الحركة المعتقلة برمتها، فلم تشهد الحركة المعتقلة على سبيل

المثال في العقد الأخير وجود شخصية قيادية واحدة، قادرة على جمع كل الأسرى ضمن موقف نضالي واحد، كإعلان إضراب موحد في كافة السجون، يلتزم به كافة المعتقلين ممن لديهم المقدرة على خوض هذا الإضراب.

ومع هذه الهوية الفصائلية التي أخذت تنمو داخل المعتقل، وتختزل باقي الهويات بداخلها، ظهر داخل المعتقل قضية مهمة وهي:

قضية الفرز بناء على الانتماء الحزبي: بمعنى تجمع أفراد المجموعة الواحدة "الحزب الواحد"، في ذات القسم، أو ذات الغرفة مع بعضهم البعض، وأصبح الانتماء السياسي هو الذي يحدد المكان والكيفية التي سيقضي فيه المعتقل الحكم الصادر بحقه، هذا الفرز بناء على التنظيم السياسي أظهر توجهاً ايجابياً معه من قبل المعتقلة (آ.ر) (اعتقلت ما بين أعوام 1991–1993)، والتي رأت أن خصوصية كل تنظيم مختلفة عن خصوصية أي تنظيم آخر، ومن هنا تأتي أهمية الفرز:

> " في خصوصية لكل تنظيم، يعني زي ما قلت في جلسات تنظيمية، بالتالي الأفضل يكون كل حدا بغرفة أو خيمة، كنا نسمع تحديداً عند الشباب لكونه كان في السابق مختلط بحكوا نعيش بنار فتح ولا بجنة حماس، إنو الخيم المشتركة مع حماس ممنوع تفتح تلفزيون، ممنوع تحكي، ممنوع تسهر، قائمة ممنوعات، إنت بدك تسمع قرآن إنت حرّ، أنا بدي أسمع موسيقى، هاي الخصوصية لكل تنظيم بأبسط أشكالها".

في رواية (آ.ر) ركزت بأن الفرز في الأقسام بناء على الانتماء الحزبي ساهم في حل اشكاليات كثيرة ذات علاقة بطريقة العيش بالدرجة الأولى، وبقدرة كل فصيل على عقد جلساته التنظيمية بحركة أكبر، إلا أننا إذا نظرنا إلى رواية (أ.ق) يتبين لنا أنها قد أخذت موضوع الفرز على أساس الانتماء الفصائلي من منطلق آخر وهو ضعف الموقف الوحدوي بين الأسرى، وكثرة الحزازيات والمشاكل بين التنظيمات الحزبية المختلفة فتقول:

"للأسف الفرز أوجد نوع من الحزازيات والمشاكل، واليوم الي كنت بدي أطلع فيه، كان في حزازيات وتوتر كبير، أنا كنت خايف

إنو الاشي الي بصير ممكن يأثر على خروجي، كنت أربط الأحداث مع بعض". نلاحظ من رواية المشاركتين (آ.ر) و(ب.ط) أن كلتيهما نظرت لموضوع الفرز من ناحية مختلفة، وهذا ناتج عن اختلاف زاوية الرؤيا، فإذا اعتبرنا بأن الفرز يساهم في تنظيم الحياة داخل الغرفة نظراً لتشابه الأفكار المعتقدات بين الإطار الحزبي الواحد يصبح الفرز يتخذ منحى ايجابياً، ولكن ما حدث حقيقية هو أن هذا الفرز أخذ يعمل على التفاف كل إطار حزبي حول أفكاره ومعتقداته، وهذا أوجد بدوره ما جاء في رواية (أ.ق) عدم وجود شخصية قيادية متفق عليها من كافة الأطر الحزبية داخل السجن، فكل حزب يطرح ممثلاً له، وكل ممثل يحمل توجهات حزبه الأيديولوجية في الخارج، ولكن المشكلة لا تكمن في هذه التوجهات الأيديولوجية التي يتبناها كل حزب، وإنما في المواقف السياسية التي يتخذها كل حزب في الخارج، والتي يعمل على الترويج لها، والدفع لها. إن هذه المواقف السياسية تؤدي إلى تعميق الخلاف بين الفصائل، فيصبح التفكير الحزبي يأتي من فكرة الجماعة التي أنتمي لها، وليس من الفكرة الأعم فكرة استعمار فلسطين، والقضية الفلسطينة، يؤدي ذلك إلى طغيان الهوية الفصائلية الحزبية التي تحدثت عنها المشاركة (ن.و) على باقي الهويات الأخرى.

ومع تجذر الفرز السياسي داخل المعتقل، ظهرت قضية أخرى لازمت الفرز، وهي:

"**التمثيل**": بمعنى كل تنظيم حزبي له ممثل يتحدث باسمه، ويشكل حلقة وصل بين المعتقلين وإدارة السجن، وبناء على ذلك قام كل فصيل سياسي بتعيين ممثل له ينوب عن أفراده، ويقوم بوضع القوانين التي يجب السير عليها فتقول (ب.ط):"

"" يوجد ممثلة الأسيرات، لا يجوز في قانون الحركة المعتقلة أن تتحدث أي أسيرة مع السجان، أي إشي بحكي للممثلة، وهي تتواصل مع السجان، لأن هذا التنظيم يمنع الفوضى، ومحاولات الإسقاط والتفرد بالرأي، وهذا شيء ممنوع، في كل قسم هناك ممثل".

اعتبرت (ب.ط) بأن تعيين ممثلة تتحدث باسم المعتقلات من شأنه تنظيم الحياة داخل المعتقل، وسد أي ثغرة تستطيع من خلالها إدارة السجن إسقاط أي معتقلة والتفرد بها، وحتى تستطيع هذه الممثلة أن تقوم بهذا الدور الموكل لها فيجب أن تتوفر فيها مجموعة من الصفات وتتمثل بقوة الشخصية، والقدرة على الإدارة والضبط، ولها واجب الطاعة من قبل المعتقلات فتقول (ب.ط): "يفترض أن يتم الاختيار على أساس الوعي، والثقافة، وأنها محبوبة عند كل الأسيرات، وما تكون عنصرية لفئة معينة"، بينما نجد في رواية (أ.ق) بأن موضوع التمثيل ساهم بظهور المزيد من الإشكاليات والحزازيات، فتقول: " للأسف هناك قيادات متعددة في داخل السجن، ومن مختلف التنظيمات، والأحزاب، هذا خلق مشاكل وحزازيات"، ولكن المفارقة المهمة والتي أظهرتها الروايات هنا أن هذه الحزازيات والمشاكل لم تتوسع داخل إطار الحزب الواحد، بل بين الأطر الحزبية المختلفة، وهذا ظهر بشكل جليّ في رواية المشاركة (ب.ط) عندما تحدثت عن العلاقة في داخل إطار حركة حماس، إذ قالت: "الاحترام موجود وتبادل الأفكار مع نفس المجموعة، وحتى لو نشأت مشاكل بيننا هذا أمر طبيعي، ولكن لا نحرض على بعض، وخاصة بين بنات حماس"، أما عندما جاءت بالحديث عن العلاقة بين التنظيمات الأخرى، فبدّا أن العلاقة بين البنات من تنظيمي حماس والجهاد الاسلامي سيئة، فتحدثت بالقول:

> "كثير من الناس كانوا يقولون لي لا نفضل الخوض بذلك، لأجل وحدة الحركة المعتقلة، أنا كنت أقول لبنات الجهاد إنتو تم زرع السم فيكم لكره أخواتكم في حماس وفي فتح، ولما يعرفوا إنو أنا حماس، يصيروا يقولوا انتو ما عملتوا اشي، شو هذا الحكي، أول ما دخلت قلتلهم أنا ما بحب أضل ساكتة بحب أعطي تنمية بشرية، وكنت عارفة إنو راح يتم التحريض علي، صار معي سابقاً، قعدت أعطي شهر تنمية بشرية كل القسم كان يجي، باستثناء 2 أو 3، ولما صار المكان الي بعطي فيه الكل تقريباً 27 بنت، احنا كنا 34 بنت، فجأة بنات منهم بطلوا يحضروا، الكل مبسوط هذا تفريغ الدبكة، المحاضرات، صار الحكي من البعض ديروا بالكم هاي البنت بتستغل فيكم، هذه القصص مشكلة لما

تكون في السجن وفي مكان ضيق، لا يوجد مجال إنك ما تشوفيها، إنت مضطرة تشوفيها وتتعاملي معها، هذا كان حقد قاتل على بنات حماس، والسبب بكل ثقة أقولها تأثير البنات كان عليهم من خلال الممثلة، الممثلة كانت تعطي البنات معلومات غير صحيحة للبنات الي حواليها، هاي البنت مش عاجبتني ما تحكوا معها، خلص مش لازم حدا يحكي معها، بنت محسوبة على الجهاد اجت مشت معي، قالتلي حبيبتي (ب،ط)، بدي أروح، بلاش أتبهدل، ما تزعلي مني، قلتلها شو تتبهدلي احنا ماشين بالساحة"

هذا الاختلاف في العلاقة بين أعضاء الحزب الواحد، وأعضاء الأحزاب المختلفة قائم بالدرجة الأولى على طغيان الهوية الفصائلية على باقي المكونات الأخرى، فما الذي يدفع امرأة، فلسطينية، مستعمَرة، مناضلة، تحمل تعدداً في الهويات أن تقع في إشكاليات مع فصيل آخر، على أمور روتينية بسيطة متعلقة بالحياة اليومية، إنها ناتجه عن الهوية الفصائلية التي أوجدت العديد من القيادات، التي يحمل كلاً منها فكراً سلطوياً يسعى إلى فرض هيمنة على أعضاء جماعته، باعتباره يملك صفات "قيادية"، والدخول في إشكاليات مع الأطر الحزبية الأخرى. إن هذه الحزازيات والمثال عليها ما ذكر في هذه الرواية، يساهم بشكل واضح في إيجاد شرخ كبير في الموقف الوحدوي الوطني بين كافة الفصائل في داخل المعتقل، بحيث يصبح لكل فصيل موقف مختلف، أو قد يتشابه هذا الموقف بين فصيلين. هذه المواقف المتفرقة أصبحت قادرة على إضعاف موقف الحركة المعتقلة كقوة ضاغطة قادرة على تحقيق نضالاتها المطلبية والسياسية.

من ناحية أخرى أظهرت روايتي (ج.ق) و(ت.ح) أن الممثلة (ل،ج) استطاعت احتواءهن والتخفيف من صدمة اعتقالهن، فقالت المشاركة (ج.ق):

" خالتو (ل،ج) قدّ ما أحكي ما بوفيها حقها، يعني أم وأخت، ولدرجة إنسيت أنا في سجن، من كثر معاملتها الطيبة، ضل تسألني ناقصك اشي، وأخذتني على غرفة، ونشفتلي شعراتي عشان تخليني أنسى، ولفتلي رجلي،

لأنو رجلي كانت مضروبة، وطلعتني عند الأسيرات". اتفقت معها في ذلك المشاركة (ت.ح) عندما قالت:" كانت (ل،ج) الها مكانتها وشخصيتها قدام البنات، الجميع بحبها وبحترمها، الجميع برد عليها، وما بحب حدا يزعلها، خلص ما كان في كثير مشاكل، صحيح مرات كان يصير مشاكل بين بنت وبنت، كان خالتو لينا تحل المشكلة على طول، ويرجع الوضع طبيعي، بس بعدها صار كثير مشاكل، حتى ما بين الممثلات نفسهم".

هذه الروايات تأتي تأكيداً على ما تم نقاشه بأن هذه الحزازيات والمشاكل لم تظهر بين أفراد المجموعة الواحدة، بل ظهرت بين الأطر الحزبية المختلفة، وبالأحرى بين الممثلات أنفسهن، والتي انعكست بدورها على أعضاء المجموعتين.

إن فكرة التمثيل كفكرة مجردة تبنى على أن الممثلة يجب أن تقف كحلقة وصل بين المعتقلات وإدارة السجن، وذلك تجنباً للاحتكاك المباشر بين أي معتقلة وبين إدارة السجن ولكنها تصبح إشكالية عندما تحاول الممثلة فرض سيطرة وسلطة على الحياة اليومية للمعتقلات، تقوم بالأساس ليس على فكرة التنظيم والتشاركية في القرارات والحياة، وإنما على فكرة التسلط والطغيان من قبل الممثلة، وواجب الطاعة من قبل الجماعة، فلم تظهر أي رواية بأن هؤلاء المعتقلات اللواتي خاض أغلبهن نشاط سياسي في الخارج أن لهن مساحة حرية كافية للتعبير وتقديم الرأي، بل كانت صلاحية اتخاذ القرارات والمراقبة عليها تقتصر على الممثلة، وعلى الجميع الالتزام به دون نقاش.

التحديات داخل الحيز المكاني المعتقل:

يتم في هذا الجزء تناول التحديات داخل هذا الحيز المكاني،والتي ظهرت في الرواية من خلال ثلاث محاور مهمة، وهي الأمراض المزمنة داخل المعتقل، والدورة الشهرية، وفكرة الأمومة، بحيث تصبح هذه المحاور الثلاث إحدى أهم الوسائل التي تشكل ضغطاً نفسياً وجسدياً على المعتقلة، لأنها قائمة على فكرة الحرمان،

الحرمان من توفير العلاج، والحرمان من توفير فوط صحية للمعتقلة، ومراعاة الآلام التي تلحق بها من جراء الدورة الشهرية أثناء التحقيق بها، والحرمان من تكوين عائلة وإنجاب أطفال نتيجة التقدم في السن، أو حرمان المعتقلة من أطفالها. إن فكرة الحرمان تشكل آلية من آليات كثيرة ظهرت في هذه الدراسة وتستغلها إدارة المعتقل لكسر صمود المعتقلة.

الأمراض المزمنة داخل المعتقل:

تمثل رواية (ك.ق) لظروفها الصحية مثالاً كبيراً على الأوضاع الصحية الصعبة لبعض المعتقلات، ومدى الاستهتار الذي يمارس بحقهن من قبل إدارة السجون، حيث تظهر الروايات أن إدارة السجن تتعمد سياسة الإهمال الطبي تجاه المعتقلات، وتنحو بهن نحو "الموت البطيء"، الذي تتكدس حوله الآلام وآهات المعتقلات الشديدة، فتقول (ك.ق) "تعاني من عدة ضيق في الأوعية الدموية، بترت بعض أصابع يدها بسبب ذلك، أصيبت داخل المعتقل بالغرغرينا":

> "مصابة بأكثر من مرض وقت الاعتقال، والآن وضعي تطور كثيراً، كان معي مرض في الأوعية الدموية، وعندي بتر في الأصابع، بصير عندي في الشتاء تضيق في الأوعية الدموية، كان عندي روماتيزم، وأمراض كثيرة جميعها بداخل نطاق المناعة، مناعتي ضعيفة جداً، وأي شيء ممكن أتأثر فيه، لفحة الهوا بتأثر علي، إذا انجرحت ما بطيب جرحي، أصابعي تم بترها، بسبب ضيق الأوعية الدموية، وأصبت وأنا في السجن بالغرغرينا في أصبعي، أصبع إيدي إنجرح والتهب، وقعد تقريباً أربع أشهر ملتهب، صارت فيه غرغرينا، عالجته لحالي بالملح، مرة عشان يخلو الإدارة تجيبلي دكتور، البنات عملوا إضراب في القسم، وهددوا إنهم يرجعوا الأكل، جابولي فقط ممرض، قاس الضغط يومها، وأعطاني دوا للالتهابات... أنا أحتاج عناية معينة، وجسمي لا يتحمل، ويلزمني علاج سريع واهتمام سريع، لا في اهتمام ولا أدوية، انجرحت ما طبت من الجرح، تحول الجرح إلى غرغرينا، لو أنا تعالجت في الأيام العادية عند طبيب، بعقموه، وكمان مرضت في السجن وصدري سكر، وبطلت قادر أتنفس، وصرت أدوخ، ويغمى علي وأرتمي، لما طلعت من السجن، البنات زغردوا من الفرحة، لأنهم هم غير إنهم خايفات علي، ما بدهم أي نكد، ما بدهم إني أتعرض لوعكة صحية إضافية في السجن، وهذا جميعه كان يسبب الي ضغط نفسي".

تبين هذه الرواية الأوضاع الصحية الصعبة التي عانت منها المعتقلة، وهذه الأمراض ليست أمراض منتشرة كالسكري والضغط، بل هي أمراض تقع في إطار نقص المناعة، وهذا يحتاج إلى علاج طبي سريع، وعناية طبية خاصة، وهذا ما لم تجده المعتقلة، فحتى الغرغرينا التي يترتب عليها بتر في الجسد لا يتم التعامل معها من قبل إدارة السجن، وما لجأت له المعتقلة هو وضع الماء والملح عليها لتعقيمها، وتظهر في الرواية أنه حتى في الحالات التي يتم فيها احضار طبيب فإن حضوره يكون شكلياً فقط. تم التعامل مع المعتقلة (ك.ق) بهذه الطريقة السيئة في الوقت الذي كان بإمكانها الاستفادة من الأدوية التي كانت بحوزتها وقت الاعتقال، وهي العلاج لأمراضها المتعددة، إلا أن المحقق قام برمي هذه الأدوية في "الزبالة"، فتقول: " دواي كبوه في الزبالة، وكنت أطلب من المحقق أقوله إذا إنت ما أعطيتني أدويتي، أنا بموت عندك، وبالنسبة الي أنا إمرأة بتمنى الموت، لأني واحدة مريضة، والحمد لله ولادي كبار، إنت بتعمل فيّ معروف، وإنت حرّ، إنت شايف وضعي كيف عامل!!! يبين هذا الجزء من الرواية مدى الاستهتار الكبير بحياة المعتقلين، فما هو المنطق في أن يتم رميّ دواء مخصص لامرأة تعاني من مجموعة من الأمراض، علماً أن إدارة السجن على معرفة بالظروف الصحية لهذه المعتقلة، والدليل على ذلك عندما تم اعتقالها من بيتها كان من بين الجنود طبيبة رافقت عملية الاعتقال فتقول (ك.ق): "لما أجوا يعتقلوني، كانوا جايبين معهم دكتورة، كانوا يعرفوا إنو أنا مريضة، هو عارف وضعي الصحي، فطلب مني أدويتي، وكانت الدكتورة موجودة، كان فيه مجندتين، واحدة فيهم طبيبة، أخذت الأدوية جميعها، صارت تقرأ فيها" في رواية المعتقلة (آ.ر) "تعاني من فشل كلوي ناتج عن وجود أكياس على الكلي لم تتم معالجتها وهي داخل السجن، تقوم بغسيل للكلى ثلاث مرات أسبوعياً" عن ظروفها الصحية: "أول إشي كان معي أكياس على الكلى، عدم مراقبتها ومعالجتها فترة السجن، أدى لأنها تكبر وتكبر، وسبب الفشل الكلوي عندي، أنا الآن أغسل كلى ثلاثة مرات في الأسبوع". إن هذه السياسة المتعمدة وهي سياسة الاهمال الطبي بحق المعتقلات، تمثل سياسة عقابية شرسة، بحيث لا تعاني المعتقلات من هذا الإهمال لحظة وجودهن داخل المعتقل فقط، وإنما تستمر معاناتهن حتى بعد خروجهن من المعتقل، إذ أن كثير

من المعتقلات بعد خروجهن من المعتقل أصبحن يعالجهن أنفسهن من المشاكل الصحية التي أصابتهن أثناء الاعتقال، سواء جسدية، كآلالام العظام، الناتجة في أغلب الأحيان من الجلوس فترة طويلة على الكرسي، والكلبشة، خصوصاً في فترة التحقيق، أو من المشاكل النفسية، نتيجة ما تعرض له المعتقل من التعذيب والضغط النفسي الشديد، وكأن المعتقل بعد خروجه بدلاً من عودته لحياته الطبيعية، يعود ليعالج نفسه من الأمراض التي ألمت به من جراء اعتقاله، وكأن فكرة عذاب المعتقل، تمتد معه بعد خروجه، إنها لا تفارقه، إنها الذكرى المستمرة، الألم المستمر الذي يذكره بما عايشه، إنها فكرة الحرية التي دفع حياته ثمناً لها في المعتقل، وخرج ليدفع الثمن الباقي من صحته، وهو ما تريده إدارة السجن، عدم عودة المعتقل إلى الحياة الطبيعية في الخارج، تريد أن تربطه بذلك الخيط الممتد إلى داخل "المعتقل".

سلطت رواية بعض المشاركات في الدراسة الضوء على تجارب المعتقلات الأُخريات في المعتقل، من ناحية الأمراض اللاتي يعانين منها، أوجاعهن، وعدم توفير الدواء اللازم لهن، تقول (ت.ح) في روايتها:

> "كان معي في السجن بنت اسمها (ج.ج)، وهاي المعتقلة عندها مرض نفسي، مش طبيعية، وكمان لما انسجنت تصاوبت بصدرها، بعد ثلاث أيام من إصابتها جابوها على السجن، حتى هاي البنت ما كانوا يتابعو علاجها، قامت القطب من صدرها لحالها، وضعها كان كثير سيء.. وكانت (ن.ش) مصابة، وقعدت فترة مع بنت إسمها (ل.ب) مصابة، طلعت من السجن قبل فترة قصيرة...(ل.ب) كانت متصاوبة برصاصتين في رجلها، وأجت الرصاصة بالعصب، هي بطلت تشعر برجلها، قعدت فترة ما تمشي عليها ، على كرسي، بس بعدها جابوا الها قطعة بلاستيك، هيك بتحطها ورا رجلها عشان تقدر توقف عليها، بس هي ضلت تحاول، أنا ولا مرة بحياتي شفت إنسانة مثلها، ضلت تحاول تمشي على رجلها، لقدرت تمشي عليها بدون القطعة، مع إنها ما بتحس فيها بالمرة، وكنا كل اشي نعملو وإحنا ما فينا إشي، كانت تعملو أحسن منا، كانت تنط على الحبل، تركض، ما شاء الله إرادتها مش طبيعية، مع إنو كمان منظر رجلها صعب، بقع أحمر وأسود، المنظر كثير سيء".

تظهر هذه الرواية مجموعة من الأمراض المزمنة الأخرى التي تعاني منها المعتقلات، أبرزها المرض النفسي. إن هذا المرض بحاجة إلى علاج فعال ومتابعة صحية، كون هذا المرض من الممكن أن يؤدي إلى إيذاء

المعتقلة نفسها، أو إيذاء المحيطين فيها، وهذا المرض له الكثير من التشخيصات، ولكل تشخيص دواء مختلف يلائم الحالة، كما أن التعامل مع من يعانون من هذا المرض يجب أن يتم بعناية وحذر، كون أن الأدوية التي تعطى لهم في بداياتها تزيد من متاعبهم، ولا يمكنهم الانقطاع عنها إلا ضمن برنامج يضعه الدكتور، فكيف الحال إذا كان لا يتم التعامل مع هذه الحالات أصلاً داخل المعتقل، أضف إلى ذلك أن هذه المعتقلة كانت تعاني من إصابة بالرصاص الحي، واضطرت على إثره أن تفك القطب من صدرها بنفسها، دون أن يتم فحص تطورات إصابتها، ودون مراعاة لأنها لا تعرف أصلاً كيفية فك القطب بالطريقة الطبية الصحيحة. بينت الرواية أيضاً الاهمال الطبي بحق المعتقلة (ل.ب) من جراء إصابتها برصاصة في قدمها، فقدت على إثره إحساسها بالقدم، إذ لم يتم متابعتها صحياً، ولكن الإرادة التي كانت تملكها هذه المعتقلة جعلتها قادرة على التغلب على هذه الأوجاع والانتصار لنفسها.

تحدثت المشاركة (م.غ) عن الأوضاع الصحية التي تعاني بعض المعتقلات الأُخريات داخل المعتقل، فتحدثت عن المعتقلة (آ.ط) و (إ.ج) بالقول:

> "(أ.ط) كانت متصاوبة في ايدها، اصابات مخيفة، أنا أول مرة بشوف حدا هيك، أنا بنجرح شوي بخاف، هي كانت كاشفة ايدها، أنا إرتعبت، ايدها مشوهه، فيها تجويف، ارتعبت، كنت لابس جكيت أختي، شلحته ما كنت محجبة، وحطيته علي من الخوف، الي لازم الناس تعرفو، الاحتلال من ناحية العلاج كثير يقصر بالأسيرات، (إ.ج) كانوا أصابعها محروقات، والحروق درجة ثانية وثالثة، شعرها محروق، عينها وأنفها محروق، إجرها كلها محروقة، كانت تتألم نفسياً وجسدياً، كانت تبين دايماً إنها قوية، بس هي تشوهت، هي كانت إنسانة طبيعية، عايشة حياتها الها ابن، كانت بدها تنقل مكان سكنها من أريحا للقدس، وكان معها جرة غاز، بس اليهود طخوا عليها وانحرقت".

تبين رواية المشاركة (م.غ) الأوضاع الصحية الصعبة لمعتقلتين الناتجة من جراء إصابتهما الشديدة أثناء الاعتقال، وهما المعتقلة (أ.ط)، و(إ.ج)، فأظهرت الرواية أن إصابة المعتقلتين كانت إصابة شديدة لدرجة حدث

معها تشوه في شكل المعتقلة، ناهيك عن الآلام المبرحة التي تعاني منها المعتقلات من جراء هذه الإصابة، وقد بينت الرواية أن إدارة السجن تتعمد سياسة الاهمال طبي، ولا تقدم للمعتقلات سوى حل واحد، أسمته المعتقلات بـ"الحبة السحرية"، وهي "الأكامول، الأسبرين"، فالأكامول، الأسبرين، في السجن هو العلاج لكل الأمراض المزمنة والغير مزمنة، فتقول (ف.ح): "مرة أنا ذاني وجعتني، ليلتين وأنا (أشاوح بمعنى أتوجع)، ما نمت، بس أكامول، ما في اشي ثاني، كانوا يضلوا يجيبولي أكامول". وهو ما يلتقي مع قول (ك.ق) عندما قالت: "أول ماروحت من المحكمة في البوسطة تنفخو إجري، الميّ انحشرت في رجلي إشي رهيب، ما رضيوا يعملو الي اشي، ولم يراعوا ظروفي الصحية ولا مرة، وكنت أمرض، وأطلب علاج، ويكون الطبيب مسؤول عن كل اشي، يعطوكي حبة الأكامول، وهاي العلاج لكل الأمراض".

تبين هذه الروايات سياسة متعمدة من قبل إدارة السجن تجاه المعتقلات وهي سياسة الاهمال الطبي، إن سياسة الاهمال الطبي تمتد لتشمل كافة الأمراض المزمنة وغير المزمنة، بحيث يترتب على هذا الإهمال بحق المعتقلات معاناة طويلة لهن بعد خروجهن من المعتقل، في الوقت نفسه تحاول إدارة السجن في بعض الحالات التي تقوم فيها بإحضار طبيب، أن يكون ذلك بشكل شكلي، دون أن يكون هناك تشخيص أو علاج حقيقي، أضف إلى ذلك أن الحل السحري في داخل المعتقل لكل شيء هو "الأكامول، والأسبرين".

الدورة الشهرية:

تعتبر الدورة الشهرية من أكثر القضايا الحساسة التي ظهرت في رواية المشاركات في البحث، حيث تبين أن هذه القضية الحساسية وعلى الرغم من أهميتها، إلا أنه لا يتم تناولها كأحد أهم التحديات التي تواجه المعتقلة، وفي هذا الإطار تقول (ص.ك): " الدورة الشهرية، ولا حدا عمرو فتح الموضوع، وتطرق إلى هذه النقطة، وكيف ممكن أدبر حالي"، ويتشابه ذلك مع رواية (ن.و): " كنت فتاة صغيرة لما إجتني الدورة في السجن، وكفتاة أول مرة بتيجيها الدورة، ما كنت أعرف كيف أتعامل مع الموضوع، كنت مرات أستخدم شلحتي"، يظهر بأن سياسة إدارة المعتقل عمدت إلى

استخدام الدورة الشهرية لمعاقبة المعتقلات، عن طريق عدم توفير فوط صحية لهؤلاء المعتقلات، الأمر الذي اضطرت معه المعتقلات إلى محاولة تدبير أي شيء لوضعه بدل الفوط الصحية، ومنها استخدام جزء من ملابسها، أو قص اسفنج من الفرشة الخاصة بها، تقول (آ.ر):

> " أجتني الدورة الشهرية، كنت لابس بلوزة قطنية، وفوقها بلوزة صوف، إضطريت أقص كمام البلوزة وأستعملهم فوط، وأحياناً أضطر أبجهم ميّ، وأستعملهم مبلولات، أول مرة جابولي فيها "الكوتكس" كانوا مطلعيني على المحكمة على رام الله، وبنفس اليوم كانت زيارة الصليب لالي، فجابوا "الكوتكس" قدام مندوبين الصليب، قلتلهم طيب أستخدم حمام عشان أحط "الكوتكس" رفضوا، وإجيت على المحكمة على رام الله رفضوا يدخلوني الحمام، إجين ورجعن معي على المسكوبية، والفوط في جيبتي ما قدرت أستخدمها، هاي كانت صعبة للنساء بشكل خاص، في نساء كانوا قاصات إسفنج الفرشة، طبعاً الإسفنج ما بمسك، هاي كمان كانت صعبة".

تبين هذه الرواية الصعوبة الكبيرة الكامنة في عدم توفير فوط صحية للمعتقلات، فالمعتقلة لا تستطيع في كل الأوقات قص جزء من ملابسها واستخدامها، لأن القطع الموجودة معها هي قطع قليلة جداً، لا تكفي حتى لاستخدامها في داخل المعتقل، أضف إلى ذلك أن الحل الذي لجأت لها بعض المعتقلات بقص اسفنج من الفرشة له تداعيات على صحة المعتقلة وهو غير عملي، لأن الاسفنج الموجود في داخل المعتقل من النوعية "التي لا تمسك".

أما المعتقلة (ج.ق) فقد روت حادثة حصلت أمامها، وإن دلت على شيء، فإنها تدل على الإهمال الكبير في توفير فوط صحية للمعتقلة من قبل إدارة السجون: "مرة واحدة في المحكمة الثانية كنت نازلة، كانت في بنت، وكانت أصغر مني شوي، وكان موعد محكمتها، هسه هي قاعدة قدامهم، وبتنزف على الكرسي، لا إنسانية، بس فاتت على الزنزانة، طلبت مني أحكي مع السجانة، حكت مع السجانة، بس ولا كأنها سامعة، البنت تنزف قدامهم، صرت أبكي عليها". وحتى في الحالات التي تضطر فيها إدارة السجن لإعطاء فوطة للمعتقلة، فإنها تكون من النوع الرديء جداً الغير صحي، وهذا يظهر في رواية (ك.ق) عندما تقول: "لما كانت تيجينا الدورة في التحقيق، قلت للمحقق بدها تيجيني الدورة، بدي

"فوط صحية" قالي طيب، شو يعمل، يعطوكي واحدة ويلفوها ويدخلوها من جوا السياج، القطن خفيف ومسخرة، تكوني بدك عشرة مثلها".

تظهر رواية (ج.ق) و(ك.ق)، سياسة إهمال الطبي، وعدم توفير فوط صحية للمعتقلات من قبل إدارة المعتقل، وفي الحالات التي تضطر فيها إدارة السجن لتزويدهن بها أثناء الذهاب للمحكمة، تمنعهن في كثير من الحالات من الدخول للحمام لاستخدامها، وكأنها منظر فقط يجري الاحتفاظ به.

أضف إلى ذلك أنه لم يتم مراعاة الآلام التي تلحق بالمعتقلة أثناء التحقيق، فتقول (ب.ط): "هذا الاشي كان متعب بالنسبة الي حتى إنو إجتني الدورة الشهرية، فصار الألم يزداد، ولفترة شبه إنو يغمى علي، الدكتور قالهم، ممنوع تحققو معها هلكيت، ودوني "أرسلوني" ساعة ونص على الزنزانة ورجعوا يحققوا معي"، وهذه إشكالية مهمة، إذ أن الدورة الشهرية يرافقها في العادة مجموعة من الآلام الجسدية، فأن تكون المعتقلة بحالة نفسية صعبة في التحقيق، وإرهاق جسدي ناتج عن إصابة أو تحقيق قاسي، يضاف اليه آلام الدورة، وتمنع المعتقلة من الذهاب للحمام والتعامل مع الوضع، هذا يعني أن معاقبة المعتقلات في شيء بيولوجي خاص بأجسادهن هي أسلوب متعمد لكسر المعتقلة.

الأمومة:

أظهرت الروايات أن موضوع الأمومة قد ظهر من خلال جانبين:

الجانب الأول: "حلم" الأمومة، فقد عبرت لبعض المشاركات عن أن فكرة تكوين عائلة وإنجاب الأطفال تصعب شيئاً فشيئاً كلما قضت المعتقلة فترة أطول في "السجن"، فالسنين التي من المفترض أن تنجب فيها المرأة، هي ذات السنين التي تقضيها داخل السجن، وفي هذا تقول (ص.ك) "مخطوبة للمعتقل (ج.ع):

"إنتي لما تحكي عن بنت صار عمرها ثلاثين سنة، صارت تفكر في حالها، أكثر مما تفكر في الي حوليها، أنا هسه أول ما ارتبطت، كنت أحكي آخر همي إني أخلف وأجيب ولاد، بس كيف بشوف صاحباتي الي مجوزات، وكيف العمر بمشي، صرت أفكر في الموضوع، بدي أكون أم، بدي خطيبي يطلع ونجوز".

تظهر هذه الرواية نوعاً من الألم لدى المشاركة، فترى بأن العمر يمشي بها وخطيبها (ج.ع) في داخل المعتقل، وحلمها الآن هو أن يخرج خطيبها وأن يكونا عائلة، وأن تصبح أم (من المفترض أن يخرج المعتقل (ج.ع) من " السجن" في العام 2023)، إذ أنه يقضي حكماً بالسجن لمدة 20 عاماً، والمعتقلة (ص.ك) أسيرة ومن محررة ضمن محرري صفقة شاليط، إذ قضت من حكمها البالغ عشرين عاماً ما يقارب السنتين، ما تتخوف منه المشاركة هو إعادة اعتقالها لإكمال حكمها، كما حدث مع الكثير من محرري صفقة شاليط، ومنهم المشاركة في هذه الدراسة (هـ.ن)".

في رواية أخرى ظهر ألم من نوع آخر، وهو ألم فقدان "فرصة" الأمومة، نتيجة التقدم في العمر، وهذا ظهر في رواية (ك.ق) عندما قالت عن لحظات قرب الإفراج عنها ووداع زميلاتها داخل المعتقل:" لينا الجربوني بتقولي أم معاذ، إحكيلهم بره إنو إحنا مش رايحين نقدر نخلف لما نطلع، إن طلعنا وتجوزنا مش رايحين نقدر نخلف، يعني كثير الموقف كان صعب، كنت أتمنى الأرض تنشق وتبلعني، كنت بدي أختفي". يبين لنا ذلك أن هؤلاء المعتقلات والمناضلات هنّ إناث أيضاً، إلا أن الخارج يحاول دائماً أن يضع هؤلاء المعتقلات في هالة كبيرة، وكأنهن أسطورة، متجردات من كل المشاعر، إن المجتمع هنا يرفع قيمة البطولة ويضعها فوق الإنسانية، الشعور الإنساني بحاجته لأبسط الأشياء، إلى الارتباط، إلى الزواج، إلى الحب، إلى الكره، إلا أن هذا يبين لنا أن المعتقلات دائماً أمام تحدٍ صعب، يمثله العمر، العمر الذي تقضيه المعتقلة في داخل السجن، يتضح عمق ذلك بعد أن تخرج المعتقلة من السجن إلى الخارج، بحيث يحتفى بها وتعتبر بطلة، إلا أنه في الوقت نفسه هناك تخوف أو نوعاً من

الملامة من الاقتراب من هؤلاء المعتقلات، أو محاولة الارتباط بهن، فالناس تعتبر أنها إذا تعاملت مع معتقلة محررة من الممكن أن يتعرض للاعتقال.

الجانب الثاني: يتمثل هذا الجانب باعتقال امرأة لديها عائلة وأطفال.

تبين رواية المشاركتين (آ.ر) مدى الصعوبة الكبيرة والألم الذي يلحق بالمعتقلة من جراء غيابها عن أطفالها، وعدم تمكنها من رؤيتهم، واحتضانهم، سماع صوتهم، بكائهم، لعبهم، كل هذه التفاصيل تصبح في داخل المعتقل، حلماً لدى المعتقلة للحصول عليه، فتبين رواية (آ.ر) "حين اعتقالها كان لها ولدين وبنت"، الألم الذي لحق بها من جراء تركها لأطفالها، فأصبحت فكرة المساس بأي شيء متعلق بهم هي فكرة تثير غضبها، وهذا يظهر في روايتها، عندما تقول:

> " في الزنازين مثلاً كنت بحثل القهوة أكتب أسماء لولاد على الجدران بإصبعي فداء وفادي وساجي، أكيد كأم ما بروحوا من بالك، بس في الوقت نفسه ما بدك يكونوا نقطة ضعفك، أكتب أسامي لولاد على الجدران، لدرجة مرة نقلوني على زنزانة ثانية، بيني وبين نفسي، ولكم يا كلاب رجعوني على الزنزانة الي فيها ولادي، يعني صارت الزنزانة الي مكتوب أسماء ولادين وكأن ولادي موجودين فيها".

إن هذه المشاعر التي أظهرتها رواية (آ.ر) تبين مدى الحسرة الداخلية وافتقاد الأطفال في داخل المعتقل، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هذه المعتقلة تركت وراءها أطفالاً لا بتجاوز عمر الكبير منهم سبع سنوات.

بينما تظهر رواية (ك.ق) مشاعر أمهات أُخريات في داخل المعتقل، أثناء خروجها من المعتقل، وهنّ يحلمن بالخروج معها لرؤية أبنائهن، ومنهن المعتقلة (ق.س)، و(إ.س)، فتقول (ك.ق): "(ق.س) تحكيلي يا ريتني معك، يا ريتني محلك، أشوف ولادي، كان صعب جداً جداً، خصوصاً الأمهات، مثل (ق.س)، (إ.س)". تظهر هذه المواقف معاناة

الأمهات المعتقلات من جراء اعتقالهن، وعدم تمكنهن من رؤية أطفالهن، وهذا كما وصفته المشاركة (ك.ق)، صعب، وصعب جداً.

إن ما أظهرته رواية (آ.ر) أيضاً هي الكيفية التي حاول من خلالها المحقق، استغلال موضوع الأمومة، والضغط على المعتقلة من خلاله، ويظهر ذلك من خلال "معايرتها"، بأن من كانوا يحملون الفكر الثوري وتتشاركي معهم في النضال، الآن هم في "الأوتيلات والفنادق"، بينما أطفالها يعيشون في أوضاع سيئة، ولا تتمكن من رؤيتهم، فتقول (آ.ر):

> "كان عندي ولدين وبنت، الصغير كان عمرو ثلاث سنين، وعندي ست سنوات، وسبع سنوات، قالولي: إنتي بتحبي الأفلام الهندية، بكره بيجوا ولادك ماما ماما، وإنتي مش قادرة تحضنيهم ولا تشوفيهم، من هالحكي، ولادنا إحنا في نوادي وموسيقة، وولادكم دايرين بالشوارع، عشان مين بدك تصمدي، عشان منظمة التحرير، الي دايرين بالفنادق والأوتيلات، بسكروا وبخمروا، وإنتو هان مش لاقيه لقمة لولادكم، أنا رديت عليهم بكره بكبروا ولادي وبفهموا وبستوعبوا شو بصير... حتى يوم محكمة شليش، بنتي شكلها سامعتهم وهم بحكولي ندمانة، فلما أجوا ولادي على الزيارة بعدها بنتي قالتلي، ماما ما تردي على حدا، إحنا مش من الناس إلي بتأسفوا على إلي بعملوا، إحنا مستعدين نستناكي قديش بضلي، وكان عمرها سبع سنين".

إن الأمومة في داخل السجن هي من أصعب القضايا التي تمر على المعتقلات الأمهات، فالمرأة عندما تدخل السجن قد تترك ابنها أو ابنتها طفلاً، وعندما تخرج سيكون قد كبر بالعمر، وربما أصبح شاباً، الشيء الصعب هنا أن المعتقلة لا تدرك ابنها وهو يكبر، ونبرة صوته تتغير، واحتياجاته تختلف، ربما تلحظ ذلك من خلال صوته على الراديو، أو شكله على الصور، ما يحدث داخل السجن أن إدارة السجن تسمح للأم المعتقلة برؤية ابن واحد لها كل شهر مدة عشر دقائق، وإذا كان للأم أكثر من ابن فستشاهدهم وتلمسهم على مدار أشهر بحسب عددهم، مدة عشر دقائق وينتزع هذا الطفل، إنها مثل مثل رمي شرارة بحقل حشيش، هو احتراق داخلي

للأم المعتقلة لا يتوقف أبداً، تحاول كل أم إخفاءه قدر الإمكان، إلا أنه في لحظات معينة يتجاوز صمته، ويخرج ببكاء بصوت عالي.

القسم الثالث: آليات الصمود

يتناول هذا القسم آليات الصمود التي تلجأ لها المعتقلة خلال التجربة الاعتقالية برمتها، وذلك للتغلب على أساليب المحقق، وأهداف إدارة المعتقل، والمنظومة الاستعمارية برمتها.

يسلط الجزء الأول من هذا القسم الضوء على آليات الصمود أثناء التحقيق، ونعني بالصمود هنا "عدم الاعتراف"، وتبين الروايات أن أهم هذه الوسائل التي قادتهن إلى الصمود جاءت بين: إظهار القوة، المعرفة المسبقة من خلال "القراءة، تجارب الآخرين"، الإنكار، المراوحة بين الإنكار وعدم الإنكار، الصمت، الهدوء، المراجعة الذاتية. وأثبتت الروايات بأن هذه الوسائل كان لها دور واضح وكبير في دعم صمود المعتقلة في التحقيق وخروجها دون اعتراف.

يسلط الجزء الثاني من هذا القسم على الصمود داخل غرف المعتقل، من خلال النظر إلى هذه الغرف كـ"استثناء" تقوم على العزل المكاني والرتابة الانضباطية، أداتها حرمان الإنسان من الحرية، تطور فيه المعتقلات صمودهن من خلال النشاطات اليومية. نستعرض في هذا القسم هذه الوسائل التي أظهرتها الروايات، لنتعرف على الكيفية التي تقضي فيها هذه المعتقلة حياتها داخل المعتقل، وما الذي تقوم به لكسر هذا الروتين اليومي وتحقيق صمودها.

يسلط الجزء الثالث من هذا القسم الضوء على وسيلة الصمود المستمدة من الخارج، ونعني بهذا الصمود "الصمود المستمد من خارج أسوار السجن"، ويتمثل هذا الصمود من خلال أولاً: برامج الأسرى التي تبث على

الإذاعات المحلية، وثانياً: الرسائل، ثالثاً: علاقة المحبة، ليتبين لنا من خلال المشاركات بأن هذه الوسائل كان لها الأثر الأكبر على نقل مخيلة المعتقلة من كوابيس المعتقل، إلى "جنة"، الأرض خارج هذه الأسوار.

يسلط الجزء الرابع من هذا القسم الضوء على الصمود لتحقيق نضالات مطلبية وسياسية، يأتي الشكل الأول على شكل الإضراب ويكون موجهاً لتحقيق نضالات مطلبية لها علاقة بالحياة اليومية داخل المعتقل، بينما يأتي الشكل الثاني من خلال مشاركة واحدة في المعتقل عن طريق التمثيل "إدعاء الجنون"، وذلك لتحقيق مطلب سياسي وهو الإفراج الفوري عنها. تبين روايات المشاركات بأن هذين الشكلين كان لهما الأكبر في تحقيق هذه النضالات المطلبية والسياسية.

الصمود أثناء التحقيق:

نعني بالصمود في التحقيق هو "عدم الاعتراف" (ميعاري 2014، 11). أظهرت رواية المشاركات ثنائية أساسية في التحقيق تدور بين المحقق والمعتقلة، جانب منها مرتبط بصمود المعتقلة، فيما يرتبط الجانب الثاني بكسر صمود المعتقلة، وخلال هذه الثنائية تظهر أساليب كل من المحقق التي تحدثنا عنها في قسم "التحقيق كآلية للسيطرة الاستعمارية"، وتظهر وسائل المعتقلة في الصمود، والتي سنأتي على نقاشها في هذا الجزء.

أظهرت رواية المعتقلات المشاركات في الدراسة أن هناك العديد من الوسائل التي لعبت دوراً جوهرياً في صمود المعتقلات أثناء التحقيق، تأتي هذه الوسائل في ظل وعي كامل من قبل المعتقلة بما تتعرض له أثناء التحقيق، وبالدرجة الأولى من المعتقلات اللواتي لهن تجربة سياسية ووطنية، وتم الحكم عليهن على خلفية قضية.

تضمنت الروايات مجموعة من الوسائل التي عملت المعتقلات على اتخاذها في محاولة للتغلب على التحقيق والخروج منه دون اعتراف، أما الوسائل التي أبرزتها الروايات فهي:

- **إظهار القوة:** ظهر أن هناك أسلوباً مهماً قد لعب دوراً في ثبات المعتقلة، وعدم زعزعة ثقتها بنفسها وبمحيطها الذي جاءت منه وهو إظهار قوتها، أما عن ماهية هذه القوة، فقد تحدثت المشاركة (ص،ك) عنها بالقول: "هاي مش قوتي الي بعرفها، قوة كبيرة أكثر من القوة الي أنا شايفتها،، الي اليوم بحكي عنها، ليش أنا ما حسيت بألم الضرب؟ ليش كنت قوية؟ ليش اليوم إذا رجلي تضرب بباب أقعد يومين وأنا حاملة رجلي وقاعدة".

يتبين لنا في هذه الرواية أن هذه القوة التي تحدثت عنها المشاركة (ص،ك) في روايتها، لا تعرف ماهيتها، ومن أين كل هذه القوة لها، قوة لا تراها، قوة فجائية لم تعهدها. هذه القوة هي التي تظهر في داخل السجن بوحداته المختلفة، وهي غير القوة الموجودة خارج أسوار "السجن، هنا قوة إمرأة، فلسطينية، معتقلة، مسلمة، محجبة، تتعرض للتعذيب، هذه هي هويتها، أمام قوة ذكورية، سلطوية، مستعمرِة، هذا التعدد في الهويات، فالمرأة هنا تجمع بين عدة سياقات تهميش نابعة من هويتها بصورة أساسية، بحيث تصبح هويتها كإمرأة وفلسطينية، ومسلمة، يتم استغلالها هنا لممارسة المزيد من الاضطهاد، ولكن المميز هنا أن تعدد الهويات يفتح أمام المعتقلة صورة أوسع لرؤية كل هذه الاضطهادات التي تمارس عليها، وفي هذه الحالة فإن هذه الاضطهادات تولد فعل، فعل تجاه هذا الاضطهاد بمقاومته، ومقاومته قد تكون بتحديث، بالصمت.

تتحدث المشاركة (ن.و) عن إظهار هذه القوة أثناء التحقيق ومدى أهميتها، للخروج من التحقيق دون أن يتم جرّها للاعتراف، أو تلفيق أي تهمة لها:

> "يجب أن تظهر قوتك أمامهم، أمهات الشهداء لما يستشهدوا بتكون تزغرد، ولكنها محروقة من الداخل، يجب أن تظهر قوتك قدام الاحتلال، إذا بينت إنك ضعيف إنت خسرت، إذا أظهرت لهم ضعفي سوف يقومون

باستغلالي، وكان المحقق يهددني بالاعتداء علي، فلو أظهرت له خوفي لكان إعتدى علي، فكانت القوة هي السبب".

تبين هذه الرواية بأن إظهار القوة، وليس امتلاكها فقط، هي عامل مفصلي في التحقيق، فالمعتقلة تتعامل في هذه الحالة مع ذكر، ومع محقق مستعمِر، إن استمرار قوتها يحتم عليها أن تتخلص من شعورها بالخوف، والشعور بالخوف هنا مرتبط بدرجة كبيرة في أنها تتعامل مع رجل، إذاً هي بحاجة إلى تحييد الجنس، والتعامل معه ليس كإمرأة مقابل رجل، وإنما كمستعمِر مقابل مستعمَرة، هنا المعتقلة تأخذ تفكيرها إلى اتجاه آخر، وتغييب الجنس عن مخيلتها، إن تغييب الجنس في التحقيق عامل مهم في إفشال التحقيق، لأن الجنس والتهديد به من أكثر الوسائل التي تعتمد عليها أجهزة المخابرات أثناء التحقيق.

ظهرت القوة أيضاً في رواية (ب.ط) من خلال محاولة المحقق اللعب على الصورة النمطية للمرأة، وهي "العاطفة"، بمعنى المرأة عاطفية غير قادرة على الابتعاد عن أهلها وعائلتها، هي تشتاق لهم، وهذا يظهر في رواية (ب.ط) عندما قالت:

"حتى لو أحضرت إمي، أنا الي في المعركة مش هي، بدك تهددها عادي مش فارقة، وهذا الاشي كان يستفز المحقق، يقول لي: إنت مش إنسانية، إنت فش عندك مشاعر، قلتلو: فش عندي، مش إنت قلتلي الي إيدو في المي مش زي إلي إيدو بالنار، ولليش أسأل عن الي بره، أسأل عن حالي".

تبين هذه الرواية مدى الاستفزاز الكبير من قبل المعتقلة للمحقق، ليصفها بالقول: إنت مش إنسانة**!!!** وهنا الإنسانية مجرد شعار كما الوطنية "شماعة"، لإضفاء شرعية وطنية وسياسية وإنسانية على أكثر من يضطهدون هذه القيم.

إن استمرار المحقق بإطلاق هذه الصفات على المعتقلة، يستهدف من خلالها نقاط قد تكون نقاط ضعف لدى المعتقلة، لكن ما تفعله المعتقلة أنها تحاول إخفاء هذه النقاط، ولكن إذا بقي المحقق يتحدث عن هذه النقاط

بشكل مستمر، هو يحاول أن يجعل المعتقلة تحت وقعها، لأنها ترتبط بقضايا مؤلمة، محاولاً إبداء التعاطف معها، هنا يحاول أن يظهر المحقق نفسه بأنه ذلك الأخ الطيب الحنون الذي سيقف إلى جانبها، ولكنها وسيلة يتنقل بينها وبين وسيلة أخرى، فالمعلومات التي يريدها تولد لديه استعداد لإهلاكها من أجل الحصول عليها.

كما ظهرت القوة في رواية (ز.س) عندما اعتبرت بأنه لا شيء ممكن أن يستطيع المحقق أن يبتزها به، حتى لو جاء المحقق على القيم التي تمس بشرف "العائلة والمجتمع"، ويظهر ذلك في روايتها عندما قالت:

" أهم اشي إنو الواحد يبين الهم انو ما في أي إشي ممكن يقدروا يبتزوك فيه، مهما كان، يعني لو جابولي صورتي وأنا عارية، أو يتهموني في قصص ما بخوفني، لأنو إنت في النهاية احتلال بطلع في ايدك تعمل أي إشي، بس هذا ما بخليني أبيع مبدأي أو وطني، أو أضعف، أو أستسلم".

وهذا يتشابه مع التهديد الذي تعرضت له (ب.ط) عندما قالت:

" وصل الحد معه للقول لي: راح أعمل صور الك، وأنزلها على الفيس بوك، عشان يعرفوا هاي الي بحبوها، قلتلو: أنا جاهزة، الصور أنا كمان راح أنشرها عندي، هو إنجن إنو الموضوع مش فارق معي، قلتلو طول ما أنا مش عامل اشي مش فارق معي، بدك تفبرك، راح أنشر على صفحتي بس أعطيني نسخة".

هنا قامت المشاركتين بإظهار قوتهما للمحقق، وهذه قوة بحد ذاتها، ذات علاقة بأنه لا يوجد شيء في الدنيا يستطيع المحقق ابتزاز المعتقلة به، حتى لو كان الموضوع هو "جسدها".

إن هذه القوة تظهر في جانب آخر من الروايات، وهو قوة الإيمان بالمبادئ والأفكار، التي تقدم على كافة الأمور، حتى في جانب الحاجة الشديدة للعلاج، فالمعتقلة (ن.و) قدمت مبادئها على وجعها وآلامها، ويظهر ذلك في رفضها للذهاب للعلاج تجنباً للمشي تحت علم إسرائيل، فقالت في روايتها: "أنا مرضت وحولوني على مستشفى الرملة، وكان عندهم عيد البيسح، وهذا البيسح كانت تكون كل المنطقة أعلام إسرائيلية، رفضت أطلع مشان ما أمشي تحت العلم الإسرائيلي، كنت بشوف إني أمشي تحت علم إسرائيل جريمة"، تبين هذه الرواية أن قوة إيمان المعتقلة بهذه

المبادئ فاقت آلامها وأوجاعها انتصاراً لمبادئها التي ناضلت وتؤمن بها، هذا على الرغم من معاناة المعتقلة من آلام شديدة في الكلى بسبب ظروف التحقيق معها.

إن إظهار القوة أمام المحقق من أنجح الوسائل التي لجأت إليها المعتقلات لمحاولة الانتصار لذاتهن ومبادئهن وما ناضلن لأجله، وعلى الرغم من أن المحقق حاول كسر المعتقلة، إلا أن المعتقلات كنّ مدركات لأن هذا "محتل"، وبإمكانه أن يعمل أي شيء، والقوة هو أن تظهر المعتقلة للمحقق بأنه لا يوجد شيء قادر من خلاله المحقق أن يبتز المعتقلة من خلاله.

- **المعرفة المسبقة:** نجد في الروايات بأن هذه الوسيلة هي الوسيلة الأكثر انتشاراً بين المشاركات، والتي مكنت المعتقلة من الصمود أثناء التحقيق، وقد ظهر في الروايات أن هذه المعرفة مستوحاة إما من القراءة المسبقة حول تجربة الاعتقال، أو من خلال تجربة الأفراد المحيطين بالمعتقلة أثناء اعتقالهم، فتقول (ب.ط): "أنا كنت قارئة عن الموضوع"، ومن خلال مقارنة سريعة بين الكيفية التي تعاملت بها المشاركة (ب،ط) مع أساليب المحقق في التحقيق والتي تم نقاشها في القسم الأول من هذا الفصل، يتبين لنا كيفية انعكاس هذه القراءة على صمودها في التحقيق، فمعرفتها من خلال القراءة لكل ما يتعلق بالتحقيق وما يحدث فيه من حيثيات، مكنتها من تشكيل صورة مسبقة للكيفية التي ستتغلب من خلالها على ما تتعرض له الآن، وهذا يلتقي مع رواية (أ.ق) عندما قالت في معرض روايتها: "أنا كنت أقرأ كثير، أنا غذيت حالي بالقراءة، كنت أقرأ كثير عن الاعتقال، لو تعرضت التحقيق، لو دخلت المعتقل كيف ممكن تواجه المحقق، هاي الأمور كنت أقرأ عنها، بعدها دخلت على المقابلة كنت واثقة من نفسي جداً، حتى أنني أتذكر في المقابلة أنني وضعت رجل على رجل، وفكرت حالي بدردش مع شخص عادي"، تبين هذه الرواية أن المعرفة المسبقة عن الموضوع إما من خلال القراءة أو تجارب الناس أعطتها ثقة بالنفس، ناتجة عن

هذه المعرفة، هذه الثقة استطاعت من خلالها التزام الصمت في التحقيق، وعدم الاعتراف. كما أظهرت أهمية المعرفة المسبقة من خلال وصف (ز.س)، عندما استطاعت أن تفهم حركات وملامح المحقق، والكيفية التي تستطيع من خلالها الجلوس بأريحية كبيرة، فقال:

"المحقق بركز كثير في حركاتك، أنا كنت قارئة كثير عن هذا الموضوع، كيف أكون جالسة كيف أطلع فيه؟ كيف ملامح وجهي تكون، كنت عادي ضابط أعصابي، كيف حاطة ايديكي، ما تهزي حالك، فكنت حريصة جداً جداً، هاي الأمور أنا كنت قارئة عنها كثير، كنت جالس كيف أنا جالس معك هسه، وأريح كمان، هيك بالزبط حاطة رجل على رجل، وبحكي بأريحية وببتسم وعادي".

تبين هذه الرواية كيفية انعكاس المعرفة المسبقة من خلال القراءة على صمود المعتقلة أثناء التحقيق، فبينت المقابلة مع (ز.س) بأنها كانت مثقفة، تمتلك معرفة ذات قاعدة واسعة لكل تجربة الاعتقال، والتي امتدت للغة جسد المحقق والمعتقلة.

في السياق ذاته أظهرت روايات أخرى أن المعرفة المسبقة جاءت بشكل أساسي من تجارب الآخرين الذين تربطهم صلة صداقة أو قرابة بالمعتقلة، فتقول (ص.ك) في معرض حديثها: "أبوي معتقل، وطول الوقت أسأل وأستفسر، شو ممكن بوكلوا، شو ممكن بشربوا، شو ممكن يصير معهم"، وتستكمل هذه الفكرة مع ما ورد في رواية (ك.ق) عندما قالت:

"الاشي الي ساعدني، إنو كان في الي صاحبات قبلي معتقلات، وكنت أسمع، فصرت أرجع الذاكرة، وكل اشي سمعتو أتذكرو، وتخيلت المسكوبية والزنزانة، وشو بدو يصير معي، هذا هو الي ساعدني، أنا عارف هسه إني أنا داخل على غرفة الزنزانة، وبعرف إنو الحيطة خشنة، وإنو أنا ما بقدر أرجع ظهري عليها، إنو الحمام وسخ كثير، إنو الأكل هو بيضة لونها أسود من الداخل، فكنت عارفة هاي الأشياء".

تبين هاتين الروايتين أن الأحاديث عن التجارب الاعتقالية من قبل الأشخاص الذين تعرضوا لها كانت كافية بتزويد كل المحيطين بهم بمعرفة عن التجربة الاعتقالية وما الذي يحدث فيها، وهو ما شكل أحد الوسائل المهمة في الصمود.

إلا أنه من ناحية أخرى ظهر أن هناك معتقلات لم يكن لديهن معرفة مسبقة بأي من تجارب الاعتقال أو التحقيق، فشكل لهن حدث الاعتقال ذاته صاعقة كبيرة ، وفي بعض الأحيان حملت روايتهن معاتبة لعدم وجود أطراف قادرة عن إحداث توعية، أو حتى طرف قادر على الجلوس مع المعتقلة قبل التحقيق معها لغرض توعيتها، قد يكون هذا الطرف محامي، أو هيئة مستقلة، وهذا ما نجده في رواية كلاً من (ج.ق) و(ن.ع)، فتقول (ج.ق):

> "من المفروض قبل ما تنزل أي أسيرة على التحقيق أن يتم توعية المعتقلة بكيفية التعامل مع هذا الموقف، هم كمان ما أعطوا خالتو لينة "ممثلة الأسيرات" مجال إنها تحكي معي، ما لحقت أوصل السجن عشان تشوفني، إلا هم طلبوني بعد ما وصلت بعشر دقائق، قالوا (ج،ق) محكمة، (هـ،ن) "معتقلة" قالتلي ديري بالك، أعطتني شاله، البستها على راسي، وطلعت معهم...لما رجعت على السجن، سألتني خالتو لينا وقعتي على الأوراق، قولتلها آه، قالتلي بما معناه " الله يجعلهم يموتوا، مش لازم كان يصير هيك"، لأنو هاي الورقة الي وقعت عليها بتم إدانتي من خلالها، هنا تكمن أهمية توعية المعتقلة قبل أن تدخل في تحقيق، لأنو المعتقلة بحاجة إلى توعية".

وتستكمل هذا الحديث (ن.ع) فتقول:

> "أساساً أنا لم يكن لدي الوعي الكبير ماذا يحدث في التحقيق، وكيف يتم التعامل مع الشخص، كوعي سياسي ووطني بهذه الجزئية أعتقد أنا أنه لم يكن لدي الوعي الكافي، حتى فكرة اعتقالي لم تكن واردة، مع أني فلسطينية، ولكني الآن أقول أن كل فلسطيني يجب أن يضع أول احتمال في حياته أنه سوف يتعرض للاعتقال، ولا أحد فلسطيني مرفع عن الاعتقال من طرف الإسرائيليين".

تبين هاتين الروايتين كيفية انعكاس عدم امتلاك معرفة مسبقة عن التحقيق على معاناة المعتقلة في هذه الوحدة، الأمر الذي لم تستطيع من خلاله المشاركة (ج.ق) الاعتراض على إجبارها على توقيع أوراق مكتوبة باللغة العبرية، إذ من حقها القانوني أن يتم توفير ترجمة لها تشرح ما هو موجود في هذه الورقة، أضف إلى ذلك أن

المشاركة (ن.ع) اعتبرت نفسها أنها لم تكن تملك الوعي الكافي لماهية التحقيق، لذلك فاعتبرت أن الوعي يجب أن يتوفر للجميع، لأن فكرة الاعتقال فكرة واردة أمام كل فلسطيني.

- **الإنكار**: ويمثل إنكار التهم إحدى أهم الوسائل التي لجأت لها المعتقلات أثناء التحقيق معهن، حتى في الحالات التي كانت فيها التهمة مسجلة بالفيديو، وهذا يظهر في رواية المعتقلة (ص.ك)، فعلى الرغم من وجود شريط مسجل بالفيديو لها على الحاجز ، إلا أنها أنكرت ذلك، فقالت: "قلت هاي مش أنا، الشنطة مش الي، جابلي القرآن قالي بدي أرميه في الزبالة، قلتلو إرميه إنت حرّ، إذا بتروح على النار بتروح لحالك، قالي هذول الأواعي نفس الي كنت لابستيه، قلتلهم انتو لبستوني اياهن، مش إلي"، تبين هذه الرواية أن وجود الدليل وهو شريط الفيديو، لم يدفعها إلى الاعتراف، فأنكرت هذه التهمة الموجهة لها، حتى عندما واجهها بتسجيل الفيديو والحيثيات الموجودة فيه، وحتى أيضاً عندما قام بتهديدها برمي القرءان في "الزبالة"، للضغط عليها من أجل الاعتراف، وبأنه لها، وهو من الأشياء المقدسة في الدين الاسلامي، فاعتبرت بأن هذا الأمر عائد له، وليس لها. وفي رواية المشاركة (ك.ق) يتبين لنا أيضاً أن المعتقلة اتخذت الإنكار وسيلة أساسية في التحقيق معها من خلال إنكار التهم الموجهة لها، وأظهرت أن هذه التهم هي تهم "إدعائية ضدها، إذ أن موقعها كأم وزوجة، وإنسانة مريضة، فقالت: " أنا هذا الحكي ما بعرفو، إذا إنت عندك معلومات أعطيني إياها، إذا عندك إنت أي إشي أعطيني إياه، بس أنا ما بعرف هذا الكلام، إنت بتتبلى علي، أنا إمرأة مريضة، معظم وقتي في البيت، بربي في ولادي، وما عندي القدرة والصحة إني أروح وآجي، وأدخل في أي نشاط"، تظهر هذه الرواية إنكار المشاركة التهم الموجهة لها من كون أن وضعها الاجتماعي والصحي بشكل أساسي لا يسمح لها بأي عمل سياسي، وكأنها هنا هي من أصبحت في موقع القوة بمهاجمتها المحقق واتهامها له بأنه "يتبلى" عليها، بمعنى يدعي بأنها قامت بنشاطات لا تدري بها أصلاً، كما جاءت المشاركة (ن.و) على إنكار كافة التهم التي وجهت لها بالقول:

" كانت تهمتي إني تنظيم أبو جهاد، خليل الوزير، وكانوا معتقلين الرسول وهو جاي من الأردن، وماخذين أسماء الحركات، وعارفين كل اشي، في هذا الوقت إذا أنا قلت إشي أنا رايح أضر مجموعة، مش رايح أضر حالي بس، وكان عندي مجموعة من الأخوة انحكموا مؤبدات، أنا قديش بقدر أحافظ على حالي وعلى الناس، لأني إذا حكيت مش رايح أضر حالي بس، رايح أضر الناس كمان".

يبين هذا الجزء من الرواية أن المعتقلة أنكرت داخل التحقيق التهم التي وجهت لها، لأن عدم فعل ذلك كان سيلحق الضرر ليس بها فقط، وإنما أيضاً بالمجموعة التي تعمل بها. أما رواية (آ.ر) فهي تظهر ذات الأسلوب وهو الإنكار، وتبين روايتها كيفية إنكارها للتهم تحت تهديد المحقق لها بوجوب اعترافها وإرجاعها "للدين" كما وصفه، والدين هو قطعة السلاح، فقالت:

" أنا اعتقالي كان على قطعة سلاح، في سجن الخليل المحقق قالي إلنا عندك دين، طلعتي على السما، نزلتي على الأرض بدنا هذا الدين، إلي هي قطعة السلاح، بس أنا حطيت في راسي، ما في اعتراف، لو بأدي التحقيق معي للوفاة، مش راح أعترف، وهذا كان قراري من البداية، بعدها جابوا العميل واجهوني فيه، هو قال إنو أنا كنت بالشارع، والجيش داهموا رام الله، وأنا مارقة بالسيارة، رميت قطعة السلاح في سيارتها، أنا طلعت عليه بالعالي، إنت كذاب، ويتقلدك، بدك تتقلدني وتتقلد ولادي، من هالحكي، المحقق أخذوا وطلع. رجع المحقق وقالي إحنا بنعرف إنو هو بكذب، قلتلو طالما بتعرفوا إنو بكذب، ليش بتحققوا معي؟ قالي لا، اعترافو الحقيقي إنو إنت روحتي عليه، وشريتي من عندو قطعة سلاح، ودفعتي الو مصاري، وروحتي فيها، هو قال هيك، بس عشان يوافق إنو يواجهك، قلتلهم في كلا الحالتين هو كذاب، وما الي أي علاقة فيه، وما بعرفو، طبعاً استمرت التحقيقات على نفس الموضوع، يوم ورا يوم، بجوز السجينة الوحيدة الي تحقق معها في سجن الخليل ثلاث أيام بلياليها هو أنا، سجن الخليل ما في قسم للنساء، فقط في قسم التحقيق، يحققوا معي، وبعدها يشبحوني في الحمام، الشبح في الحمام، والتحقيق في غرف التحقيق، ست سبع ساعات كان يتم شبحي في الحمام، الشبح الايدين لورا مربوطات، وكيس أسود على الراس".

تبين هذه الرواية بأن إنكار "التهم" وعدم اعترافها، بالرغم من التحقيق القاسي الذي تعرضت له، كان بالنسبة لها قرارا لا مجال للرجعة فيه، حتى لو كانت نتيجته التسبب بموتها في المعتقل، كما تبين الرواية محاولة

المحقق الضغط عليها من خلال إحضار "العميل" الذي قام بدور مزدوج، من خلال اعترافه بأنها اشترت منه قطعة السلاح، ومن خلال قبوله مواجهتها، ولكن بتغيير أقواله، حتى يظهر أمام المعتقلة بأنه يتعرض لضغوط، قدم على إثرها اعترافات غير صحيحة، وبالتالي قد "تخطئ" المعتقلة وتقول بأنه لا يقول الحقيقة، ويصبح قول المحقق لها، وما هي هذه الحقيقة؟

وفي جزء آخر من الرواية ظهر فيه بأن المعتقلة نجحت في إنكارها، لم تعترف، فتقول:

> " قطعو الأمل إني أعترف، كانت محاميتي "ليئا تسيمل" ، تحاول إنها تعرض علي صفقة إني أعترف في المحكمة مقابل الإفراج، وأنا بقولها لا، لو بوصل الحكم سنين، في الآخر وصلت لطريق مسدود، وقالتلي (آ،ر)، وكلي المحامي الي بدك إياه وأنا برفع إيدي عن القضية، يا ليئا، قالت لا، وصل لحد حكم خمس سنين وغرامة مالية، قلتلها لا، ولا بدفع شيكل واحد، لو عشر سنين بحكموني، بس غرامة ما بدفع، بالنتيجة بدون غرامة وحكم 25 شهر".

حاولت المحامية "ليئا تسميل"، حله من خلال طرح صفقة قائمة على الاعتراف مقابل الافراج، وهو ما رفضته (آ.ر) أيضاً، ونتيجة لإنكارها امتلاكها لقطعة سلاح، لم تطالب بتسليم "قطعة السلاح"، التي يتم التحقيق معها بشأنها، كما أنها لم تحكم لفترة تمتد لسنين طويلة في حال ثبت أنها قد اشترت قطعة السلاح هذه.

كما جاء إنكار التهم لصالح المعتقلة (م.غ) لكونها تم التعامل معها بطريقة غير قانونية كونها فتاة قاصر، إذ أن القانون "الإسرائيلي" يحتّم أن يكون هناك محقق خاص للقاصرين، وهو ما لم يتوفر في تجربة (م.غ) التي حققت معها محققة تدعى ليزا، وهي محققة لغير القاصرين، ويظهر ذلك في الرواية عندما قالت: "أنكرت التهم، وكان لصالحي أن المحققة التي حققت معي، ليست محققة قاصرين"، تبين هذه الرواية بأن الإنكار كان لصالحها، إذ يظهر بأنه تم التعامل معها والتحقيق معها بشكل سريع، لممارسة ضغوط عليها، وأخذ اعترافات منها، وتقديم

لائحة اتهام ضدها، قبل أن تجري الأمور بطريقة قانونية، وتقوم محققة خاصة بالقاصرين بالتعامل معها، وهو الأمر الذي لا تضمن إدارة المعتقل أنه سيقود إلى اعترافات.

ناهيك عن الإنكار هناك وسيلة أخرى ذات علاقة بالإنكار، وهي المراوحة بين الإنكار وعدم الإنكار.

- **المراوحة بين الإنكار وعدم الإنكار:** أظهرت رواية (ز.س) استخدام المعتقلة لوسيلة حساسة، وهي المراوحة بين الإنكار وعدم الإنكار، مع وجود فاصل رفيع بينهما، بمعنى ظهر أن إنكار المعتقلة كان عندما وجه لها المحقق أسئلة، قد تقود بها إلى تقديم "اعترافات"، بينما في حال الأسئلة التي تطرح عليها من قبل المحقق، والتي تعرف المعتقلة مسبقاً بأنه يعرف عنها هذه المعلومات، هنا كانت تقدم بعض المعتقلات إجابة صحيحة بدلاً من الإنكار، فبينت (ز.س) أن الإنكار وحده لا يكفي، فعندما سألت المعتقلات عن أشخاص أو أماكن، أبديّن معرفتهن، ولكن كانت هذه المعرفة ضمن السياق بحكم كونهن من هذا المجتمع، ويسكن في ذات المحيط، وليس بحكم عمل مقاوم، أو انتماء فصائلي، ويظهر ذلك في رواية (ز.س) عندما قالت:

> "لما يسألني عن أشخاص إن كنت بعرفهم، أحكيلو نعم بعرفهم، ما أنكر، واحنا مجتمع بينا علاقات، ومش معقول أسيرة أقطع علاقتي فيها لأنها أسيرة، إحنا في مجتمع ما بتقطع أوصالنا ضغط الاحتلال ولا بفرض علينا مع مين نحكي، هذا الاشي كنت واضحة فيه معهم، حتى لما سألني عن الأحزاب، قلتله أنا انتماءي أولاً وأخيراً لفلسطين، وكنت معنية أحكيلو هذا الاشي، ولما سألني عن الدين والالتزام، قلتلو بكل فخر أنا بصلي وأهلي ملتزمين، وفخر النا احنا مسلمين، لم أحاول أن أعطيه فرصة أن هذه المواضيع تخيفني، أو أنني أحاول أن أتنصل منها، وهذا اشي ريحني في المقابلة، لأنه قطع علي الطريق أن يعرض علي العمل معه، وأنا واثقة إنو هو كان معني يعرض علي هذا الاشي، بس لما شاف إصراري ولغتي ما عرض علي".

تبين رواية المعتقلة مدى قدرتها على كشف أساليب المحقق والتغلب عليها أثناء التحقيق، فلم تتنصل من معرفتها ببعض الأشخاص المستهدفين من قبل المخابرات، ولم تتنصل من حبها وانتماءها لفلسطين، بل جاءت

إجاباتها واضحة على كل ذلك، فاعتبرت أن هذه الإجابة محاولة منها للقول له بأنه لا شيء تستطيع ابتزازي به، لا معرفتي بأشخاص، ولا حبي وانتماءي لفلسطين.

- **الصمت:** ظهر في روايات بعض المشاركات أنهن لجأن إلى أسلوب الصمت، على الرغم من كل أساليب المحقق التي مورست عليهن، للضغط عليهن، وجرّهن إلى الاعتراف. اعتبرت (أ.ق) بأن الصمت هو وسيلة الرد الخاصة بها على أسئلة المحقق الموجهة لها، فقالت: "أنا بالنسبة لي كان سلاحي هو الصمت، عندما أصمت ولا أتجاوب معهم، أنا أعتبر ذلك أنه أكبر ردّ"، تبين هذه الرواية أن المشاركة قد اعتبرت أن صمتها هو أكبر رد على التحقيق الذي يمارس بحقها.
- **الهدوء "برودة الأعصاب":** ما يميّز هذه الوسيلة بأنها من أكثر الوسائل التي تستفز المحقق، لأن المحقق يفترض في هذه اللحظة أن المعتقل يتعرض لضغط شديد بسبب ما يقوم به المحقق وإدارة المعتقل، وعملية الاعتقال برمتها، وعندما يظهر المعتقل بهدوء، يثور المحقق، وهذا ظهر في رواية (آ.ر) بالقول:

> "يمكن طبيعة شخصيتي هادئة شوي، فصعب أعصب أو أستفز، فكنت في منتهى برود الأعصاب معهم، قالولي بدنا نجيب جوزك، أهلك، أبوكي، قلتلهم جيبوهم، على الأقل بشوفهم ببرودة أعصاب، فصار يخبط على الطاولة، ويصرخ آها ما إحنا عاملينو أوتيل بدنا نجيبهم عندك، يعني كل ما يحاولوا يستفزوني باشي، أرد عليهم باستفزاز الهم...وصلت مرة قد ما كرروها، أقولهم والله بكره بس يصير عنا دولة، مش هيهم التقوا في المفاوضات، إلا مسدس أبو عمار بذاته أسلمكم إياه، بس هسه من وين أجيب قطعة سلاح أسلمكم إياها، ما في عندي قطعة سلاح، ولا بعرف عنها إشي".

تبين هذه الرواية أن المشاركة أظهرت أنها هادئة، الهدوء يعني السيطرة على الأمور، هي قد لا تكون كذلك بالفعل، ولكن المهم ما يتم إظهاره، وما يتشكل على الجسد، وهنا إظهار الهدوء والسيطرة على الأمور في مكان مصمم بكل وحداته وأجهزته وسياساته لإرهاق المعتقل جسدياً ونفسياً، من شأنه استفزاز المحقق وإدارة السجن

والسياسات الاستعمارية برمتها، هنا يستطيع المعتقل بهذه اللحظات القليلة أن يفشل كل المخططات والسياسات التي توضع من قبل مختصين، وأجهزة تحقيق متعددة، وسياسات كاملة متكاملة مع بعضها البعض.

- **المراجعة الذاتية:** وهذه الوسيلة أظهرتها رواية المشاركة (ك.ق) من خلال قيامها بمراجعة ذاتيه لما قالته بعد خروجها إلى الزنزانة من غرفة التحقيق، والكيفية التي تحدثت بها، وكيف تصرفت، وأجابت، وترتيب أفكارها وكلماتها عندما تعود لجلسة التحقيق التالية، فتقول: "كنت أنا أرجع من التحقيق على الزنزانة أعيد تقيم الكلام إلي أنا حكيته في التحقيق، هان ما بصير أحكي هيك، هون بدهم يوخذوا منك ولو حرف واحد، وأنا بعرف حرف واحد ممكن يسببلي اعتقال أو قضية، فصرت أرتب حالي، وأنظم أفكاري، وأرتب كلماتي، وأرجع كمان مرة للتحقيق"، إن هذه المراجعة الذاتية من قبل المعتقلة جعلتها قادرة على وضع خطة برأسها لكل ما يجب أن تتفوه أو لا تتفوه به أثناء التحقيق، لأنها مدركة بأن الحرف الواحد في التحقيق من شأنه أن يقود إلى قضية وحكم طويل بحقها.

تبين لنا هذه الروايات بأن الصمود، وكسر الصمود، هما الثنائية القائمة في التحقيق، وبينت هذه الروايات الوسائل التي تلجأ لها المعتقلة للصمود في التحقيق، والتغلب على أساليب المحقق الموضوعة بدقة وخبث ومراوغة وسرية والتفافاً. بينت الروايات بأن هذه الوسائل كان لها دور واضح وكبير في دعم صمود المعتقلة في التحقيق وخروجها دون اعتراف.

الصمود داخل غرف "السجن":

الصمود الثاني الذي نتحدث عنه هو الصمود داخل غرف السجن، ونعني بالصمود داخل غرف السجن "كسر الروتين اليومي"، ويأتي هذا الصمود في ظل مكان محصور ومغلق، وغير مهيئ لتنفيذ أي نشاطات داخله كما جاء على نقاشه الجزء الأول من القسم الثاني.

تبين الروايات أن المعتقلات قد استحدثن وسائل جديدة صمود داخل المعتقل، وقد جاءت هذه الوسائل بالدرجة الأولى من خلال النشاطات اليومية. إننا في هذا القسم سوف نستعرض هذه الوسائل التي أظهرتها الروايات، لنتعرف على الكيفية التي تقضي فيها هذه المعتقلة حياتها داخل المعتقل، وما الذي يتقوم به لكسر هذا الروتين اليومي.

تكمن أهمية الصمود في داخل غرف المعتقل، من فكرة أساسية تحدثت عنها المشاركة (ن،ع)، وهي فكرة المكان الغير الطبيعي فتقول: " السجن سجن، حياة غير طبيعية، إجمالاً لا يوجد الشيء الكثير الذي من الممكن أن تقومي بعمله داخل السجن"، هذه الحياة هي "استثناء"، حياة قائمة على العزل المكاني والرتابة الانضباطية، أداتها حرمان الإنسان من الحرية، بحيث يصبح هذا المكان هو المكان المشترك بين من يحملون في العادة ذات القواسم المشتركة التي تشكل هويتهم، وينتج من خلالها مقاومة قادرة على التفاعل مع هذا الحيز، والأشخاص الموجودين فيه (Nashif 2008)، هذه المقاومة هي الوسائل المستحدثة في هذا "الاستثناء"، والتي جاءت عليها رواية المشاركات من خلال وصف يوم كامل لهن في المعتقل، تقوم الباحثة هنا في هذا الجزء بمحاولة ترك الحديث للمشاركة عن يومها داخل المعتقل، ثم تحليل ما جاء فيه.

تصف المشاركات التاليات يوماً نموذجياً لهن داخل لمعتقل من خلال الحديث عن ماهية ما يقمن به كل يوم، تصف (أ.ق) يومها بالقول:

> "طبعاً إحنا بنقوم على الفجر نصلي، وبعدها يا إما بنرجع نام، أو بنستنى العدد، الساعة 8 بكون الفطور جاهز، وبلشوا البنات يحضروا فطور، بعدها يتم تنظيف الغرف، والأسرة، والمطبخ، وهناك نظام معين للتنظيف، بعدها الفورة، ساحة صغيرة، فيها هواء وشمس، بتقعدي فيها نص ساعه في الفترة الصباحية، الفورة أيضاً ثلاث مرات في اليوم، عند فترة الظهر، في الفترة ما بين الفورة الأولى والفورة الثانية، ممكن أقرأ كتاب، أو أتحدث مع الأسيرات، أو أشاهد تلفزيون، هذه الأنشطة التي ممكن أن تعمليها، كان في مكتبة داخل

السجن، كنت آخذ منها كتب، في مكتبة انجليزي أقرأ فيها، كنت أحب أقضي وقتي بالدراسة والقراءة، أنت تتحدثين عن الساعة 12 ظهراً، يفتح الباب للفورة الثانية، هذه الفترة تكون أطول بقليل لأنها فترة غذاء، بكون تحضير غذاء، أو بجيبوا أغراض للأشياء الناقصة للغذاء من بره الغرفة، ويوجد مطبخ مشترك لكل السجن، تأخذي منه أغراضك، الفترة الثالثة آخر فورة بتكون قرابة الساعة 5 مساء، بتكون وجبة العشاء، بتم التحضير لها، وبتكون فترتها 45 دقيقة، ومن هذه الساعة حتى ثاني يوم الصبح بضلك في الغرفة ممنوع تطلعي".

المشاركة (آ.ر) تصف يومها بالقول:

"أنا كنت من اللجنة النضالية، وهي واحدة عن كل فصيل، وبمثلوا الأسيرات الفلسطينيات، ومهمتنا توزيع وجبات الطعام، يعني نستلم الوجبات، ونوزعها على الغرف، الغسيل والنشافة بره، نساعد فيهن البنات.

قبل الساعة السادسة صباحاً كان العدّ الصباحي، هاي بدك تكوني واقفة، وتستني بس يمروا على الغرفة ويعدوا، بعدها مباشرة كان يجي الإفطار، الإفطار كان كل يوم واحدة تطلع توزعوا، كل واحدة يوم من الأربع مناضلات، توزع الوجبة، كان يوخذ هذا الوقت ما بين نص ساعة وساعة.

بعدها نطع على الساحة كانت تقريباً 45 دقيقة، في الساحة كنا نعقد اجتماعاتنا مع بعض، كنا نحاول نلعب رياضة، الرياضة مسموحة، بس الدبكة الشعبية ممنوعة، إذا شافونا بلشنا نعمل دبكة، يميزوا حركات الرياضة عن الدبكة، يجوا يحاولوا يوقفونا، نقلهم لا بنلعب رياضة، في الساحة كمان كان فطابل، وكرة طائرة، كنا نقضي وقت.

في الغرف كنا نعقد جلسات تنظيمة، ومناقشة كتب، كنا ناقش البرنامج السياسي والنظام الداخلي للجبهة الديمقراطية، كنا ناقش أي موقف تنظيمي سياسي في حدث معين، بذكر واحنا في السجن وقعت طيارة أبو عمار أيام ليبيا، أبعاد العملية، كتب ثورية كانت موجودة في السابق.

كنا في أيام ثانية نحي المناسبات الوطنية، انطلاق الثورة، انطلاقة التنظيمات والفصائل، ذكرى شهداءنا، نحيها بالفورة، الفورة الثانية كانت تكون ما بين 11–11:30، ما دون ذلك كان في وقت حرّ، كانوا البنات يشتغلوا في التطريز، في الكروشيه، في الرسوم، في شغلات كثيرة ممكن تعملها الصبايا، تحديداً المطرزات في سجن تلموند كان في لجنة تضامن مع الأسيرات الفلسطينيات، منها فلسطينيات من منطقة 1948، فكانوا يدخلوا النا مواد تطريز، والكروشيه، فكنا نستفيد منها، ونشتغل ونطلع، في السجن عجم الزيتون عملنا منو مسابح ومناظر، بزرة الأفوكادو حفرناها ورسمنا عليها، هذول الرسمتين الي على الحيط رسمتلي إياهن مناضلة فلسطينية كانت فنانة".

وصفت (ت.ح) يومها:

"كنا نصحى على الساعة 5 الصبح عشان العدد، ونصلي الفجر، ونرجع نام، على الساعة 7 تقريباً يجي عشان يعمل "سوراجيم" تفتيش للغرف، كنا نطلع بره، سواء كان الجو برد أو شوب، مطر، شو ما كان الجو، نطلع على الساحة بره، تقريبا بدو قرابة 45 دقيقة وهو يعمل تفتيش للغرف، بعدها بنرجع على الغرف، الساعة 10:30 برجع يعمل عدّ كمان مرة، بعمل عدد وبنطلع فورة، بنقعد تقريباً من الساعة 10:30– 1، وفي هاي الفترة إحنا القاصرات إما كنا نفطر في الساحة، أو نطلع نوخذ درس في غرفة الصف، في الساحة كنا نلعب رياضة، نلعب ألعاب نغني، فطور جماعي.

بعد هيك برجعوا بسكروا علينا من الساعه 1–2:30، البنات الي بدها تتحمم، الي بدها تعمل أي اشي، كمان بنظف الغرفة، على الساعة 2:30، برجعوا يفتحوا علينا كمان مرة، في هاي الفورة بنطلع على الصف، بتيجي معلمة علينا، وبنطلع على الدرس، كانت أشياء درسنا إياها لينا الجربوني، وأشياء كانت معلمة من السجن من بره، درسنا عربي، رياضيات، علوم، بس تخلص الفورة على الساعة 5، يسكروا علينا، ممكن نلعب كمان مرة، نوكل، نتفرج على التلفزيون.

مثلا يوم العيد، نعتبره اشي واوو نلبس أحلى إشي، يوم السبت كان غداء جماعي لكل الأسيرات، إنو في هذا اليوم كنا نلبس، الواحد يشعر إنو طالع مشوار.

كان في ملابس نتقاتل عليهن، مثلاً البنت لما تعتقل يضلوا أواعيها معها، كنا نبح هاي الأواعي ههه.

حتى كنا نعمل مجلة الأسيرات، هاي مجلة الزهرات كنا نعملها احنا القاصرات، أنا كنت المسؤول عنها، لما إجيت أطلع إلا هي المسؤولة خالتي ياسمين صارت تسأل فيّ عن المجلة، أنا بفكر في الطلعة وهي بتسأل عن المجلة ههه.

وطلعت معي عددين من المجلة، والمجلة كان فيها مجموعة مواضيع، أول مجلة اعملناها كان فيها مواضيع ثقافية ودينية، بعدين صرنا شوي شوي نحط فيها مذكرة الأسير، قصص، هسه آخر عدد منها هو 34 عدد".

المشاركة (ج.ق) وصفت يومها:

"نصحى الصبح، أصحى أنا و(هـ،ن) على الصلاة، نصلي، بيجي العدد تقريباً الساعة 5 الصبح، اشي يرجع ينام، واشي يضل صاحي، أنا كنت أرجع أنام، نصحى بعدها نفطر مع الأسيرات، وكانوا يجيبوا لكل غرفة من السجن كيس حليب، كنت أفطر معهم.

الشغل مقسم بين الأسيرات حدا يشطف الأرض، حدا ينظف، حدا يمسح الغبرة، الأعمال مقسمة، صرت أنا أشطف الغرفة، وبعدها أطلع على الساحة، اشي يرقص، اشي يعمل رياضة، اشي يوكل، أنا مضت فترة منيحة وأنا في السجن، ما أقبل أطلع على الفورة، أطلع غصب عني، لأنهم ما بخلوا حدا وقت الفورة في الغرف (ايش السبب؟) نفسيتي أبداً مش مهيأة إني لأطلع، كنت بدي أهلي.

المشاركة (ف.ح) وصفت يومها:

"كنت في هشارون أنا وست بنات، كنا نقضي النهار نخيط ونصلي، كنا نصحى على الساعة 5 صباحاً، كان العدّ الصباحي، كل يوم يوم، تضرب المجندة على الباب إنا نلبس ونوقف، ويدخل "الكتسين" مسؤول السجن، ويعدنا ويروح، بعدها نرجع نام ونصلي، كان يتم إخراجنا إلى الفورة في اليوم ساعتين تقريباً، ساحة مشيكة، وكنا عندما نخرج إلى الفورة نقوم بعمل مسابح للتسبيح".

أما (ك.ق) فتحدثت عن عن يومها داخل السجن فقالت:

"أنا كنت أصحى على الساعة العاشرة صباحاً، نصلي الضحى، نشرب شاي أو نسكافية على حسب كل واحدة ايش بدها، نحضر حالنا للفورة، كانت الفورة من الساعة 1 للساعه 2، الفورة تنزلي فيها، اشي يقعد مع بعض البنات من الغرف الثانية، وأنا الساعه كلها في الفورة كنت أضل أمشي، أضلني أمشي، عشان أحرك جسمي، وكان علاج لمرضي، ساعدني طبعاً، لأني أنا ما بدي أضل قاعد ومستسلم للمرض والأوجاع، خلص معروف عني بكونوا حوالي البنات، بس بكون أمشي، كنا بعدها نطلع على الغرفة، ونام قيلولة ساعة، نص ساعة زمن، بعدها أصحى، ونلعب رياضة ساعة زمن كاملة، نعمل مسابقات، بعدها نوخذ كمان راحة، وتبدأ أحلام تحضر في العشا، ما كانوا يخلوني لا أجلي ولا أطبخ ولا أعمل إشي، خايفين علي من تقطيع الخضار، لأن التقطيع كان بغطاية علبة حديد، ممنوع السكاكين، ومسموح بس غطاية واحدة في الغرفة، إذا أجى التفتيش ولاقي غطايتين، بكب واحدة، بس واحدة مسموح، يقطعوا فيها الخضار والدجاج، وهاي كانت الوجبة الأساسية، وبعدها نظف الغرفة، ونمسح الغبرة، ونليف الحمام، بعدها إذا في أخبار نحضر الأخبار، وبعدها

> أقوم أمشي في الغرفة، كنت أمشي في الغرفة كمان ساعتين، وكانت المسافة ضيقة جداً، كنا نحط على الأخبار أو على برنامج وثائقي، وكنا نتخرف وأمشي في الوقت نفسه، تصير الساعة واحدة بالليل موعد نومنا".

تبين الروايات آليات الصمود داخل غرف المعتقل، والتي تقضي بها المعتقلة سنوات قد تطول وقد تقصر، في داخل هذا المكان المحصور والضيق، إلا أن المعتقلات الفلسطينيات حاولن إيجاد سبل للمقاومة والتأقلم في هذه السجون من خلال تطوير أساليب وآليات جديدة للصمود في وجه المحقق الإسرائيلي وفي وجه إدارة السجون، ويأتي تطوير هذه الأشكال في إطار العزلة التامة والانقطاع عن العالم الخارجي وأخباره عن الأسيرات الفلسطينيات إلا ما كانت توفره إدارة السجون لهن، وذلك بدءاً من اعتقالهن وحتى لحظة تحررهن من السجن.

يبين وصف المشاركات ليومهن النموذجي داخل المعتقل مجموعة من النشاطات المهمة التي اتفقت عليها المشاركات في روايتهن، وكانت أكثر النشاطات التي أجمعت حولها المشاركات متعلقة **بالقراءة:** وتمثل داخل المعتقل متنفساً مهماً للمعتقلات، وعلى الرغم من التضييق الذي تتعرض له المعتقلات من خلال التحكم بنوعية هذه الكتب المدخلة، تقول (آ.ر): "موضوع القراءة كان مهم، بتربي، الي انا ما لحقت أقرأه قرأته في الخارج، أبدعت فيها داخل السجن، هذا الاشي كان بالنسبة لي مهم"، وعلى الرغم من أهمية موضوع القراءة، إلا أن هذا الموضوع لم يكن يخلو من المنغصات التي تمثلت بالفحص الدقيق لمحتوى الكتب من قبل أجهزة المخابرات، إذ يتوقف إدخال هذه الكتب على المحتوى الموجود بداخلها وهو بالضرورة المحتوى الذي لا يتناقض مع الفكر الصهيوني، أو يقف مجابهاً لهذه الرواية، وعلى الرغم من هذه المنغصات التي ترافق موضوع إدخال الكتب داخل المعتقل، إلا أن المعتقلات قد استطعن تأسيس مكتبة، كانت قادرة وكفيلة بتمكينهن من استعارة الكتب وقراءتها، الأمر الذي كان يتبعه في العادة نقاشات لهذه الكتب، ونقد لها من قبل المعتقلات، أما النشاط الآخر فتمثل بمحاولة **خلق سعادة** إما من خلال الغناء والتمثيليات والمسرحيات والذي في ظل السياق الاستعماري يحتوي بداخله على الكثير من

مفاهيم المقاومة، ومدح أفرادها، والإشادة بها، خصوصاً أن هذه الأغاني تحمل في طياتها قيم المقاومة، والمبادئ التي تؤمن بها، فهي إرث من الثورات، هذه الأغاني التي تفاعلت معها المعتقلات كنّ يكررنها حتى قبل دخولهن إلى المعتقل، وهي تشكل جزءاً من ذاكرتهن الجمعية المشتركة، أو تذكر أحداث من خارج المعتقل من شأنه إمداد المعتقلة بطاقة إيجابية افتقدتها لفترة أثناء عملية الاعتقال والتحقيق، خصوصاً إذا ما رافق هذه الوسيلة أحاديث واقعية من خارج أسوار المعتقل قادرة عن نقل مخيلة المعتقلة خارج هذه الأسوار، كما ظهرت **الدراسة** كأحد الوسائل التي تلجأ لها المعتقلة كنوع من أنواع الابداع، ويظهر في رواية (م.غ) أنه كان هناك غرفة مخصصة للقاصرات للدراسة، تخصص لهن بشرط أن يتم اقتطاع الوقت للذهاب إليها من وقت الفورة، والفورة هي اللحظات الوحيدة التي تستطيع المعتقلة رؤية الشمس وغسل ملابسها والمشي بأريحية، وهو الوقت الوحيد الذي تنتظره المعتقلة حتى تستطيع الخروج من غرفة المعتقل، لممارسة نشاطات كثيرة لا يصلح عملها داخل الغرف.

ما يميز هذه الأنشطة السابقة بأنها ليست تمتمات، هي عملية إخراج عالي للصوت، فمنظومة السجن بنيت نفسها على منع المعتقلة من التصرف بأي شكل تعبر فيه عن حريتها، أو وجودها، والصوت، الكلام هو بحد ذاته عملية من عمليات إثبات الوجود، أنا موجود، أنا لي صوت، وعندما يخرج هذا الصوت كأن ما يقوم به هو عملية تكسير لهذا القالب والنظام المفروض بالإجبار، المفروض فيه على المعتقلات فقط التمتمة بصوت منخفض ومتفرق.

إن السجن هو عملية قمع، وهو مبني لهذا الأساس، وعندما يصبح فيه الحديث بصوت عالي هو محاولة لكسر هذا النظام، وتقطيعه، فعند جبار كانت الفكرة الصوت، والصوت العالي، وليس الحديث بصوت منخفض وتمتمه، فجلسات النساء الجماعية في الرواية، الفكرة منها كانت مبنية على إخراج الصوت، فالصوت مصيره الوصول، وتحقيق الهدف الذي قام لأجله، هو الشيء الذي يستطيع أن يخرج من قيود الجسد بأكملها، الصوت

الذي يصل إلى الخارج، خارج أصوات السجن، إنه ارتباط السجن بخارجه، وكانت الفكرة عند جبار أن يكون الصوت عالي أولاً وجماعي ثانياً، فهو عندما يكون عالي يتجاوز القيود المفروضة على الجسد، وعندما يكون جماعي يستطيع أن يصل وأن يعلو أكثر وأكثر، وعلوه هذا يعني وصوله، هذا بحد ذاته ليس عملية سهلة، إنها عملية مقاومة، إنها كسر لفكرة السجن وما قامت عليه، إنها الصوت العالي هنا يعني الوجود، أنا موجود، ولا زلت أقاوم، وصوتي الفردي الذي يذوب مع الجماعة سيكون مصيره الوصول إلى الخارج.

الصمود المستمد من خارج "سور السجن":

نتحدث في هذا الجزء عن وسيلة ثالثة مهمة من الصمود، ونعني بهذا الصمود "الصمود المستمد من خارج أسوار السجن"، ويتمثل هذا الصمود من خلال أولاً: برامج الأسرى التي تبث على الإذاعات المحلية، ثانياً: الرسائل، ثالثاً: علاقة المحبة.

- **البرامج المخصصة للأسرى:** والتي يحمل من خلالها أقارب المعتقل وأصدقاءه بالدرجة الأولى تحياتهم إلى المعتقلين، وتزويدهم بأخبار متعلقة بالعائلة، أو بتطورات قضيتهم مع المحامي، أو بتفاصيل أخرى كثيرة.

تكمن أهمية هذه البرامج في كونها الوسيلة التي تنقل المعتقلة لحظات قليلة إلى العالم "الطبيعي" في الخارج، إلى عالم تتلهف سماع دقاته وأحداثه، رؤية شمسه وقمره، ليله ونهاه، حتى سماع صوت السيارات يصبح حلماً لدى المعتقلة، ذهابها إلى الدكان، مرافقتها لابنها أو ابنتها، سماع صوت طفلها، امتلاكها لـ"شواقل"، سماع هذا التفاصيل بما تحمله من أخبار قادر على إعطاءها هذه المشاعر، ولو للحظات قليلة داخل المعتقل، وتأتي هذه البرامج لتسد جزءاً بسيطاً من رمق هذا الحلم.

تتحدث في البداية الطفلة القاصر (م.غ) عن برنامج مخصص للأسرى، يبث عبر إذاعة فلسطين بالقول:

"هو برنامج إذاعة فلسطين، وكان يجي كل يوم إثنين، كنا متوترات، ولما يبلش البرنامج، كنا نتجمع ونحط راسنا على الراديو، كنا قادرين نسمع البرنامج واحنا قاعدين على التخوت، بس كنا ما نقدر الا نتحوش عند الراديو، إمي كانت ترن على الإذاعة، وكنت بسمعها، كانت إمي تضل تحكيلي، قلبي معك، والاشي الي ضل عالق في بالي لليوم إمي صارت تحكيلي قلبي معاكي، فكل ما أضايق، أحكي لا قلب إمي معي، إذا تأثرت وضايقت، إمي رايحة تضايق".

تبين هذه الرواية جزء مهم، ذات علاقة بالتوتر الذي يصاحب وقت بث البرنامج، فأن تتجمع كافة المعتقلات حول الراديو، وكأن الراديو هنا يمثل "مصباح علاء الدين" يعطينا فكرة عن مشاعر التلهف، والانتظار، بحيث يصبح الجلوس مع بث البرنامج أمراً صعباً، لأن المشاعر التي تسيطر على هذه اللحظة مشاعر مختلطة، يتم تحويلها إلى تصرفات، تتمثل بالضحك، وفي العادة فإن الضحك يكون ممزوجاً مع البكاء، القفز، البكاء، الجلوس على الأرض، مسك اليدين. في هذه اللحظات عندما يتحدث أحد أقارب المعتقلة، تشاهد المعتقلات يمسكنّ بها، يلتفن حولها، يراقبن حركاتها، وكأنهن الآن كتلة واحدة تشكل فيها المعتقلة التي يتم الحديث معها من خلال البرنامج المركز، وتتحدث المشاركة (ج.ق) عن هذه اللحظات بالقول" كنت أشوف الأسيرات بالدقيقة والثانية، صمت تام، بدهم يسمعوا أهاليهم، اشي يبدأ يبكي، إشي يقوى بالحكي، بس كان اشي بعني للأسيرات الكثير، إذا ما كان كل اشي بالنسبة الهن"، وتستكمل الحديث (ت.ح) بوصف هذه اللحظات بالقول "كان يجي على الساعة 11 الصبح، شو السجن، ما تسمعي ولا صوت، وبعدها البنت ما تسمع بس أهلها، وكمان تسمع صوت كل البنات، وأخبار الناس، وصرنا نعرف أهالي بعض". تبين هاتين الروايتين أيضاً الصمت المطبق أثناء بث البرنامج، فالبرنامج هنا يمثل الساعة المنتظرة، يمثل صوت الأم، الأب، الابن، الابنة، الأخت، الصديق، صوت الناس، هذا الصوت الذي تبدأ المعتقلة بتكراره في مخيلتها حتى موعد بث البرنامج القادم، إنه صوت طرب يرسخ في الذاكرة.

تركز المشاركة (ص.ك) في حديثها على وصف الاستعدادات قبل بدء البرنامج، فبرنامج كهذا، يحتاج عند المعتقلات إلى تحضير مسبق، فتقول: "كنا أول ما يبدأ البرنامج، على إذاعة الأسرى، المغرب، نكون مجهزين حالنا، مخلصين العشاء، سكرنا التلفزيون، هدوء، ما حدا يتنفس"، تبين هذه الرواية أن تعكير صفو البرنامج كان من الممنوعات، بحيث تنتهي المعتقلات من عمل كل شيء، ثم البدء في انتظار هذا البرنامج، وهذا شيء متفق عليه بين المعتقلات، وليس بحاجة إلى تعليمات من قبل أي أحد، لا من الممثلة، ولا من القوانين، كل معتقلة تجهز أمورها، وتبدأ بالانتظار، لذلك فإن هذه البرامج هي الأكثر التفافاً واجماعاً، داخل المعتقل، هذه البرامج هي التي توحد الهوية الفصائلية، وتلغي الخلافات والفروقات، وكأن المعتقلين في هذه اللحظات مدركون أنهم كلهم يتلهفون لذات الشيء، ويحتاجون ذات الشيء، سواء كان ذكراً أو أنثى، مسلماً أو مسيحياً، حمساوياً أو جهادياً أو فتحاوياً أو يسارياً، هنا فقط في هذه اللحظات تتوحد الهوية لدى المعتقلين، وتعود القضية الواحدة، العامل المشترك الواحد، قضية المقاومة التي يتشارك فيها الجميع، والتي بسببها ضحى الجميع بالحرية، بالعيش بين أبناءهم وزوجاتهم وأهاليهم، إنها الشعور الجمعي بالتلهف للخارج، كما الشعور الجمعي لديهم بالاتفاق على المقاومة، هنا يذوب الفرد بالجماعة، فكلهم يتلهفون لذات الشيء. وتبين رواية (ك.ق) بأن مدى الالتفاف حول هذه البرامج عندما تقول:

> " برامج الأسرى هي البرامج الأكثر متابعة، صعب أوصفلك، مثل الي بستنى نتيجة التوجيهي، وكانت إمي لما تتصل علي، تسلم علي وعلى كل البنات، اذا نست واحدة، يصيروا يحكوا الي شايفة إمك كيف نسيت إسمي، ونسيت تسلم علي، أو إمي تحكي اليوم أجى عنا الشخص الفلاني، وهو بسلم عليكي، هاي فلان راح على الحج أو العمرة، تشعري إنك مستمرة مع أهلك والناس بره، كان يتصل إبني ويحكيلي هيني بجهز للتوجيهي".

ولكن المعضلة التي ظهرت هو أن هذه اللحظات كان يعكر صفو جوها التشويش، وقد يأتي هذا التشويش إما بسبب الطقس، أو بسبب تعمد إدارة المعتقل التشويش على هذه البرامج، الأمر الذي كان يسبب للمعتقلة توتراً نفسياً بالغاً، فتقول (ص.ك):

"البرنامج يجي حسب الطقس، إذا الطقس مطر خلص خربت الإذاعة، وإذا كان الجو صافي، تيجي الإذاعة منيحة، ونقعد ندور على البث لما يضيع البث، وأسلاك طالعة ونازلة، ونعرف أهالينا على الخط، والاشي الي بقهر، إنو مرات تسمعي أنا أم المعتقلة (ص.ك) ويروح الخط، أموت أحس حالي بدي أنتحر، خلص ما بدي الدنيا، وأصير أفكر طيب إمي شو قال؟ شو خبرتني؟ شو قالت عن أبوي؟ شو أحكت عن أخوتي؟ حتى الأشياء السلبية تيجي على بال الواحد، بجوز خبرتني خبر سيء، يمكن قالت أبوي تعبان، خلص حتى في الزيارات أعرف إنو في الي زيارة وهم ما أجوا، أصير أحسب ليش؟ ليش ما أجوا؟ شو بصير؟ ما بدهم إياني؟"

تبين هذه الرواية الكآبة والتخبط الكبير الذي يصيب المعتقلة إذا حدث تشويش أثناء البرنامج، خصوصاً إذا علمت المعتقلة أن أهلها هم الذين يتحدثون معها الآن، وهذا كفيل بحسب المشاركة بأن تتمنى الموت، إنه الحالة المشابهة للإعطاء وعد الإعطاء، أعطيك فرصة للحديث، ثم أسحبها منك، في هذه الحالة عملية السحب بذاتها يوجد فيها مشكلة، لأنها تضع المعتقلة في تفكير سلبي طويل، وانتظار آخر طويل.

بينما اعتبرت المشاركة (ص.ك) بأن إدارة المعتقل تتعمد وضع أجهزة تشويش خصوصاً في معتقل الدامون فتقول:

"في هشارون طبعاً الأسيرات كانوا يتلهفون على برنامج صوت الأسرى، وينتظرونه بكل شوق، وبكل حنين، وبكل هذه المشاعر، لأنهم بسمعوا أهاليهم، وبطمنوا عليهم، في الدامون الوضع سيء، لأن التشويش كان عالي جداً، ولا يوجد قنوات واضحة على الإذاعات هناك، لأنها في منطقة قريبة من حيفا، فكان صعب جداً، كمان كانوا اليهود يحطوا تشويش حتى لا يتم سماع هذه الإذاعات، فكنت أنا مرات أسمع ومرات ما أسمع، فكانت توصلني رسائل عن طريق المحامي فقط".

تبين هذه الرواية الفرق أيضاً بين السجون المخصصة للمعتقلات، فسجن الدامون نوعاً ما بعيد جغرافياً عن "البث" الإذاعي الفلسطيني، وبالتالي فإن وضوح الصوت يتأثر بضعف هذا البث، وبتعمد وضع أجهزة تشويش، للتنغيص على المعتقلات.

- **الرسائل:** أما الوسيلة الأخرى والتي كانت على امتداد خارج أسوار المكان فهي الرسائل، وهذا يظهر في رواية (ص.ك) عندما تقول:

> " في الدامون في إشي حلو، إنو بوصل رسائل، ورسائل مليان، رسائل من متضامنين من كل أنحاء العالم، يبعثوا صور، ورسائل بسيطة صغيرة، الواحد بشعر حالو بالرسائل الصغيرة إنو هو عايش، إنو في ناس بتسأل عنو، والله كنت أنبسط في هاي الرسائل، كانوا يجوا باسمي (ص،ك)، كنت أنبسط فيهن.. مثلا رسالة تقول أنا إسمي جون، احنا معاكي، ما تقلقي، ممكن يحكيلي أنا اليوم روحت على جبل، وكان معي كلبي، وأنا تذكرتك، وكان نفسي تكوني عايشة بهيك مشهد، أشياء بسيطة، هاي الصورة الي وراها كلمات".

بالنسبة للمعتقلات فإن فكرة الرسائل فكرة تقوم على الحياة الطبيعية في الخارج، فكرة تعيد التفكير بتلك الحياة. بعد أن تعيش المعتقلة أشهر كثيرة في المعتقل، في لحظات معينة ربما تشعر بأن حالة المعتقل، هي الحالة الاعتيادية التي يجب أن تتأقلم عليها، هذه الرسائل قادرة على إعادة إحياء الجمال والروح في المعتقلة، وتأملاتها في الخارج، بعد أن صمم المعتقل لوضعها في حاجة للتفكير بأمور بسيطة في المعتقل، بحيث تتجاوز هذه الأمور الروتينية عالم المعتقل وتنتقل إلى فكرة التأمل خارجه، وفكرة التأمل تقوم على مبدأ تجاوز التكيف والتأقلم، إلى حالة أعمق من الراحة والحلم والتبصر.

تبين لنا هذه الرواية أن وصول الرسائل من متضامنين مع المعتقلات، وهي في العادة رسائل بسيطة، تحتوي كلمات قليلة، لكنها كلمات قادرة على نقل المعتقلة للحياة خارج أسوار المعتقل، بين الشجر، هنا تتحول الحياة في الخارج إلى "جنة".

- **علاقة المحبة:** هناك وسيلة مهمة ظهرت في رواية واحدة من رواية المشاركات، وهي رواية المعتقلة (ص.ك)، هذه الرواية تمثلت بنشوء علاقة حب توجت بالخطوبة بين المعتقلة (ص.ك) والمعتقل (ج،ع)، المحكوم بالسجن مدة عشرين عاماً، ومن المتوقع أن يتم الإفراج عنه في العام 2023، علماً أن المعتقلين مخطوبين منذ العام 2012، ولم يتسنى لهما رؤية بعضهما البعض ولا لمرة واحدة حتى كتابة هذه الرسالة، هما فقط يعرفان بعضمها من خلال الصور، يتقاربان في تفكيرهما وهو السبب في خطوبتهما.

هذه العلاقة هي علاقة صمود لكلا المعتقلين، لـ(ص.ك)، وللمعتقل (ج،ع)،. هذه الوسيلة قاومت كل أشكال الضغط من السجان، وحتى من قبل المجتمع المحلي بعد خروج المعتقلة من السجن في صفقة شاليط، لتتحول وسيلة الصمود هذه من وسيلة صمود المعتقلة التي أفرج عنها، لوسيلة صمود للمعتقل (ج،ع) الذي لا يزال داخل السجن حتى يومنا هذا، وتروي (ص.ك) كيفية تعرفها على خطيبها (ج،ع)، وتأثير ذلك على صمودهما من خلال التالي:

"وصلتني رسالة من واحد بقولي، أنا متضامن معك، واحنا فخورين فيكي، ما شاء الله عنك، طيب شكراً قرأتها، وحطيتها مع الرسائل الباقية، وما رديت على الرسالة، كمان شهر أرسل نفس الرسالة إحنا معاكي، وبعيد علي عشان كان وقتها عيد المرأة، كمان مرة ردّ بعتلي رسالة ثالثه، تقريباً نفس الكلام، قلت شو فيه؟ قلت للمحامي شوف إنت، إذا هذا الانسان حقيقي، ما في حب ولا اشي في الرسائل. طيب أجى المحامي، بقولي يا مجنونة، إنت بتقولي عنو يمكن جاسوس، هذا شاب ماشاء الله عنو برفع الراس وجدع، روحت على المحكمة لقيت أخوي، قالي هذا الشاب جدع، أسير، تواصلي معاه، بس ديري بالك في مضمون الرسالة، روحت جبت هالورقة وكتبت:

إلى الأخ العزيز المناضل (ج.ع):

أنا فخورة فيك، وأنا متضامن معك، وما تقلق علي، أنا منيحة وبخير، وإن شاء الله بنضل على تواصل.

خلال تواصلي معاه، انحكمت، في 2011، 20 سنة، وخمس سنين وقف تنفيذ، هناك (ج،ع) بعتلي رسالة، في العادة بكتبلي كثير شغلات، شو بعمل، وايش بساوي، بس كتبلي ورقة شوي، بس صفحة، وكتبلي إنت ما تزعلي على الحكم، وهذا الحكم وسام الك طول العمر، طيب ليش إنت زعلانة؟ إنت رايحة تروحي قريباً جداً، بعد أسبوع روحت في صفقة شاليط.

هسه بعد فترة، صرنا نبعت رسائل، رجعنا لموضوع الرسائل، صرت أحس في كلماته إنو في حب، ضلينا لاعترفنا لبعض، صرت أحس إنو في اشي عايشه مشانو، كثير مبسوطة، وهو كان كثير مبسوط، وأهلي ما كانوا كثير مبسوطين، لما اعترفت لإمي بالموضوع، إمي أغمي عليها، وما استوعبت الموضوع، إني أنا بدي أخطب أسير، وكأني رايحة أرجع على السجن كمان مرة، هو بصراحة صارلنا بدنا ندخل السنة العاشرة أنا و(ج،ع) مع بعض، إحنا خطبنا في 2012، ورجعنا تركنا لثلاث سنين، احنا تركنا بس قدام الناس، بس على أرض الواقع ما تركنا، عشان أهلي حسوا إني أنا صرت تعبانة ومضغوطة، قالوا خلص ما بنقدر نكمل، أنا كنت لما (ج.ع) يضرب أضرب عن الطعام، لما (ج،ع) يغيب ما أحكي مع حدا، طول الوقت حياتي صارت (ج.ع) ، وين هو؟ شو حكى؟ شو ما حكى؟ تعقدت، مرضت، أنا ما بدي أترك، أنا دمرت في مرحلة لما تركته، إحنا طول الوقت بنتواصل، أنا و(ج،ع) حاربنا كثير عشان أوصل لمرحلة الخطبة، بدكم تخلوني أترك، ضليتني متواصل معاه، بس قدام الناس إحنا تاركين، وأنا ما أعجبني هيك، أنا بحكي معك وبتواصل معك، وبحبك، وبتحبني، ليش الأهل ما بدهم، ضلينا نتواصل، لحد ما أخوي رجع على السجن المرة الثانية، طلع خلص، قلت لأهلي كل يوم بتواصل معاه، وبتصل على الراديو، وبدو كنتينا ببعتلو، وبدو أواعي ببعتلو، كل اشي شو ضل، قالولي إنت حرة".

تبين هذه الرواية مدى العمق النفسي القوي الذي تركته هذه العلاقة على المعتقلين (ص.ك) و (ج.ع)، على الرغم من كل الضغوط التي يتعرض لها كلاً منهما، ولكن التحدي هنا هو التغلب على هذه الضغوط، والاستمرار في هذه العلاقة التي تحولت من وسيلة صمود لـ (ص.ك)، إلى وسيلة لصمود المعتقل (ج،ع)، حتى يومنا هذا، إنها فكرة الحب، الفكرة المرادفة للأفق، إنها فكرة ماذا بعد الخروج؟ وفي حالة المعتقلين، تعطي ذلك الأفق بأن المعتقل سوف يجد ذلك الشخص، الذي سيسند هذا الضعف والتعب الذي عاشه في داخل المعتقل، سيفهم فكرة الحرمان داخل المعتقل، سيحمل معه فكرة التشاركية، تشارك التعب والإصرار على الحياة والفرح، يصبح الحب في المعتقل خيط أمل يتسلل إلى المعتقل، بأن هناك شخص موجود في الخارج يؤمن فيّه كإنسان، بكل

ما فيّه من ندبات وأحزان، يشعره بالكمال، ولكن ليس الكمال الذي يشعره به الجميع بأنه بطل ويتم الإحتفاء به، إنه الكمال بأن هناك شخصاً في الخارج يعتبره كل شيء بالنسبة له، ويراه أجمل شيء على الرغم من كل ما فيه.

الصمود لتحقيق نضالات مطلبية وسياسية:

نتحدث في هذا القسم عن صمود من نوع آخر، يلجأ له المعتقلون لتحقيق نضالات مطلبية أو سياسية، يأتي الشكل الأول على شكل الإضراب ويكون موجهاً لتحقيق نضالات مطلبية لها علاقة بوسائل وأساليب معيشتهم داخل المعتقل، بينما يأتي الشكل الثاني من خلال مشاركة واحدة في المعتقل عن طريق التمثيل "إدعاء الجنون"، وذلك لتحقيق مطلب سياسي وهو الإفراج الفوري عنها.

الإضراب عن الطعام: تتمحور فكرة الاضراب عن الطعام من خلال امتناع المعتقل عن تناول الأكل والشراب بشكل نهائي، إلا قليلاً من الماء والملح، والماء والملح لا يحافظ هنا على حياة المعتقل، وإنما الحفاظ على الأمعاء من التعفن، ومن المتوقع أن يفقد المعتقل حياته في غضون أسابيع قليلة إذا استمر بهذا الاضراب، ويتم اللجوء إلى الاضراب لتحقيق مجموعة من النضالات المطلبية ومطالبة "إدارة السجن" بتوفيرها، وفي العادة فإن هذه المطالب تتمحور حول تسهيل سبل المعيشة للمعتقلين. وتمثل هذه الوسيلة أهم الخيارات التي يتم اللجوء لها لتحقيق النضالات المطلبية، إذ لجأت اليها الحركة المعتقلة في حالات كثيرة، بعد أن تكون قد استنفذت كل الوسائل الدبلوماسية لتحقيق نضالاتها المطلبية المتعلقة بتسهيل سبل المعيشة داخل المعتقل كتوفير بلاطة كهرباء أو رادیو، أو رفع عدد الزيارات، أو تمكين المعتقل من إجراء مكالمات مع أهله.

قبل أن يقرر المعتقلين خوض الإضراب، هناك خطوات أكثر سلاسة يتم اللجوء اليها قبل الإضراب ومنها أن يتم ترجيع الوجبات، أو الامتناع عن الخروج إلى الفورة، بحيث يصبح الإضراب هو الحل الأخير الأصعب.

إن الإضراب هو حالة من التمرد، يصل فيها المعتقل إلى حالة لم يعد فيها شيء مهم بالنسبة له، إنها فكرة التخلي عن الجسد كجسد يجب الاعتناء به حتى يستطيع الصمود إلى جسد يقع تحت مسؤولية السجن، إنها فكرة انتزاعه ورميه على الإدارة، والتغلب على عذاباته، المكابرة على الألم مهما اشتد، وكأن الجسد يصبح أيضاً عدو للمعتقلة في هذه الحالة، يجب على المعتقلة أن تقاوم حاجاته وآلامه، كما تقاوم إدارة السجن. فعندما تدخل المعتقلات هذه المعركة، هنّ يقررن مسبقاً خوضها حتى الرمق الأخير، وهو ما لا تريده إدارة المعتقل، إن هذه الإدارة قائمة على وضع هؤلاء المعتقلين في وضع يومي صعب، موت بطيء، اعتناء قليل بالجسد، بحيث تستطيع معها المعتقلة استكمال أيامها بمعاناة داخل المعتقل، ويصبح فيها الإضراب حالة التمرد الوحيد "المميته" للمعتقل، ولكنها تصبح ضرورية عندما تصبح الحياة حياة مادية خاوية، وتصبح فيها فكرة الكرامة جزئية مهمة بالنسبة "للمعتقل"، إنها الجزء الذي تشعرها بإنسانيتها، لأنها مرتبط بالرفض، إن الإضراب هو محاولة صراخ، إنه صوت جماعي، صوت يثبت الوجود، نحن موجودين هنا، إنه الإصرار والتصميم حدّ الموت على الشعور بالإنسانية والكرامة.

تبين رواية المشاركة (آ.ر) الكيفية التي تستفز بها إدارة المعتقل من ترجيع الأكل من قبل المعتقلين فتقول: "هسه اليهود بموتوا ترجيع الأكل، هم في السجن بدهم الأمن مستتب، بالنسبة الهم الأمن المستتب إنك إنتي توخذي أكلك، وتوكليه، وما تعملي ضجة، وضلك قاعدة وساكتة، مجرد ما ترجع وجبات بنجنوا اليهود"، لذلك فإن الدخول في هذا الاضراب يعني جنون إدارة المعتقل التي تحاول فك هذا الإضراب بطرق سريعة لإنهائه، إما خوفاً من إضطرارها لتقديم تنازلات ترفض وجودها أصلاً، ومتعلقة بالدرجة اليومية بمتطلبات متعلقة بحياة المعتقلة، أو خوفاً من المطالبات التي قد تأتي من الخارج والتي تطالب بالكشف عما يتعرض له المعتقلين في المعتقل، وهذا يظهر في رواية المشاركة (ن.و) "كانوا يحاولون فك الإضراب، كانو يسحبوا كل اشي، ويهددوا ويرموا غاز ويكسروا، يسحبوا الملابس، يوقفوا الماء، ما تقدري تتحممي، حتى المياه الي كنا نشربنا كانت من الحمام وقفوها، كنا لازم نشرب مي وملح"، تبين هذه الرواية

لجوء إدارة المعتقل إلى ممارسة العنف على المعتقلين المضربين، للضغط عليهم لفك إضرابهم، من خلال سحب الملابس ووقف المياه، ومنعهم من الخروج إلى الفورة، هذه الأساليب تأتي لكسر هذا الصمود، لأن الاستمرار في هذا الاضراب يعني النجاح في هذه النضالات المطلبية.

وتبين رواية (آ.ر) بأن الاضراب عن الطعام كان إحدى أهم الخيارات التي يتم اللجوء لها، وقد كانت الجهة المسؤولة في الإعلان عن الإضراب "اللجنة النضالية للأسرى"، تتحدث عن هذا الاضراب (آ.ر) بالقول:

"خضنا الإضراب العام الذي خاضته كل الحركة المعتقلة، الإضراب الأول كان في العام 1993، أولها قالت اللجنة النضالية للأسرى، وكانت مرجعيتها في حينها سجن الجنيد، النساء ما بدنا يشاركوا في الإضراب، وخليهم خارج الإضراب، إحنا رفضنا هذا الحكي، وقولنا لا، إحنا جزء من الحركة المعتقلة وبدنا نشارك، فعلاً شاركنا لمدة 12 يوم، اليوم 13 مساء، ضلت الأخوات في فتح على اتصال مع الجنيد، قالولهم فكوا الإضراب، إحنا حققنا شو بدنا، وفكوا الإضراب، وبنتواصل مع بعض، أجوا قالولنا فكونا الإضراب، بجوز تستغربي، أنا في هذاك اليوم عيطت، وبكيت بجنون، طيب أضربنا، وحددنا مطالبنا، وفكينا الإضراب، مش عارفين إيش تحقق من مطالبنا، شو لبينا منها، شو استجابوا، شو ما استجابوا، ليش عبر تلفون يقول النا فكوا الإضراب، يعني هذا كان كثير مؤلم على أسيرات عندهم انتماء سياسي، وعارفين شو معنى الخطوة النضالية الي اسمها إضراب عن الطعام، بهاي الطريقة فكينا الإضراب، طبعاً بعد أيام وأسابيع لعرفنا ايش المطالب الي تحققت للأسيرة، تحديداً بلاطة الكهرباء، تلفزيونات وأنتين مركزي، معاملة سليمة، تحسين وجبات الأكل، بعض القضايا المطلبية".

- **التمثيل "إدعاء الجنون":** ظهر أن هناك نوعاً آخر وربما غريب من الصمود، وهو صمود لغرض تحقيق مطلب سياسي تمثل بالإفراج عن المعتقلة، وهذا الأسلوب تمثل بـ"إدعاء الجنون"، وهذا نجده في رواية واحدة وهي رواية المشاركة (ف.ح):

"كانوا طالبين الي سبع سنين ونص، إجت إمي علي وقالتلي قوليلهم أنا مريض نفسياً، روحت على المسؤولة علينا كان اسمها زهرة قرعوش، قلتلها إمي بتقولي أمثل إني أنا مريض، قالتلي أنا ما بتحمل مسؤولية، إذا مسكوكي بتمثلي أقل اشي عشرين سنة بالراحة، قلتلها بس أنا بدي أقولك، قلت لكمان واحدة اسمها (س.غ)،

من عرب إسرائيل، قالتلي هي كمان إذا مسكوكي بتوخذي عشرين سنة، قلت خلص أنا بدي أجرب إني مجنونة، قالت المسؤولة عنا لادارة السجن (ف.ح) راسها بوجع، بدها تدخل جوا، بدهاش تشتغل بره، كانت هاي أول خطوة عملناها، أخذوني على مستشفى الرملة عشان يشوفوني مريض عنجد، دكتور معاه (شاكوش) يضرب على رجلي عشان الأعصاب، ويسألني شو اسمك؟ كم عمرك؟ وأنا ساكت، زي كأني فاقد الذاكرة، بس كنت أسب عليه، يلعن أبوك، يلعن إمك، وأنا أضحك وهو يضحك، مثلت زي واحد إهبل معتوه، ديري بالك هم ما صدقوا، بس صدقوا متى، لما جبنا تقرير طبي، هذا التقرير جابته واحده كانت معي في السجن اسمها (آ.ر)، عن طريق دكتور إني أنا كنت أتعالج عندو قبل السجن، وإني أنا مريض، هذا الاشي الي خلى اليهود يصدقوني، التقرير الطبي، كنت أضل أصيح في السجن، كنت أقول للبنات جيبولي شوربة بزيادة، أنادي على المجندة أكبّ كل الشوربة على شعرها.

في مرة من المرات حرقت الغرفة الي أنا موجود فيها، لازم أمثل على طول، إذا بدي أوقف بدي أنكشف، مشيت في طريق لازم أكملها، هم حطوني في غرفة لحالي عزلوني، في الطابق الثاني "رقوني يعني".

مرة إجيت سكرت الباب، أبواب السجن مرفوعات عن الأرض شوي، حطيت بطانية، تحت الباب، وفتحت الحنفية في الغرفة ساعتين ثلاث، الغرفة صارت بحر، بعدها قمت البطانية، وكل المية نزلت، بس المي قطعت عن البنات في السجن، إجت المسؤولة قالتلي المية ما تقربي عليها.

مرة كلبشوني في إيدي ورجلي، بس ما ربطوهم في التخت، جنبي خزانة للكنتينا في شامبو، حطيت شامبو وسحلت الكلبشات، ورميتهن من الشباك، الشباك رفيع وكان مفتوح، رميت الكلبشات بره، أجوا الصبح علي يشوفوني، فتحوا علي، قالولي وين الكلبشات، قلتلهم أجوا في الليل ناس علي حلوهن، وأخذوهن ورموهن، انصدموا بس، قالولي أي ناس، قلتلهم ما بعرف، ناس عبروا علي في الليل، طلعت المجندة من الشباك شافت الكلبشات، كنت أعمل تصرفات عشان ايصدقوا اني مجنونة، بعد هيك أخذوني على مستشفى الرملة، هذا مستشفى للمجانيين بس والي بحششوا، كان فيه شباب، يهود وعرب، بس أنا حطوني في غرفة لحالي، كان هناك شباب أنا شكيت إنهم نفس حالتي، بمثلوا يعني، وأنا هناك كانت غرفة لليهوديات وأنا غرفتي مقابل غرفتهن، اليهوديات كانن تعات حاشيش، جسمهم مجرح ومشفر، حطوني في الغرفة، أجى علي واحد عربي، بس شكلو مع اليهود بشتغل جابلي حبة هالحبوب، وقالي هسه بدك تشربيها قدامي، قلت لازم أشربها، هذا جاي بدو يختبرني، قلت بدي أموت أموت، المهم شربتها، قعدت يومين وليلتين وأنا مسطل بس، إذا بدي أطلع فوق ما أقدر، بطلت أحكي، ما أنا كنت مقرقعهم كنت أضل أضرب على الباب، كانن اليهوديات يضلوا يراقبوا فيّ، قعدت أسبوع تقريباً في الرملة، لما كنت أطلع على الفورة كانوا يطلعوني لحالي، يصيروا المجانيين اليهود يضربوا علي خيار، بندورة، كاسات بلاستك من شباك الفورة.

في السجن جابوا علي رابين، ما بعرف ليش جابوه علي، كانوا مطلعيني فورة لحالي في سجن البنات في هشارون، الا هم داخلين عشرين واحد جنود، والكتاسين، ورابين، صاروا يطلعوا علي ويحكوا، شفتهم بضحكوا، بس أنا زفيتهم، سبيت عليهم، يا كلاب، واحد مجنون شو بدو يقول، أنا استغربت جايبين رابين يشوفني، أنا بضل أقول للناس رابين بحالو ما قدر علي، إنتو بتقدروا علي، ضليت أمثل دور المجنونة، لا استقبال ولا إرسال ولا إشي، أنا روحوني، خلص بدهم يروحوني يرتاحوا مني، تعبوا مني، المحامي أنور قالهم في المحكمة خلص هاي ما فيها منها أمل، روحوها، طلعوني، وهن رجعوهن.

وبعد ما اطلعت من السجن ضليت أمثل بالدور، وهاي مشلكة صادفتني، أبوي خاف، قالي إلي بيجي يسلم عليكي بضلي ساكته، ممنوع تحكي مع حدا، قال في جواسيس، برجعوني على السجن مرة ثانية، إلي يجي يسلم علي أضل قاعد وساكت، ما أحكي إشي".

إن هذه الخطوة النضالية تحمل في طياتها شيئاً من الغرابة، فقد استطاعت هذه المعتقلة على مدار أشهر من خداع أجهزة السجن ومكملاتها المختلفة بطريقة متقنة من التمثيل والادعاء لتحقيق مطلبها بالإفراج الفوري عنها، وقد تحقق لها ذلك بعد أن قامت بإتقان الدور الذي لعبته بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة، وعلى الرغم من الخطورة الذي حملها هذا الموقف بالنسبة للمعتقلة، إلا أن هذه الخطورة تحولت إلى نجاح وانتصار للمعتقلة.

القسم الخامس: الإضرار بالأمن "الإسرائيلي"

تقديم:

يسلط هذا القسم الضوء على فكرة اعتقال أي فلسطيني، فقط بدعوى الإضرار بالأمن "الإسرائيلي"، سواء اثبتت "التهمة"، أم لا، في الجزء الأول من هذا القسم تم تسليط الضوء على أن أي فلسطيني معرض للاعتقال، سواء كان له نشاط سياسي وطني، أم لم يكن له نشاط سياسي أو وطني، فالتهمة القائمة على الشك جاهزة وهي كونه فلسطيني. تبين رواية كافة المشاركات أنه تم عرضهن على المحاكم "الإسرائيلية"، بحيث ركزت المشاركات في الدراسة على نقاش حيثيات "التهمة"، التي قادت بهن إلى هذه المحاكم العسكرية، أكثر من التركيز على

آلية العمل داخل المحاكم. ويبين هذا الجزء بأن الاعتقال جاء إما على خلفية قضية ولائحة اتهام، وإما ملف إداري يحمل لائحة اتهام سريّة لا تستطيع المعتقلة ولا المحامي معرفة ماهية هذه التهم.

يسلط الجزء الثاني من هذا القسم الضوء على موضوع البوسطة "رحلة العذاب"، وهي التي ترافق تنقلات المعتقلات بين "السجون"، ومن المعتقل إلى المحكمة، تظهر رواية المشاركات في هذه الدراسة الظروف المأساوية في هذه البوسطة، والتي تأتي ضمن استراتيجية إدارة المعتقل لكسر إرادة المعتقل.

التهمة:

تم العمل بالجهاز العسكري في المناطق المحتلة منذ 1967/6/7، وأوكلت مهمة تعيين القضاة العسكريين إلى المدعي العسكري، أو المدعيين العسكريين، وهم في العادة جنود وضباط في "جيش الاحتلال"، وهذا يعني أن آلاف المعتقلين الفلسطينيين مثلوا أمام يحملون صفة "قاضي"، بينما هم جنود أو ضباط في الجيش، في الوقت ذاته لم يشترط الأمر العسكري 378 على القضاة العسكريين ان يكونوا قد انخرطوا في مهنة المحاماة او القضاء امام الجهاز المدني أو الجهاز العسكري، وكان يكفي ان يكون رئيس الهيئة قاضي قضائي اي ذو خبرة قانونية، بقي الوضع على هذا الحال حتى العام 2004 حين عدل الأمر العسكري رقم 378 بأمر جديد يشترط ان يكون كافة القضاة ذوي خبرة قانونية. ولكن كافة هذه التعديلات لم تحدث تغييراً جوهرياً على أداء المحاكم العسكرية فالمشكلة الاساسية تكمن في صلاحيات هذه المحاكم والاجراءات المتبعة أمامها، وتعريف المخالفات بموجب الأوامر العسكرية، مما يمنع من المحكمة ان تكون محكمة عادلة تطبق المعايير الدولية للمحاكمات العادلة (مؤسسة الضمير 2015).

تتألف المحاكم العسكرية من:

- المحكمة العسكرية الأولية: تقع الأولى في مخيم عوفر قرب بلدة بيتونيا في رام الله، والثانية في سالم قرب قرية سالم في جنين.
- محكمة الاستئناف العسكرية: تقع في مخيم عوفر وتخضع لها المحاكم الأولية.
- المحاكم العسكرية التي تبت بإجراءات التوقيف خلال مرحلة التحقيق: تقع في مراكز تحقيق جهاز المخابرات العامة الإسرائيلية (الشاباك) وهي: الجلمة، بيتح تكفا، عسقلان والمسكوبية في القدس.
- المحكمة العسكرية التي تبت بالاعتقال الاداري: وتقع احداها في معسكر عوفر والثانية في سجن النقب (مؤسسة الضمير 2015).

تبين رواية كافة المشاركات أنه تم عرضهن على المحاكم "الإسرائيلية"، في الوقت الذي لم تركز فيه المشاركات في الحديث عن آليات العمل داخل هذه المحاكم، وقد يعود السبب في ذلك إلى ضعف المعرفة بالإجراءات القانونية المتبعة فيها والتي في العادة تترك أمورها للمحامي الذي يتبع ملف المعتقلة. وفي هذا الجزء جاء تركيز المشاركات في الدراسة على نقاش حيثيات "التهمة"، والتي قادت بهن إلى هذه المحاكم العسكرية.

تبين رواية المشاركة (ص.ك) أنه تم إيقافها خلال التحقيق في المسكوبية، بناء على تهم متعلقة بطعن جندي وحيازة سكين على حاجز قلنديا، وعندما تحدثت المشاركة عن هذه الحيثيات، جاءت على ذكر الأسباب التي قادتها إلى ذلك، وما الذي حدث معها، تقول (ص.ك):

"" الاعتقال مثلي مثل أي حدا، أي حدا ثاني في البلد شايف الي بصير في البلد، شايف الظلم بعينه، الي الواحد بنجن لما يشوفوها، في عام 2008 كانت حرب غزة، وأنا وقتها كنت كثير مضايقة، بس ما قدرت أعمل اشي، فترة في شهر 2009/10، صار اقتحامات للأقصى، تقريباً ثلاث مرات، وما أخذ هذا الموضوع حقه في الاعلام، خبر عادي زي اليوم للأسف... أنا طعنت جندي على حاجز قلنديا، والعملية مسجلة فيديو، أنا كنت رايحة على القدس، بعرف إنس مش رايح أمرق، بس كنت أتمنى إني أدخل، في مخيلتي ممكن أدخل، بتعرفي الواحد بدخل "المعاطه" في هاي اللحظة في إشي جواي توفى، صرت واحدة ثانية، دخلت على الماكنة أكثر من مرة، والماكنة ما رنت، الي كشفني ميدالية في الشنته داخلة جوا البطانة، أنا مش منتبه الها،

هم شكوا في الشنطة ونسيوني أنا، بعدها طلت السكينة وطعنت الجندي، وكات إصابته شديدة، تم استئصال جزء من الأمعاء والبنكرياس، عشان هيك أخذت 20 سنة، وروحت بصفقة شاليط".

تبين رواية المشاركة (ص.ك) حيثيات الحدث نفسه، وما الذي حصل فيه؟ وما الذي دفعها لفعل ما فعلته؟ هذه الحيثيات كانت نقطة تركيز رئيسية، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المشاركة تحدثت عما حدث معها على حاجز قلنديا بكل وضوح وصراحة، فأظهرت روايتها أن الظروف السياسية هي الدافع الأساسي وراء ذلك نتيجة للانتهاكات الاسرائيلية المتواصلة بحق الإنسان الفلسطيني، والأرض، والمقدسات، وأحداث الحرب على غزة، وخصوصاً ما جرى ويجري في المسجد الأقصى.

إن حيثيات تناول الحدث لدى (ص.ك)، وأسبابه، والطريقة التي حدثت فيه، والطريقة التي قامت المشاركة برواية ما قامت به يتشابه إلى حد كبير مع رواية (ف.ح)، والتي تحدثت فيها بوضوح عن حيثيات ما قامت به، وأسبابه، والكيفية التي قامت بها بفعل الطعن، والفعل ذاته، وعن ذلك تتحدث بالقول:

"في العام 1991 استشهدت إمرأة من بلدنا إسمها (ف.ح)، كان عمري وقتها تقريباً 17 سنة، تأثرت بهاي الحادثة... بس أنا ما كنت أعرف كيف أطلع على رام الله وقتها، ولا أروح ولا آجي، الناس ما كانت تخلي بناتها تطلع زي اليوم، ما كنت أطلع على رام الله، ما كنا نعرف زمان، إشتغلت شغل الدار وتحممت ولبست غيارين، في كان عنا دار للتبن، حطيتهن في كيس، وخبيتهن بين الأكياس، لما أجيت أطلع قلت لمرة أخوي بدي ألحق إمي، روحت على الدار، رميت الأواعي والسكينة ورا الدار، طبعاً كنت محضر أواعي بدي أعملهن مثل ولد صغير ولعبة وأحط جواها سكينة (كاين الشيطان يخطط معي)، المهم لبست أواعي ولبست خمار على وجهي، وحطيت السكينة، وعملتها مثل البيبي الصغير وعليه كوفليه، ولفيتهن في بعض، وبعدين لفيت من ورا دارنا وطلعت، أنا طلعت الساعه تسعة، تسعة ونص، وأنا نازل في الشارع بدي أركب أطلع على رام الله أعمل العملية، الناس (إغتشوا مني: بمعنى نظروا الي نظرات تشكيك من أكون)، في الانتفاضة كانت الناس تخاف، وكان حرب صدام، وأنا ماشي في الشارع كل الناس تطلع علي شاكين فيّ.

لأن الناس في القرية الكل بعرف بعض، وخفت يرفعوا على وجهي الخمار، وأنا ماشي في الطريق لحقتني مرة جبر الجازية (زوجة أسير فلسطيني حينها)، صارت (تحلس في: بمعنى تحط ايدها على جسمي) وتقول

مين إنتي؟ مين إلي معك حاملتيه؟ تركتها وقطعت من عند سلاك الصقر (منطقة في البلدة)، وإجيت على دار المحامي عثمان وضليت أمشي لعند دار لولو (أول بيت في البلدة)، وأنا هناك لحقني في التاكسي ابن خالي ومسعود ابن الفهد (اثنين من شباب البلدة)، وقفوا عندي، صار يقولي ابن خالي من وين إنت؟ انعقد لساني، قلتلو أنا من كفر نعمة، بقولي شو الي معاك؟ قلتلو أنا حامل ولد؟ قالي كذابة، هذا مش ولد، المهم وقفوا عندي وصاروا (يتوشوشوا: يتهامسوا)، أنا خفت، قلت هسه بمسكوني، أنا الي بنطعن مش اليهودي، المهم راحوا.

مروح ابن خالي على البلد، وصاير يحكي شفنا واحدة شكلها جاسوسة، وكنت بدي أرفع عنها الخمار، هذا قبل ما يوصل خبر العملية، أنا طلعت على الساعة تسعة تسعة ونص، على الساعه 12 طعنت، المهم أجى شمعون (شفير تاكسي في البلد)، كان راكب معاه اثنين وأنا الثالث، لحالي قعدت، ما سألوني ولا إشي، وشو ما تعمل هالناس أعمل، ما بعرف رام الله ولا اشي فيها، ضليت ألف ألف في رام الله، الجيش في رام الله جميعهم لابسين ستر واقية، كانت الإدارة المدنية مكان باصات بلدنا (وهي الساحة الموجودة بجانب مدرسة الفرندز، وهي موقف باصات القدس في الوقت الحالي)، وضليت ألف في رام الله وأنا مش عارف وين رايح ومش عارف شوارع رام الله، روحت على طريق المستشفى أروح وأرجع، اسمعي أول اشي في مركز صحي قبل الإدارة المدنية، أذن الظهر علي وأنا على الدرج، قعدت أدعي يا رب وفقني، وافتح طريقي، أصلاً كيف بدي أرجع على أهلي، وين كاينه رايحة يسألوني، يمكن كان ذبحوني، المهم روحت عند الإدارة المدنية، في ناس قاعدة بتعمل تصاريح ومعاملات، الجنود هناك لابسين ستر واقية، إلا هو جاي هالواحد بشتغل في المحكمة "سكناجي" لابس طاقية، وكاين مارق من بلد ضاربين الشباب عليه حجار، وجاي يشكي للجيش انهم ينزلوا على البلد هذيك، المهم أنا واقف مع الناس الي واقفين قبل ما يجي هو، ولم يشك في أحد، كنت رافع الخمار عن وجهي هناك، عرفت إنو يهودي وقفت وراه، وضربتو السكين في ظهرو، قال كلمة واحدة قال (أي)، ما قمت السكينة من ظهرو، قالولي لو قمتي السكنية من ظهرو كان مات، يا ريت قمت السكينة، هذا السكناجي عرفت إنو راحت الكلية تاعتو من الطعنة، وشردت".

تبين رواية المشاركتين (ص.ك) و (ف.ح)، أنهما يملكان القوة والقدرة للحديث عن كل التفاصيل المتعلقة بالتهمة التي تم توجيهها لهن، بحيث أن كلاً من هاتين المشاركتين في روايتهما، شكل حديثهن قصة متكاملة المعالم والتفاصيل عن ماهية التهمة، وكيفية وقوع الحدث نفسه، وهو حدث "التهمة"، علماً أن هاتين المشاركتين لا يغطين ذات الفترة الزمنية، فالمشاركة (ص،ك) تغطي "فترة ما بين تشرين الثاني 2009 وتشرين الثاني

2011"، والمشاركة (ف.ح) تغطي "فترة ما بين 1991–1993"، ولكن التركيز هنا لا يكون على أن الحدث جاء خلال فترتين زمنين مختلفتين، بل أهميته تكمن بأن رواية هذا الحدث جاءت في ذات السياق الزمني الواحد، الذي تتشابه فيه الظروف السياسية والاجتماعية الآن، في الوقت الذي اختلفت هذه الظروف السياسية والاجتماعية في سياق الفترة الزمنية التي وقع فيها الفعل المقاوم.

إن تناول هذا الحدث بتفاصيله، مع إدراك المشاركات لما سوف يترتب على حديثهن عن هذا الجانب من إعادة اعتقال، حظر أمني، إيقاف إصدار تصاريح للعمل، وغيرها من العقوبات، يدل على تجاوزهن لهذه الظروف السياسية والاجتماعية المركبة في الوقت الحالي، لصالح فكرة أساسية ضحين لأجلها، وكنّ على قناعة بأن ما قمن به نابع من عمل وطني بحت، لا زلن يتحملن تبعاته حتى يومنا هذا، ولا مشكلة بالحديث عنه متى ما تسنى لهن ذلك.

في رواية المشاركة (هـ.ن)، جاءت المشاركة على ذكر التهمة بدون الحديث عن التفاصيل والأسباب التي دعت اليها، وتتحدث عن ذلك بالقول:

> "في 2011/9/12 وقع الاعتقال الأول، كان عمري حينها 19 سنة، إجتني فكرة بدي أروح أطعن جندي، ما بعرف خلص كنت أقرأ كثير عن الأسيرات، وأسأل، وكنت أستغرب إنو في بنات محكومات مؤبدات، مثل سونيا الراعي الها أكثر من 12 سنة، ونزلت لعمل ذلك وكنت حينها صائم، واخترت يوم الاثنين، فكرت ونزلت بس، دخلت الحاجز ما كنت خايفة، حاولت أدخل على طول، نادوا علي قالولي إرجعي، قلتلهم ما بدي أرجع، بدي أدخل على جوا، بحكيلي الجندي إرجعي، إجت قربت علي مجندة، وقالتلي إرجعي، قلتلها هاي أرضنا وبدي أدخل عليها، ما بعرف لما شفتها بدها تدفعني أخرجت السكين، وبحكيلها أنا معي سكين، ما بعرف تقريباً في لحظة صار حوالي أكثر من 40 جندي، وضربوني على

إيدي عشان توقع السكينة، بعدها اعتقلوني، في هاي اللحظات أنا ما خفت، بالعكس انبسطت إنو كان عمري 19 سنة، وأرعبتهم".

تبين هذه الرواية بأن المشاركة تحدثت عن ماهية الفعل الذي قامت به، وتشابهت في الأداة المستخدمة مع المشاركتين السابقتين، إلا أنها تجنبت الحديث عن التفاصيل المتعلقة به، والكيفية التي فكرت من خلالها بهذا الحدث، وكيف ستكون انعكاساته عليها، وظهر في الرواية بأن هذا الفعل قد جاء دون تخطيط مسبق ومطول، وإنما كان فكرة ناتجة عن معرفتها لظروف اعتقال فتيات ذات محكومات عالية.

في رواية المشاركة (ن.ع) يتبين لنا بأن التهمة التي وجهت لها، كان عملها في جمعية قطر الخيرية، والتي هي بحسب السلطات "الإسرائيلية"، عملها غير قانوني، مع أنها تعمل في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية، ضمن تراخيص العمل المعتمدة من الجهات الرسمية الفلسطينية، وتتحدث عن ذلك بالقول

"أنا كنت موظفة في جمعية قطر الخيرية، والجمعية هي سبب اعتقالي، أنا معتقلة على خلفية عملي في الجمعية، وجهت لي تهم كان أولها العمل في جمعية غير قانونية، أو غير مشروعة أو محظورة، وهذا بالنسبة إلى السلطات الإسرائيلية، فعلاً فيما بعد عرفت أنها موجودة على القائمة السوداء لوزارة العدل الإسرائيلية حتى الآن، والجمعية كانت محظورة من تاريخ 2008/5/26، وأنا بدأت عملي في الجمعية بشهر 2010/5، والجمعية مسجلة لدى السلطة الوطنية الفلسطينية في وزارة الداخلية، ولا يوجد أي مشكلة لعملها داخل أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية، فكان مفاجئ لي أن يتم اعتقالي على خلفية عملي بجمعية مسجلة لدى السلطة الوطنية الفلسطينية، ومسجلة بقرار من الرئيس، وكان هناك مذكرة تفاهم بين رئيس الجمعية في الدوحة وبين رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية سيادة الرئيس أبو مازن، ولم أكن أعلم عن أي شيء أنها محظورة بالنسبة لإسرائيل، وبالتالي أنا لم يتم اعتقالي إثر أي نشاط سياسي، ولا أي عمل مصنف إجرامي أو إرهابي بالنسبة للسلطات الاسرائيلية، وفقط كان اعتقالي لأني موظفة جمعية غير قانونية بنظر السلطات الإسرائيلية".

وقد أظهرت الرواية أن هذا الاعتقال قد شكل صدمة لها ولأهلها، نظراً لقانونية عمل هذه المؤسسة في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية، والتي تنظر لها السلطات "الإسرائيلية"، بأن عملها غير قانوني، فقط من منطلق

الريبة الشك، هذا بحد ذاته كفيل بأن يتم اعتبار مثل هذه المؤسسات بأنها غير شرعية، وغير قانونية، دون ايضاح الأسباب التي تدعو لذلك، حتى للجهة التي استصدرت تراخيص عمل قانونية لمثل هذه المؤسسات.

أما المشاركة القاصر (م.غ) فتحدثت عن حيثيات الحدث نفسه، وما الذي حدث معها، والذي تم على إثره اتهامها بمحاولة الطعن وحيازة سكين، علماً أنها تنكر هذه التهم الموجهة لها، وتتحدث عن ذلك بالقول:

" اليوم الي انسجنت فيه كان يوم سبت 2017/5/20، كنت أمرّ من حاجز قلنديا، كنت لحالي، كنت لابس شنطة المدرسة، كنت مارق، الجنود كلهم فجأة صاروا حولي، ووضعوا الأسلحة على راسي، الاشي مش طبيعي، أكون ماشي، وفجأة أصير في وضع زي هيك، بس الحمد لله ربنا حط الطمأنينة في قلبي، ما خفت منهم، شدوا السلاح، صاروا يصرخوا فيّ، كانوا يحكوا بالعبري ما كنت فاهم.

بعدها أنا وقفت، مش عارف شو بدي أعمل، أجى جندي قرب السلاح كثير علي وكان بدو يطخني، بآخر لحظة لأنو كان يوم سبت، بالديانة اليهودية ممنوع القتل يوم السبت، رش علي غاز الفلفل، فضى العلبة، انخنقت، وما كنت شايفة أي اشي، كنت حاسس الموت قريب مني، كنت أدعي يا رب ما بدي أستشهد، لسه الحياة قدامي، حلمي أصير محامية، لساتني صغيرة، ما بدي أموت هسه، كان عمري بس 14 سنة، بعد ما رشوا علي الغاز انخنقت، وقعدت على الأرض، حطيت ايدي على عيني، وأدعي يا رب ما يطخوني، لسه الحياة قدامي..... كانوا طالبين الي أنسجن ثلاث سنوات، كانت التهمة الأولى محاولة قتل جندي، والتهمة الثانية حيازة سكين".

تتشابه رواية (م.غ) مع رواية المشاركة (ت.ح)، في حيثيات ما حدث معها، ومكان اعتقالها، وركزت في حديثها عن مدى الوحشية والإجرام التي تم التعامل فيها معها، ومع صديقتها (ن.ش) التي كانت ترافقها في ذلك الوقت، وعن كل ذلك تتحدث:

" اعتقلوني أنا وزميلتي "ن،ش"، من حاجز بيت عور، تقريباً الساعة 8 بالليل، وحققوا معي بشكل ميداني حتى الساعة 11، يعني التحقيق من الميدان، وما كان في محقق أو محامي، والتحقيق في الشارع، والي حققوا معي الضباط الي كانوا موجودين في الموقع، أول ما مسكوني ضربوني في عصاية كهرباء على رجلي، وفي ضابط مسك راسي وضربني بالخوذة الخاصة فيه، كانوا يطخوا علينا بشكل مباشر، وهي تصاوبت، ولما

سألت الضابط عنها قالي إنها ماتت، أنا عرفت بعدها إنو إصابتها كانت في كتفها، وما عرفت إنها لساتها عايشه إلا بعد ثلاث أيام لما شفت أهلي في المحكمة".

تبين رواية المشاركات والذي جاء اعتقالهن بناء على "تهم" وجهت لهن، وهن (ن.و) من قرية عنابة وتسكن في مخيم الجلزون تعرضت للاعتقال في 1986، (ب.ط) من مدينة البيرة وتعرضت للاعتقال ثلاث مرات، 2011، 2014،2018، (آ.ر) من قرية بيت ريما وتسكن في رام الله، تعرضت للاعتقال في العام 1991، و(ن.ع) من قرية المالحة سكان مدينة البيرة تعرضت للاعتقال في العام 2015، و(ف.ح) من قرية بيت لقيا تعرضت للاعتقال في العام 1991، و(م.غ) من العباسية وتسكن في مخيم الجلزون 2017، و(هـ.ن) من قرية دير قديس قضاء رام الله تعرضت للاعتقال في العام 2011، و(ت.ح) من قرية رمون قضاء رام الله تعرضت للاعتقال 2016، (ص.ك) من قرية صفا قضاء رام الله تعرضت للاعتقال في العام 2009. أن اعتقالهن جاء بناء على تهم متعلقة إما القيام بعملية طعن، أو محاولة الطعن، وحيازة سكين، أو حيازة قطعة السلاح، أو العمل في جمعية تعتبرها السلطات "الإسرائيلية" جمعيات غير قانونية في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية. بينت الروايات أن حديث المشاركات جاء بالتركيز بشكل كبير على حيثيات الحدث نفسه، بعضهن تطرق إلى التفاصيل، وبعضهن الآخر، تطرق إلى وصف حدث الاعتقال، والوحشية التي جرت فيه، والذي شكل بالنسبة لهن حدثاً صادماً، وبعضهن الآخر انتقل للحديث عن مرحلة التحقيق مباشرة، ولم يرغبن بالتطرق بالحديث عن "التهمة"، إلا أن المشترك بين هؤلاء المشاركات جميعاً أنه تم الحكم عليهن على خلفية قضية، وتم توجيه لائحة اتهام بحقهن، على إثرها تم الحكم عليهن بناء على قضية تراوحت أحكامها ما بين 20 عاماً، وعاماً واحداً.

من جانب آخر وفي السياق ذاته، هناك اعتقال من نوع آخر ظهر في رواية باقي المشاركات وهو "الاعتقال الإداري"، وتلجأ سلطات الاحتلال إليه كإجراءٍ "عقابي" ضد من لا تستطيع توجيه لوائح اتهام ضدهم، مستندة

بذلك إلى قانون الطوارئ التي ورثه الاحتلال عن الانتداب البريطاني، وهو اعتقال بلا تهمة أو محاكمة، تلجأ إليه مخابرات الاحتلال حين لا تتمكّن من جمع معطيات واضحة وبيّنات كافية لإدانة المعتقل بعد تقديم لائحة اتهام بحقّه، وحسب الأوامر العسكرية للاحتلال، الصّادرة عما يسمّى بـ"القائد العسكري للمنطقة"، يمكن تجديد أمر الاعتقال الإداري مرات غير محدودة، وتحدد فترة أمر الاعتقال الإداري لفترة أقصاها ستة شهور قابلة للتجديد، وفي العادة فإن يتم تجديدها لمرتين وثلاث وربما أكثر منذ لك، بحيث يقضي المعتقل مدة قد تمتد لسنوات تحت بند الاعتقال الإداري (مؤسسة الضمير 2016).

الاعتقال الإداري كما بينته الروايات هو ملف سري، حيث يتم اعتقال الشخص دون أن يتم توجيه أي تهمة محددة له، فلا يعرف المعتقل ولا المحامي ما هي "التهمة" الموجه للمعتقل، وهو بالتالي اعتقال تعسفي لأنه ينتهك حقوق المعتقل بمعرفة أبسط الأشياء وهي: لماذا تم اعتقاله، وثانياً لأنه في كثير من الحالات يتم تجديد هذا الاعتقال مرتين وثلاث وأربع وربما أكثر، وتتحدث (ب.ط) عن ماهية الاعتقال الإداري فتقول: "هو ملف سري طبعاً، لا يطلع عليه غير المخابرات، المحامي لا يطلع عليه، يكون عبارة عن تقارير ومعلومات سرية، طبعاً هو اعتقال تعسفي، لأنه لا يوجد أي تهمة موجهة للأسير، وهو اعتقال تعسفي، لأنه قابل للتجديد، الثلاث شهور، ممكن تصير ستة أو تسعة". أما (أ.ق) فتصف هذا الاعتقال: "أنا في هذا الملف لا أعرف ما هي التهمة الموجهة لي، ولا حتى المحامي، لا يوجد أي تهمة، والمحامي لا يستطيع يعمل أي شيء، غير الصفقات بين المحكمة والمحامي. أما المشاركات في الدراسة والتي تم الحكم عليهن إدارياً فهن المشاركات (أ.ق) من مدينة نابلس والتي أصدر بحقها حكماً إدارياً مدته ثلاثة شهور، قضته في معتقلي الهشارون والدامون، والمشاركة (ج.ق) من قرية شقبا وأصدر بحقها حكماً إدارياً مدته ثلاث شهور، والمشاركة (ك.ق) من مدينة البيرة وأصدر بحقها حكماً إدارياً مدته أربع شهور تم تجديده ثلاث مرات.

المشاركة (ج.ق) هي المشاركة الوحيدة التي جاء توقعها بناء على ما قاله له المحقق أثناء التحقيق، وتتحدث عن ذلك بالقول:

"كان عندي من قبل سنة ما يتم اعتقالي بوست على الفيس، وقتها كنت مآخذه هذا البوست من تويتر، وكان هذا دعاء أو ابتهال رباني، أو مناجاة، كان من بينها في سطر، "إذا رحلت إذكروني بجوامع الدعاء" من ضمن هذا الدعاء، هو بحكيلي هذا أكبر دليل إنك إنت بدك تعملي إشي، رديت عليه "إطلع على البوست من متى؟" صارلوا أكثر من سنة، بحكيلي إنت كنت ناوية، رديت عليه لا، هو صار يحكيلي إنت عاملة حالك مش فاهمة معنى البيت، أنا بدي أحكيلك، الفرش يعني التراب، يعني إنت ناوية تموتي، يعني صرت أحكي شو صرت أستاذ عربي، ولا إيش، ما تحلل على خطرك؟ صار يصرخ ويجيب لو جبتلك جاجة، وأعطيتك إياها وين بتضربيها، على أساس شوفي كيف هو بحاول يخدعني، على أساس لو صادفت مستوطن وحاولت أضربه وين أول إشي رايح أضربه، رديت عليه، أنا نملة ما بأذي، صار يضحك، شعرت إنو ما في أمل مني، رجع بحكيلي إنت في هذا اليوم كنت عاملة لايك لصورة أحمد م(هـ.ن)ة، صورتو لما كان يحكي مش متذكر، يمكن أنا بالصدفة حطيت لايك، يمكن مش معنية أحط لايك، بحكيلي إنت حاطه لايك لم(هـ.ن)ة يعني إنت بتأيديه".

إن هذا الفعل الاستعماري الذي يقوم على مبدأ التوقع فقط، والذي يعطى من خلاله النظام العسكري القانونية الكاملة للاعتقال والتحقيق، تبين رواية (ج.ق) أنه جاء حتى يكون درساً للآخرين من خلال تجربة (ج،ق)، فتقول عن ذلك: " قالي مدير السجن هاي قرصة ذان الك، وإنت محلك مش هان، وإحنا اعتقنالك عشان نربي فيكي جيلك". كما يظهر من خلال رواية (ك.ق)، كيف تم تجديد الحكم الإداري لها بدون أي سند قانوني لمدة ثلاث مرات، والكيفية التي تلقت من خلالها خبر التجديد، علماً أن اللحظات التي تتلقى فيها المعتقلة خبر تجديد اعتقالها، هي ذات اللحظات التي تهيئ فيها المعتقلة نفسها للإفراج والخروج من السجن، وتتحدث عن ذلك (ك.ق) فتقول:

"قضيت سنة كاملة إداري، ثلاث تجديدات، كان صعب علي كثير، أول تجديد كنت أتوقع التجديد، بس ثاني تجديد كان صعب، طبعاً الحمد لله رب العالمين أصير أقنع نفسي لو في خير كان ربنا طلعني من السجن،

وربنا رايد الخير في اعتقالي، وربنا لا يعمل شيء إلا لخير، ودائماً أقول لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وسعي أنا السنة، أحلام التميمي وسعها المؤبد، لو أنا فرضنا مثل أحلام ما بتحمل، أنا كنت أقارن حالي دائماً في المؤبدات، إنت تستحي تذكري حكمك أمام المؤبدات والأحكام العالية، تستحي تحكي إنك إداري، أو حكمك سنة، أو أربع شهور، بنات مثل الوردة، معظمهم عشر سنوات".

المشاركة (ك.ق) هي المشاركة الوحيدة في الدراسة التي تعرضت للتجديد الإداري بناء على حكم إداري صادر بحقها مدته أربع شهور، والتجديد يتم لمدة أقصاها ثلاث مرات، وهو ما حدث مع هذه المشاركة، ما يميز حديث هذه المشاركة أنها جاءت في روايتها على وصف المشاعر التي تختلج المعتقلة وهي تنتظر لحظات الإفراج، هي ذات اللحظات التي قد يأتي فيها الخبر الصاعق بالتجديد لها مرة أخرى، ولكن ما يحدث في هذه اللحظات أن الألم الفردي يذوب مع الألم الجماعي، أو ربما بالأحرى لا يمكن فصل الألم الفردي عن ذلك الأمل الجماعي، وكل ذلك مبني على فكرة أنك في المعتقل في هذا المكان المحصور كمعتقل فإن القادم هو المجهول، وفي هذا المجهول أنت تعيش مع أشخاص معدودين معروفين بالنسبة لك، والألم هناك بالنسبة لك ولهم هو عملية مشتركة واحدة، إنه الألم القائم على التشاركية في "الأرقام الضوئية"، المتعلقة بالسنوات داخل المعتقل.

تبين رواية المشاركات في البحث واللواتي قد تم التعامل معهن إدارياً قد تعرضن لنوع من الصدمة والمفاجأة، إذ أن يكن لديهن أي شكوك حول إمكانية اعتقالهن، تتحدث المشاركات الثلاث (أ.ق) و(ج.ق) و (ك.ق) عن الصدمة التي لحقت بهن من جراء هذا الاعتقال المفاجئ كالتالي:

المشاركة (أ.ق):

" أول إشي أنا لم أكن متوقعة الاعتقال، كانت بالنسبة لي صدمة، ما كنت عارف كيف بدي أتصرف، وكيف بدي أوصل الخبر لأهلي، لأنو أصلاً والدي كان في تلك الفترة معتقل، فكان الوضع جداً قاسي علي، ولم

يكن لدي أي مشاعر في تلك الفترة، كيف الواحد لما يتعرض لصدمة لا يعرف كيف يتصرف، كان في خوف وتردد وحيرة، وقلق من المجهول، حتى فترة الانتظار تجعل الواحد يعيش في إغتراب وحيرة وتوتر، بس أفكار سلبية في راسه، ما بعرف شو ممكن يصير معاه، هل سيستمر؟ هل سيتعرض للعزل الانفرادي؟ هل سيتعرض لتحقيق؟ يعني هناك نشاط ذهني فظيع في تلك اللحظة، وللأسف بشكل سلبي، وليس ممكن أن يفكر الشخص بشكل إيجابي وهو في هذا الظرف، فقط نشاط ذهني عالي باتجاه سلبي، ترقب المجهول وخوف".

المشاركة (ج.ق)

" صحيت بتعرفي ما كنت حاطه على راسي شال، حدا ضربني على خاصرتي، صحيت لقيت بوجهي مجندة وجها أسود، وشعرها مجعد، وناصحة كثير، وشكلها بخوف، إصحيت مفزوعة، بتحكيلي قومي، تفتيش، وقفتني على الحيط، طبعاً في هاي الفترة كانوا ماخذين تلفوني وجميع أغراضي الشخصية، وقفتني على الحيط، وبلشت تفتش فيّ، وأنا مصدومة، أهلي شفتهم مربطين في زاوية البيت، إمي وأبوي وأختي (شو كان شعورك في هاي اللحظة)؟ لحد الآن أنا مصدومة بسأل في المجندة في الي بصير، من حقي أعرف شو الي بصير، ما جاوبت، بلشت تضرب فيّ وهي تفتش فيّ، أكثر اشي كان مؤلم لما ضربت راسي بالحيط، بعدها بتحكيلي يلا، بحكيلها وين، طيب بدي ألبس على حالي، لابس نص كم، والدنيا برد، بالكثير خلتني آخذ بلوزة خفيفة، وما خلتني أحط شال على شعري، وأنا محجبة".

أهلي مصدومين، أبوي انصدم، أبوي بمشي على عكازات، صار يبكي، إمي قالتلي ما تخافي يما يا جوجو، المهم طلعوني، ما خلوني أقرب من أهلي، أو أودعهم".

المشاركة (ك.ق):

" كانت الساعة 2 بالليل، صار في طرق على الباب، وخبط بقوة، صحينا ولبست ملابس الصلاة، وراح جوزي يفتح الباب، دخولوا كميات كبيرة على البيت، احنا توقعنا إنو يكون تفتيش عادي، مش اعتقال، لأنو أنا ابني صغير، وجوزي ما إلو أي نشاط سياسي، بعدين لما شفت المجندات، عرفت إنو في إعتقال لمرأة، سمحلي أودع ولادي، بنتي قالتلي ديري بالك يا إمي، وما تخافي، أنا مكانك، قالي ضابط شايفة بنتك قوية ما تخافي".

تبين هذه الروايات بأن الاعتقال بالنسبة للمشاركات الثلاث جاء صادماً بسبب فكرة عدم توقع الاعتقال، إذ لم يكن بوارد أي منهن أن يكون هناك عملية اعتقال مستقبلية لهن، بسبب عدم وجود أي نشاط سياسي أو فصائلي،

أو القيام بأي عمل تعتبره السلطات "الاسرائيلية عمل "تخريبياً"، وهذه اشكالية كبيرة جاءت في الحديث عنها المشاركة (ن.ع)، وهي المشاركة التي تم الحكم عليها على خلفية قضية، إلا أن الاعتقال أيضاً شكل لها مفاجأة، لأن عملها داخل أراضي السلطة الوطنية في جمعية قطر الخيرية يحظي بالتراخيص القانونية المطلوبة، وعن هذه الصدمة، وكيفية التعامل معها تتحدث (ن.ع) بالقول:

"كان مفاجئ لي أن يتم اعتقالي على خلفية عملي بجمعية مسجلة لدى السلطة الوطنية الفلسطينية، ومسجلة بقرار من الرئيس، وكان هناك مذكرة تفاهم بين رئيس الجمعية في الدوحة وبين رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية سيادة الرئيس أبو مازن، ولم أكن أعلم عن أي شيء أنها محظورة بالنسبة لإسرائيل".

هنا كانت نصيحة (ن.ع) بأن كل فلسطيني يجب أن يتوقع عملية اعتقاله، فقط لأنه فلسطيني، وليس فقط لعمله السياسي أو الوطني فتقول: وأقول أن كل فلسطيني يجب أن يضع أول احتمال في حياته أنه سوف يتعرض للاعتقال، ولا أحد فلسطيني مرفع عن الاعتقال من طرف الإسرائيليين واعتبرت أن وجود الوعي مرتبط بشكل أساسي بوجود نشاط سياسي من عدمه فتقول:

"النساء التي لها نشاطها السياسي والوطني في فلسطين هي أيضاً غالباً تعرف أن هذا قد يقودها إلى هذا النشاط أن يتم اعتقالها، وبالتالي استعدادها للاعتقال مختلفة عن سيدة أو فتاة لا يوجد في بالها أن يتم اعتقالها، الاستعدادية والوعي بين الحالتين مختلفة تماماً، الأولى واعية تماماً ما الذي تقوم بعمله، والثانية غير مدركة".

إن دلالة ما عبرت عنه (ن.ع) نجده في رواية المشاركة (ج.ق)، فالمشاركة افتقدت لوعي حتى بما هو الاعتقال الإداري، وتتحدث عن ذلك بالقول:

"لما حكموني أنا ما كنت بعرف إيش هو الاعتقال الإداري، حكموني ثلاث أشهر إداري قابلة للتجديد، رجعت على السجن بحكولي الأسيرات شو حكموكي؟ قلتلهم حكموني ثلاث أشهر إداري، شهق الجميع، إداري، رديت ليش؟ شو في؟ إلا واحدة من الأسيرات قالتلي الإداري يعني مؤبد، أنا هان أغمى علي، وفقدت الوعي تقريباً

أسبوع، وضليت في المستشفى أو العيادة مش عارف ايش أسبوع، أنا مش عامل إشي، مش مستاهل الموضوع مؤبد، هاي الكلمة ذبحتني، لو انحكت في طريقة ثانية، وحكتلي نفس المعتقلة بدك تعرفي إنو الاعتقال الإداري إن صار وتطلعي رايحين يوقفوكي باب إدارة السجن، ويرجعوا يدخلوكي على السجن مرة ثانية".

وعلى الرغم مما تتعرض له المعتقلات من "تهم" لا أساس "قانوني" لها، إلا أن "معاقبة" المعتقلة بإصدار هذه الأحكام الإدارية عليه، له تأثير على المعتقلات، إذ أن المعتقلة تدخل بعدها في المجهول، لا تعرف اللحظة التي من الممكن أن تتوقع فيها الإفراج، وفي ذات الوقت هي تقع في معضلة تهيئة نفسها للإفراج في الوقت الذي تكون فيه هذه التهيئة بداية لقضاءها فترة أخرى داخل المعتقل، آخذين بعين الاعتبار أن تجربة المشاركة (ج.ق) من أصعب التجارب، ليس بسبب التحقيق، ولا ظروف المعتقل، بل بسبب انعدام الوعي لماهية الاعتقال الإداري.

محكمة ثلثي المدة:

"محكمة شليش" محكمة تعقد للمعتقلين الذين أمضوا ثلثي المدة من حكمهم، وذلك لغرض تخفيف الفترة المتبقية من الحكم، ويشترط هذا التخفيض في العادة بإبداء الندم.

تتحدث المشاركات (آ.ر) و(ف.ح) و(ص.ك) عن مطالبتهن في هذه المحكمة بإبداء الندم، لتخفيض حكمهن، فتقول (آ.ر): "قالوا إنت بتتندمي أو بتتأسفي عن الاشي الي صار؟ قلتلهم إذا معتبرين إني غلطانة، فأنا ما بندم على أي إشي صار، ما روحوني، رفضوا الشليش، مع العلم إنو جوزي وولادي كانوا بستنوا باب السجن، ولولاد عاملين أشياء الي بايديهم، ومزينين الدار على قاعدة إني مروحة معهم". أما (ف.ح): "روحت على المحكمة، القاضي بقولي قولي متأسف.. قولت: ليش أقول متأسف؟ أنا شو عملت." بينما تقول (ص.ك) والتي تم حكمها على خلفية قضية أن عدم إبداءها للندم كان سبباً بإضافة خمس سنوات الى حكمها البالغ خمسة عشر عاماً، فيما اعتبرت أن إبداء الندم هي محاولة لكسر

المعتقل بإظهاره بمظهر الإنسان الضعيف فتقول: "اعتقلت 2009/10/25، حكت بالسجن لمدة عشرين عاماً، أنا كان لازم آخذ حكم 15 سنة، بس لأني رفضت إبداء الندم للقاضي، يجب أن أتوسل، وإني أنا ضعيفة حكموني بخمس سنوات أخرى".

تبين هذه الروايات أن اشتراط إبداء الندم في مجمل الحالات، محاولة أخرى من محاولات أجهزة إدارة المعتقل، لجرّ المعتقلة للاعتراف، لأن فكرة إبداء الندم مرتبطة بفعل، فكيف يبدي المعتقل الندم على فعل لم يقم به، أو قام به على قناعة!!! ذلك ما يراود مخيلة المعتقلات مع إيمان المعتقلات بأن المحكمة هي فكرة مسرحية، لأن القرار ليس بيد المحكمة، بل تتدخل فيه بصورة أساسية أجهزة المخابرات.

"البوسطة" رحلة العذاب:

تظهر البوسطة بارتباطها بتنقلات المعتقلين، خصوصاً من وإلى المحكمة، وهي عبارة عن سيارة مقسمة من الداخل على كابينات صغيرة على حجم المعتقل، معتمة لا تتوفر فيها الإضاءة، رائحتها سيئة، يتعرض فيها المعتقل للضرب والشتم والصراخ، ويجلس فيها المعتقل على نفس الوضعية ساعات طويلة قد تمتد لأكثر من عشرين ساعة خلال الرحلة الواحدة، لذلك تعتبرها المعتقلات رحلة عذاب، أو رحلة موت.

المشاركة (هـ.ن) وصف البوسطة:

> "البوسطة بنعتبرها رحلة عذاب، كانوا يطلعونا على الساعه 2 في الليل، ما بتفرق معهم الجو بارد ولا شوب، كان يقعدونا على حديد، ونضل مكلبشين طول اليوم، وكنا نضل على هاي الوضعية ساعات طويلة، حتى إحنا كنا بنات وعنا ظروف خاصة، لم يتم مراعاة هذه الخصوصية".

وهنا جاء وصف المشاركة على المعاناة التي تلحق المعتقلة من جراء التنقل بداخلها، بوضعية الجلوس الطويل جداً، وظروف الطقس الحارة صيفاً الباردة شتاء.

(ن.ع) وصفت البوسطة:

"كان الوضع لا يوصف، شتم وسب، طبيعة البوسطة، من الداخل مقسمة كابينات، وكل كابينه يوجد عليها كرسي جلد، ومرات يكون حديد، عندما أدخلوني البوسطة كان الكرسي جلد، ومن الداخل معتم، وغير الباب الخارجي يوجد باب داخلي، لا يوجد شباك ولا نفس ولا إضاءة، وأنا داخل مكان مظلم أسود بأسود، لا يوجد هواء، ولا يوجد أي إضاءة، وكل ما كنت أصرخ أو أضرب على الباب، يصرخوا علي، ويعلوا صوت المسجل، لدرجة أنني أعتقد أنني في لحظات قد فقدت فيها الوعي، وكنت منهكة تماماً، أساساً في ذلك اليوم الذي تم اعتقالي فيه كان ثالث يوم الدورة الشهرية، وكنت متعبة جداً، وجميع ذلك على ملابسي، ومكلبش القدمين واليدين، ونظراتي وقعت، لم يقبلوا أن يعطوني ماء ولا محارم ولا أي شيء، ولم يكن هناك تجاوب".

نجد زاوية تركيز (ن.ع) على تقسيم "الكابينات" داخل البوسطة، الاضاءة، الكراسي، والسب والشتم من قبل الجنود الموجه لهن.

(ج.ق) وصف البوسطة:

" البوسطة لو تعيشي وتموتي، وتعيشي وتموتي مش رايحة تشوفي تعذيب مثل الي رايحة تشوفيه في البوسطة، بتهيأي قبر حديد وبمشي، وبتكوني أقل من متر في متر، على مقعد حديد، وقبالك شباك عليه بلاستيك، شوي بتشوفي الي قدام، خيال، فوق فيه فتحة صغيرة الي تفوت منو الهوا، شوفي لما تكون الدنيا برد، هم عشان يضغطوا على المعتقلة يوصل بشكل منتهي على التحقيق، كانت الادنيا برد، كان يشغل المكيف، تشعري إنك متجمدة، عدا عن هيك، بس تمشي البوسطة فجأة يضرب البريك، ويصير راس الأسير يضرب في الحدي، نزلت وكان راسي مطبش.

كانت ريحتها سيئة كثير، الريحة سيئة الي شوفتو في عيني إنو في البوسطة كان كلب، ويبول في البوسطة، عشان هيك بتصير الريحة جداً مؤسفة".

اعتبرت (ج.ق) أن تجربة البوسطة هي من أسوأ التجارب التي من الممكن أن تمر على الإنسان، فتقول من خلال وصفها للأوضاع المزرية داخل هذه البوسطة.

المشاركة (ت.ح):

"المكيف عكس الجو، لما يكون الجو برد، بشغلوا المكيف على البرد، ولما يكون الجو شوب، بشغلوا المكيف على الشوب، غرفة البوسطة، يكون فيها مدنيين يهود، أول إشي مسباتهم كلها من الآخر، مسبا سيئة، بضلوا يطبلوا، أنا على مستوى عرفوا اسمي، لأنو السجان كان ينادي علي، وبلشوا جميعهم يغنوا باسمي طول الطريق".

ركزت (ت.ح) على تعمد الجنود تعذيب المعتقلين من خلال التلاعب بالمكيف على عكس الجو، والشتائم من قبل المدنيين الجنائيين.

المشاركة (أ.ق) وصفت البوسطة:

" الجو الذي دخلت عليه في البوسطة كان مظلم، وأنا إصبعي ما كنت شايفه، وكانت الدنيا ليل، وكل شيء مظلم، كانت برد جداً جداً، المساحة ضيقة جداً، أنت تجلسين في وضعية ولكن الوضعية التي تجلسين فيها لا تستطيعين الحركة فيها، لأن المساحة بين الجدار وبين الحاجز الذي أمامك لا يتعدى الشبر، إنت في وضعية تبقين فيها لفترة طويلة، حتى تصلين إلى المكان الذي يريدونه، ولا يسمح لك باستخدام الحمام، ولا أي إشي، لو إنسان بموت في تلك اللحظة، لا يقومون بالفتح عليه، مستحيل يفتحوا عليه، في هاي اللحظات إنت دوختي، ارتميتي، مستحيل يفتحوا الباب.

ريحتها سيئة ونتنة لأبعد حدود، لا يوجد شعور يصف الريحة، ريحة مؤذية جداً، مجموعة من الروائح السيئة، موجودة في هذا المكان الضيق، والحديد الموجود فيه يكون أصلاً يعني متعب جداً".

ركزت (أ.ق) على وصف الظلمة داخل البوسطة، والحرمان من استخدام الحمام، والرائحة السيئة جداً.

المشاركة (ج.ق) في وصف البوسطة:

" في البوسطة، أنا عشت البوسطة في الصيف وفي الشتاء، وكنت أحكي البوسطة في الشتاء ثلاجة، وفي الصيف فرن، من أسوأ اللحظات التي ممكن أن يعيشها الأسير هي البوسطة، أول اشي هي غرفة حديد، في الشتاء بتكون ثلاجة، وفي الصيف بتكون نار، لأنها حديد، حتى الكلبشات لما كانوا يكونوا برد كثير، أحاول أحطّ الكلبشة فوق المعصم، ما كانوا يرضوا، كانت ترفع المعصم عن إيدي وتحط الكلبشات، ما بدهم اشي يساعدك، أو يبعد عنك الكلبشات، كانت ريحة الحديد رهيبة، سيئة جداً، ريحة حديد مع عرق، والمدة طويلة،

كان الو ريحة غريبة، البوسطة مش نظيفة، ممكن لما أدخل على البوسطة يكون حدا عامل على حالو على الأرض، أو مستفرغ، لأنو ما في حمام، تدخلي في هذا الجو في هاي الغرفة الصغيرة، مرة ركبت في البوسطة، في غرفة مسكرة، وكان قدامي واحد يهودي، صار يعمل حركات وسخة، وحركات في ايده وجهه يتحركش فيّ، ويأشر على رقبتو، بدي أقتلك.

في الصيف كانت البوسطة تكون نار، نار جداً، وريحة الحديد مع الشوب ريحة غريبة جداً، لحد الآن مش قادر أنسى ريحة الحديد الي كنت أشمه في البوسطة.

تكوني قاعدة في البوسطة، وكأنك قاعدة على صفيح من النار، تصير تنقزي من كثر ما تحتك نار، أو إذا طبّ راسك في الحديد تنقزي من كثر الشوب.

أنا دخلت البوسطة سبع مرات، لأنو كل محكمة كنت أروحلها مرة، محكمة استئناف، ومحكمة تثبيت، وهكذا، والمحكمة الأولى الي أعطوني فيها الإداري، سبع مرات دخلت البوسطة، نفس التجربة في الشتا نطلع الساعة 3 الصبح، يقعدونا في الهوا، أنا أكون مش قادر أحكي بالمرة من البرد من البرد الشديد، مرات يطلقوا الكلاب علي، يعني الكلب يكون حوليكي في البوسطة يشمشم فيكي، هم ماسكينو طبعاً، بس برضو في حالات كان يهجم الكلب على الاسير، شكلو مرعب لما يصير يطلع أصوات ويشمشم فيكي، رهيب الوضع كان".

ركزت (ج.ق) على وصف الجو السيء داخل البوسطة، حار صيفاً بالرد شتاء، خصوصاً أنها مصنوعة من حديد، الكلبشات والضغط على يدي ورجلي المعتقل، الرائحة السيئة داخل البوسطة.

تبين هذه الروايات مدى الأوضاع المأساوية للبوسطة، وهي الحافلة المخصصة لتنقلات هؤلاء المعتقلين بين "السجون"، ومن المعتقل إلى المحكمة، بحيث تصبح البوسطة وحدة أخرى من وحدات السجن المتعددة التي تسعى لإرهاق المعتقل وتعذيبه، فهي صممت بشكل يكفل ذلك وبجدارة، ولذلك فقد ظهر في رواية بعض المشاركات أنهن فضلن المكوث بالسجن، وحتى الإعدام على الركوب في البوسطة فتقول (ص.ك):

" قبل المحكمة الأخيرة، أنا قلت للمحامي أنا بدي يحكموني إعدام، ليش هاي الغلبة، ما بدي أدخل البوسطة، أنا بطلع من الساعه 3 الصبح تقريباً، ومرات بطلعوني 11 بالليل من دالية الكرمل، وبلف على السجون يجيبوا أسرى، لأوصل هشارون، ويجيبوا كمان أسيرات إذا في، بعدها بنروح على الرملة، بدي حمام بدي أشرب ميّ، بدي أصلي، في كثير احتياجات طول هاي الفترة".

وهو ما عبرت عنه أيضاً المشاركة (م.غ) عندما قالت:

"أنا كنت أكره المحكمة، لأنها بدها تركبني في البوسطة، كان معنا جنائيين يركبوا في البوسطة، إحنا أمنيين، يعني سياسيين، أنا صغيرة كان كثير صعب أن أتقبل الاشي، أن يتم وضعي مع حشاشين، وكانوا يسبوا علينا.مرة طلعت على المحكمة لحالي وكانت لحظات مرعبة، قعدوا كل المسجونين الجنائيين يحكوا هاي عربية، ويسبوا على سيدنا محمد، ويسبوا علي، صحيح إنهم سبوا علي، بس كان أهون علي من إنهم يسبوا على سيدنا محمد، تجمعوا كلهم، وصاروا يهزوا في البوسطة، يعني كان الاشي صعب، وكانو مكلبشين ايدي ورجلي، والبوسطة ريحتها سيئة، وكنا نقعد فيها عشرين ساعة، بس أفكر هسه بحكي يا الله كيف كنت صبورة، وكيف تحملت كل هذا الاشي".

إن الفكرة من البوسطة هي وضع المعتقلات بما يشابه القبر، ولكنه قبر متحرك، ومراقب، إنها عملية إيهام للمعتقلة بوجود رقابة مستمرة عليها، رقابة لكافة تحركاتها، وحاجتها لاستخدام الحمام، إن فكرة الرقابة مبنية للوصول إلى حالة من الانضباط الفردي، إنها عملية محاصرة للتفكير بادعاء أن التصرف هنا مراقب، بحيث تمتد الرقابة فيها لتصبح نوعاً من الرتابة الانضباطية المستمرة التي تفرضها المعتقلة على نفسها، عندما تخرج خارج حدود المعتقل، لأنها في هذه الحالة هي في العالم الخارجي الأرض والشجر والحياة والناس كلهم خارج هذا القبر المتحرك، ولكنها لا تستطيع أن ترى أو تسمع.

في رواية واحدة وهي رواية المشاركة (آ.ر) نرى أنها قد حاولت أن تتخذ من البوسطة رحلة تحدي على الرغم من سوء الظروف الموجودة فيها فتقول:

"البوسطة سيئة جداً، طبعاً إحنا بقعدونا في الصندوق من ورا، وبكون عند الباب شرطيين، البوسطة بجوز تستغربي كنت أحاول أعمل منو تحدي، واحدة من الأغاني الي كنت أحب أغنيها:

هي هي يا سجاني يا عتم الزنزانة

يا أم العسكر بيني وبينك لو طولتي بعلى جبينك

رضعتيني العزّ ويمّا الموت بهون وما تنهاني

أنا بغني فيها وبخبط في رجلي، وقفوا السيارة، وصاروا يحكوا، إخرسي، أسكتي، تتحركيش، تعمليش، شوف قديش بستفزهن الموضوع، كمان واحدة من البوسطات كانت معي (ف.ح) كانت تمثل دور المجنونة في داخل السجن، طول البوسطة وهي تصيح، يمّا، ولك وقف هي إمي بالطريق، ثلاث أربع مرات يوقفوا البوسطة بالطريق ويجوا بدهم يضربوها أو يعتدوا عليها، وأنا مضطرة أتصدى الهم".

إن فكرة الغناء مشابه لفكرة القراءة الجماعية، إنها فكرة إخراج الصوت الجماعي العالي، ولكن ما يميز الصوت هنا أنه يحتوي على معاني مضمرة لا يفهمها إلا المعتقلات أنفسهن، إنها المفاهيم المتعلقة بمعاني العز، والحق، والكرامة، إنها الحالة التي تجد فيها المعتقلات متعة لما قمن به خارج المعتقل، بحيث يصبح الغناء هو ذات فكرة التمرد والرفض على حالة المعتقل، والوجود في السجن من خلال الصوت، ولكنه ليس فقط الصوت العالي، بل الصوت العالي الذي تشترك فيه المعتقلات في نفس اللحظة، ذات الكلمات، وذات المعنى، وتختلجه ذات المشاعر والعواطف.

الفصل السادس

النضال الجديد بعد الخروج من الأسر– مرحلة ما بعد الاعتقال

تقديم:

يركز هذا القسم الضوء على النضال الجديد بعد الخروج من المعتقل من خلال أربعة أجزاء. في الجزء الأول تم تسليط الضوء على وداع أصدقاء المعتقل، ووصف المشاركات لهذه اللحظات الصعبة، وهي لحظات وداع أصدقاء "المعتقل"، إننا في هذا الجزء نتنقل بين مشاعر المعتقلة المنوي الإفراج عنها ومشاعر زميلاتها اللواتي سيبقين داخل المعتقل، هذا التنقل الذي سوف يضعنا في صورة هذه المشاعر المتضاربة.

في الجزء الثاني تم تسليط الضوء على طريق العودة إلى البيت، وكيفية تركز هاتين الروايتين على مدى الالتفاف حول المعتقلة بعد الإفراج عنها، والفرحة التي تعتري عائلتها وأصدقائها، استقبالهم لها، مشاركتها وأهلها هذه الفرحة. إنها اللحظات التي تتلاشى فيها كل الفوارق، ويلتف فيها الناس حول بعضهم البعض، إنها اللحظات الأكثر صدقاً في الرواية بأكملها.

في الجزء الثالث يسلط هذا القسم الضوء على إعادة الاندماج في الحياة الطبيعية، على اعتبار أنه الألوية القصوى للمشاركات، وماهية العقبات اللواتي يتعرضن لها، إن اعادة الاندماج في الحياة كانت أولوية بالنسبة لهن أما رواية المشاركات (أ.ق) و(ز.س) و (ت،ح)، فتظهر التنغيص على اندماج هؤلاء النساء في محيطهن ومجتمعهن، من خلال أساليب تعمد الاستخبارات على استخدامها بعد خروجهن من السجن "لإقلاقهن"، وتتمثل إما بالإقامة الجبرية، أو بعدم تسكير ملف المعتقلة، أو تعرض المعتقلة للرقابة بشكل مستمر.

الجزء الرابع من هذا القسم يسلط الضوء على موضوع المعتقلة بين الرقابة المحلية والرقابة الاستعمارية من خلال اتجاهين: الاتجاه الأول يسلط الضوء على آراء المشاركات حول نظرة المجتمع لتجربة اعتقال المرأة، والاتجاه الآخر يركز على الكيفية التي تعمل بها أدوات الرقابة الاستعمارية على بناء واستغلال الرقابة المحلية لصالحها من خلال سياساتها المتمثلة بإصدار ما يعرف "تصاريح العمل في إسرائيل"، فتحل عيون المحيط بشكل واعي أو لا واعي مكان عيون المستعمر في رقابة المعتقلة.

القسم الأول: لحظات الإفراج

في وداع أصدقاء المعتقل:

تعتبر لحظة الإفراج عن المعتقلة وعودتها إلى البيت هي اللحظة المنتظرة، وعلى الرغم من السعادة والشوق والانتظار التي تحملها هذه اللحظات، إلا أن هناك جانب آخر لهذه اللحظات سلطت الضوء عليها بعض المشاركات، وهي لحظات توديع زميلات المعتقل، ونظرة الحزن في أعينهن تجاه المعتقلة، لوداعها من جانب، وتمنياتهن لو كنَّ مكانها من ناحية أخرى.

وصفت مجموعة من المشاركات لحظات الخروج من بأنها اللحظات الصعبة، إنها الفكرة التي تعيش المعتقلات على أمل الوصول اليها، في الساعات الأخيرة قبل الخروج هناك تساؤل من قبل المعتقلة التي سيفرج عنها، يتمحور حول أن هؤلاء الأسيرات لي ذكريات معهن، وألم، والعلاقات التي تبنى في حالة الألم أمتن وأقوى من العلاقات التي تبنى في حالتها الطبيعية، إنها الحالة التي تتساءل فيها المعتقلة عن حاجتها لهؤلاء، ولكنها لا تستطيع أخذهم إلى الخارج، كل ما تفعله أنها تسكنهم بداخلها، وكأن هذه التجربة التي عاشتها المعتقلة لا يفهمها إلا هؤلاء، ويتعزز ذلك عند خروجها وهو بالضرورة قد لا يكون أقل وطأة من المعتقل، لأن المعتقل هو

بيئة محصورة، أشخاص وأحداث متوقعة مع هؤلاء، ولكن الخروج يعني الخروج لبيئة مفتوحة، لمجتمع مفتوح لا تعرف ماذا سيحدث معك؟

عن هذه اللحظات وهذه المشاعر تتحدث المشاركات في الدراسة.

المشاركة (ك.ق):

"طبعاً طول الليل ما حاولت أظهر أي شعور بالفرحة، أو أنفعل، بسبب البنات الموجودين معي، كنت نفسي والله إنو في اللحظة هاي أختفي، ولا الصبح أشوف حدا، ولا حدا يشوفني، كل البنات بنبسطوا إنك طالعه من السجن، وإحنا انبسطنا لغيرنا، كانت لما تطلع واحدة الكل ينبسط، بس لما تطلع يتحول السجن إلى اكتئاب في الغرفة والقسم، كل واحدة من الأسيرات بتتمنى حالها في هاي اللحظة.. هاي الليلة ما نمت ولا لحظة، أحلام التميمي بتقولي بكره بتطلعي، بكره عند ولادك وجوزك، كل القسم كان يعيط".

المشاركة (أ.ق):

"أصعب اشي إنو إنت لما تطلعي من باب غرفة السجن، ويكون الاسيرات جوا، وإنت تطلعي، ويتم إغلاق الباب على الأسيرات، بالرغم من قديش تكوني مبسوطة، ولكن في نفس الوقت هناك حسرة، الوضع بكون كثير كثير صعب، الحرية أغلى شيء يملكه في حياته، ولما إنت توخذي حريتك، لكن في نفس الوقت بتشوفي ناس لسه حريتها مقيدة، هنا يصبح عندك انفصام، بمعنى الحرية ايش هي؟ هل أنت حرة الآن؟ لأنو لسه في ناس في السجن، ومستحيل إحنا نكون أحرار ما دام هناك أسرى... إنت مبسوطة ما بين إنك إنت بدك تطلعي، ومش مبسوطة لأنو في صراع داخلك، وألم إنت مش قادرة تعبري عنو".

المشاركة (ت.ح):" روحت على كل البنات من ورا الباب، نحكي مع بعض، ما تنسينا واتصلي، حملوني رسائل كثير لأهلهم".

المشاركة (ص.ك):

"ورود كان لازم تروح، لأنو معها شليش، الي هو خصم من فترة الحكم، وهي أصلاً معها جنسية إسرائيلية، وهي بتقدر توخذ شليش، لما أحكوا الي، بقولوا (ص.ك) إفراج، بقول أنا يمكن (ص،ت)، لأنو الأسماء قريبة على بعض، وهم ما بعرفوا يلفظوا منيح، بقولهم، آه (ص،ت)، بقولي (ص.ك) ، يا الله هذاك الموقف، واحنا طالعين، بتيجي (ص،ت)، بتحضنا، وبتصير تحكي، يا الله خذوني معكم، مشان الله روحوني، شو بدكم تحكوا لامي (ص،ت)، ضلت لحالها في السجن، لحالها في الدامون، بعدها نقلوها على سجن ثاني، عند البنات الثانيات، جمعوهم في نفس السجن، وهي تصرخ، طلعنا بعيد وإحنا سامعين صوتها من الزنزانة، وتنادي (د،ر)، (ص،ك)، (ل،ن)، صراحة كان موقف صعب، هي هسه روحت اسمها البنت "و،ت"، أهلها فكروا إنها بدها تطلع، شروا الها سيارة، وجابوا الها غرفة نوم، وزينوا الحارة، ضلت في السجن، أنا لليوم بحكي عن الموقف، وفي حسرة في قلبي، لما أروح على مشوار، وبروح جبل، بصير أقول يا الله (ج،ك) لو يشوف الي الي أنا بشوفو هسه، لو البنات يشوفوا الاشي هذا، أشوف بيبي، أقول يا الله لو يشوفوا البيبي، أروح على عرس نفس الاشي، صرت ما بحب أروح على أماكن عشان هذا الاشي".

المشاركة (ن.ع): "البنات الموجودين انبسطوا أكثر مني، أنا مصدوم، البنات الي بتوبسني، وبتحملني، هم كانوا مبسوطين أكثر مني، رجعت جهزت حالي، واستنيت في إدارة السجن للتواقيع وأعطوني أمانات".

المشاركة (م.غ):

" لحظة بلحظة، بدي أروح، بدي أرجع لحياتي، بدي أرجع للمدرسة، بدي أشوف المخيم الشارع، كل اشي، حتى صاحب الدكان كنت مشتاقة الو، كنت مشتاقة لليل، الفورة ما كانت بالليل، كان نفسي أشوف المطر، وريحة الهواء النقي، ريحة السجن بشعة، أشوف السما، أشعر بالحرية، أمشي أنا مش مكلبشة، أركض في الشارع، كنت مستنية اللحظة الي أروح فيها وينزلولني من الباص، ويفكوا ايدي

ورجلي، وأروح عند إمي... صاحباتي بعتوا معي رسائل لأهاليهم، ملك سلمان، قالتلي بس تشوفي إمي احضنيها، وبوسيها عني، كنت أنا وملك صاحبات كثير، كانت تضل تعيط لما قربت أروح، إحنا مش زي الصاحبات الي بره، احنا لأنا كنا مع بعض وبين احتلال، كانت علاقتنا كثير قوية، والاسيرات الكبار كانوا مثل أمهات النا، لما إجيت أطلع كنت أتمنى إني أقدر آخذهم معي، وأحطهم في كيس وشنطة وآخذهم".

تبين هذه الروايات هذه المشاعر المختلجة بين الفرحة بتحرير كمعتقلة، وبين التمني لو كانت هذه اللحظة، هي لحظة كل معتقلة، لحظة الخروج، وملاقاة الأبناء والأهل، لذلك فإن هذه اللحظات من أصعب اللحظات التي تمر على المعتقلات، إنها تذكير لهن بذلك العالم الخارجي، بما فيه من أحبة، وحرية لهن، وكانت هذه المواقف فرصة تُحمل فيها المعتقلات رسائلهن لأهاليهم، وسلامهن لهم، بحيث تصبح المعتقلة بعد خروجها مصدراً أساسياً يتعرف من خلاله الأهل على كيفية حياة بناتهن داخل المعتقل، والرسائل التي حملتها المعتقلة لهؤلاء الأهل، إنها لحظات مؤثرة، كان البكاء والشعور بالحزن مرافقاً للمعتقلات أثناء الحديث عنها، كيف لا، وهي تفتح إشكاليات كثيرة حول ماهية الحرية، في ظل وجود معتقلات أُخريات، لذلك تصبح فيها هذه العلاقات هي علاقات متينة تستمر بين المعتقلات بعد الخروج من المعتقل، بحيث تصبح الركيزة الأساسية لهذه العلاقات هي الظروف التي جاءت فيها، فالمعاناة هذه لا يفهمها إلا من عايشها، إنها التجربة المحبوسة في الداخل، بحيث يصبح إخراجها مرهوناً في كثير من الحالات بوجود أشخاص يحملون ذات التجربة في داخلهم.

أما المشاركة (آ.ر) فتحدثت عن الإشكالية التي سببتها المفاوضات في ملف الأسرى تحت العنوان الذي أصبح دارجاً حينها "تبييض السجون"، ويبدو ظاهرياً أن السياسات الاستعمارية هنا تهدف إلى التنغيص على الأسرى، حتى في أكثر اللحظات انتظاراً، وهذا يظهر في رواية (آ.ر) عندما أخذت المعتقلات قراراً بعدم إظهار أي من معالم الفرح بالإفراج، فتقول (آ.ر):

"لما صاروا يبلغونا بالافراجات، ثلاث اربع بنات بس بدهم يروحوا بناء على الاتفاق، أنا لما قالولي بدك تروحي، والبنت الي رسمتلي ما بدها تروح، أنا ظايلي شهر أو أقل، البنت إلي ما بدها تروح محكومة مؤبد و17 سنة، طيب مين أولى بالترويحة أو الإفراج، البنت الي محكومة مؤبد و 17 سنة، ولا أنا إلي ضايلي شهر وبروح، هذا كان مؤلم جداً للأسيرات... إحنا كمعارضة كان عنا قناعة إنو المفاوضات مش رايحة تؤدي إلى حل، الأخوات في فتح، لا وثقوا في المفاوضات، وفكروا إنو رايحين يبيضوا السجون، والكل رايح يروح، وهي بحيكها بألم، لأنو الكل تفاءل إنهم بدهم يروحوا، وبالتالي مقولة الأسرة البرج على الباب، يعني متى بقلولنا روحوا، بنرمي هالبرج، وبنضل طالعين، وهان كانت الصدمة، الطامة... أخذنا موقف الأسيرات الي روحن لا حفل استقبال، لا تكريم، إلا ليروحوا زميلاتنا بداخل السجن، يعني حتى رحلة الإفراج كانت رحلة عذاب لكل الأسيرات الي روحوا، في أشبال طلعوا معنا في الباص، كان واحد صار مخلص حكمه إلو أسبوع، وما طلعوه عشان يحسبوه عدد على المفرج عنهم... إحنا نحاول نواسيهم، وهم يدفشوا فينا، روحوا، انبسطوا، عيشوا، إحنا بنلحق.. طبعاً ما بعد السجن الأسيرات خاضوا إضراب، وأعلنوا فيه إنو يا بنروح جثامين، أو بنروح مفرج عنا، أو بنموت في الغرف، وكان هذا في العام 1994، وسكروا الأبواب، ورفضوا يطلعوا فورة، ورفضوا يستلمو الوجبات لمدة 14 يوم استمر هذا الإضراب، في هذا الإضراب أنا ضامنت معهم، وخضت الإضراب في الصليب الأحمر بالقدس، وبذكر رسالة فك إضرابهم كان مؤلم جداً، طبعاً كان هناك ضغوطات من القيادة السياسية على الأسيرات بفك الإضراب، وسنعمل على إخراجكم، ختموا الرسالة، بحسبي الله ونعم الوكيل فيكم، فكانت مؤلمة طريقة فك الإضراب، بالنتيجة هم نفس الطواقم والبنات أفرج عنهم بالكامل، بما فيه المؤبدات".

أما المشاركة (ب.ط) والتي أفرج عنها في صفقة شاليط فتتشابه روايتها مع رواية (آ.ر) في الكيفية التي يسعى من خلالها السجان للتنغيص على المعتقلة، فتقول:

"بعد فترة إلا هم بحكوا عن صفقة، وقالولنا كل البنات مروحات، بعدين قالوا 27 أسيرة مروحات، طيب إحنا 36 أسيرة، معناه في خلل، أنا مباشرة تهيأت أنا مش مروحة، أكيد الي الهم زمان هم الي مروحين، المؤبدات الأحكام العالية، كانت (أ،ت)، قالتلي لا (ب.ط)، إن شاء الله كلنا بنروح، قلتلها أنا مش زعلانة، أنا سنة سنيتن، إنتو الأحكام العالية والمؤبدات، والله بالفعل إحساسي في محلو، لما أجت الترويحة ما كان اسمي، أجى الوفد المصري وقالنا إحنا رايحين نشتغل عليكم الدفعة الثانية، بالفعل أنا طلعت بالدفعة الثانية... أجى وصار يخاطبني المحقق إنتي حماس تركتك وضحكت عليكي، قولتلوا لا بالعكس حماس طلعت الأحكام العالية والمؤبدات والبنات والأمهات، أنا ما عندي مشكلة، هو انجن، خبط باب "الأشناف" الي هو شباك باب الزنزانة الصغير".

تبين رواية المشاركتين سياسية إدارة المعتقل في عقاب المعتقلات في هذه اللحظات، من خلال استهداف شعور الفرحة، ولكن عندما تريد أن تبرر ذلك، فما تفعله أنها تربط هذه الإشكالية بحركة البوسطة أثناء اليوم، فمن المعلوم أن كل "سجن" له منطقة أو منطقتين تسليم محددين، ومن المفروض أن يتم تزويد الأهل بالمكان المحدد، ولكن ما يتم إعطاءه للأهل هو احتمالين لمكان التسليم، رابطين ذلك بوقت خروج البوسطة، إنها من الوسائل العقابية التي يراد استكمالها على المعتقلة بعد مغادرة أسوار المعتقل، وكأن عملية الاستهداف لها مستمرة، ولن تتوقف، ربما حتى إعادتها إلى المعتقل مرة أخرى.

الطريق إلى البيت:

العودة إلى البيت تمثل في رواية المعتقلات الحدث المفرح الأكبر في الرواية بأكملها للمعتقلة ولأهلها، المفرح لأنها الزمن الحقيقي لساعات الانتظار للحرية، عن هذا الحدث تركز المشاركات بالحديث:

المشاركة (أ.ق):

"لحظات صعبة جداً، ثلاث أشهر أهلي مش حاكي معهم، ولا سامع صوتهم، كانت لحظات صعبة، تشوف الناس كلهم حوليكي، لما روحت لقيت الناس بتستنى فيّ، كل صاحباتي، كل الناس الي أنا بحبهم، الصراحة ما كنت متخيلة، ولكن تفاجأت بالعدد الهائل من الناس والأصدقاء، والجميع ينتظر، وحابين يسمعوا شو صار، فترة الغياب مش سهلة، باعتبار أنا كنت في الجامعة، وكان الي علاقات كثيرة في الجامعة، وظهرت محبة الناس الي بعد هاي التجربة بالتحديد، شفت قديش بحبوني".

المشاركة (ك.ق):

" إنت في هاي اللحظة مثل الي طالع من العملية، وفي مرحلة ما بين البنج، والصحيان، أو الوعي، بين إنت مبنجة، وبين إنك بلشتي تصحي، الوجع إلي كنت لساتك فيه، وبين إنك إنت هسه بدأتي تصحي.

مجرد ما وصلت عن أهلي ودخلت بينهم، خلص مشاعري تغيرت، مشاعر الفرحة.

أول إشي سلمت على معاذ، ركض علي، وبعدها خالي الله يرحمه سلم علي، كل أهلي لقيتهم بستنوا فيّ من الساعة 10 الصبح، وصلت على الساعه 3 تقريباً، وكانت الدنيا رمضان وهم بستنوا في الشارع على معبر جبارة.

النا أقارب في نابلس وطولكرم كانوا موجودين، صرت أسلم إشي عرفته، إشي ما عرفته، إشي سلمت عليه، إشي ما سلمت عليه، إشي وعيت، إشي ما وعيت، والكل يقول الي إحنا بدنا نورجيكي متنا من الشوب والعطش عشان رمضان.

وصلت على البيت كان قبل الآذان بعشر دقائق، كانوا أهلي عاملين فطور للجميع، نزلت عند دار أهلي، لأنها كانت منطقة أكبر، فكانوا حوالي 300 شخص بستنوا فيّن صاحباتي، ومعارفنا، وبدأوا ألعاب نارية".

تركز هاتين الروايتين على مدى الالتفاف حول المعتقلة بعد الإفراج عنها، والفرحة التي تعتري عائلتها وأصدقائها، استقبالهم لها، مشاركتها وأهلها هذه الفرحة. إن الجميل في هذه الروايات أن الفرحة بخروج المعتقلة لا تقتصر على معارفها وأهلها، الجميل فيها أن كل فلسطيني يفرح للمعتقلة في هذه اللحظات، لذلك نجد أن المعتقلة التي تخرج من المعتقل، الكل يسلم عليها، ويحمد الله على سلامتها، على الحاجز، في السيارة، من

العامل، في الشارع، كل شخص في كل زاوية يترافق وجوده مع خروج المعتقلة يبدأ بحمد الله على سلامتها وتهنأتها بها، إنها اللحظات التي تتلاشى فيها كل الفوارق، ويلتف فيها الناس حول بعضهم البعض.

هذا الالتفاف حول المعتقلة نجده فيما حدث مع المشاركة (ج.ق) عند خروجها من المعتقل في الوقت الذي لم يكن لدى أهلها علم بموعد الإفراج عنها، ومع المشاركة (ن.ع) عندما تم اعلامها بتسليمها على حاجز سالم، وتم تسليمها على حاجز آخر.

تتحدث (ج.ق) عن ذلك بالقول:

"مرة واحدة بتفتح السجانة، طبعاً أنا كنت عند باب الغرفة، كان الوقت قريب العصر، إجت السجانة بتحكي (ج،ق)، إفراج، هان لحد الآن مش متخيل إني رايح أطلع، كان عندي خوف مثل ما حكت البنت إنهم طلعوني ويردوا يرجعوني، الحمد لله طلعت.

وصلت الحاجز، كان في مجموعة شباب، حكيت لواحد فيهم، أخوي لو سمحت ممكن أستخدم تلفونك بدي أتواصل مع أهلي إني أنا طالعة من السجن، وأهلي ما بعرفوا، رنيت لأبوي، التلفون وهو يرن صرت أفكر كيف بدي أبلش في المكالمة، أحكيلو عن الاشي الي صار معي، أحكيلو إني طلعت، ألف شغلة في راسي، ردّ على التلفون بابا حكتلو إنو أنا اطلعت، من الفرحة صار يعيط ورمى التلفون، وردّ علي حدا ثاني وقالي وين إنت؟

بعدها أخذوني هذول الشباب على دار ناس ما بعرفهم، لحد ما يوصلوا أهلي (كيف تعاملوا معك؟) كانت حجة وابنها، وكناينها، كنت متحممة، كنتها نشفتلي شعري، وحكتلي نامي لحد ما يوصلوا أهلك، أنا نمت لحد ما وصلوا أهلي.

لما شفت أهلي الوضع لا يوصف، اشي صار يبكي، اشي صار يحكي روحت جوري، كاين نصف طلاب دفعتي جايين على الاستقبال، وإمي عملت على السريع عشاء ومناسف، لحد الآن متخربشة،

شبه ناس بعرفهم، ناس نسيتهم، حدا مجوز، حدا حامل، شعرت إنهم مش ثلاث شهور، شعرت إنهم ثلاث سنين".

أما المشاركة (ن.ع) فتتحدث عن اللعبة التي حاول الاحتلال التنغيص من خلالها على المعتقلة وأهلها، من خلال تبليغ الأهل بتسليم المعتقلة على حاجز محدد لانتظارها هناك، ثم تسليمها على حاجز آخر:

"كان من المفروض أن يتم تسليمي على معبر سالم، هذا ما أبلغوه لأهلي، قبل ما أخرج من السجن سألت قالولي سالم، الجلمة، أنا شعرت مش متأكدين أين سيتم تسليمي، وهذه لعبة دائماً يلعبها الجيش، بكونوا لازم يسلموكي على سالم، بسلموكي على الجلمة حتى لا تلتقي بأهلك مباشرة، ومنغصات إضافية، كان يجب أن يسلموني على حاجز سالم، أرسلوني إلى حاجز آخر، طلع الحاجز مغلق، ولا يوجد أحد هناك، أنا بقيت داخل سيارة البوسطة، ولا أعرف ماذا أنتظر، طلع هم بستنوا تيجي قوة جيش عسكري، يستلموني يمرقوني ثلاث متر المعبر، الثلاث متر المعبر لا تمر من خلالهم البوسطة، يجب أن يأتي الجيش ليقطعني هذه المسافة، ومشيتهم حاملة أغراضي، والجيب ضاوي الضو وماشي وراي، لعند ما قطعت، كانت منطقة مقطوعة جداً جداً، بس الحمد لله يمكن الواحد ربنا بيسر الأمور، للصدفة وجدت هناك شاب كان بشتغل في حيفا وبدو يروح على الخليل، أنا طالعه عندي الحس الأمني عالي، سألته كم سؤال، طلبت أحكي منو تلفون أبلغ أهلي وين أنا موجودة، صدفة بمرق تكسي، التكسي بحكي أنا ما بمرق هاي الطريق أساساً، للصدفة ما في غيرو، على طول طلعنا معاه أنا والشاب، رنيت تلفون لأهلي قولتلهم خليكم مكان ما انتو، استنوني على دوار جنين، أنا جاي عندكم، أنا التقيت مع أهلي في نص مركز مدينة جنين، أول حدا التقيت فيه هو عمي، وسلمت عليه، وأهلي وأخوتي وأنا صرنا بنص الشارع، وفجأة لا كيف ولا ليش ولا مخطط له، وجدت ألعاب نارية والناس تزغرد، وناس بتسلم علي ما بعرفها، وناس بتقولي تعالي بدك تنامي عنا، في هاي اللحظة شعرت أني أول اشي نفسي ألمسه هو التراب، نزلت على الأرض وسجدت، ومسكت الأرض، أحد الأصدقاء الذين جاؤوا مع أهلي عمل حادث في طريقي، وأنا من هناك طلعت على مديرية الشرطة أطمن على صديقي، بعد هيك روحت

على البيت وجدت كثير ناس بتستنى في، الناس بتعرف اني أنا طالعه يوم الجمعة، ما توقعوا انو يوصل متأخر الفاكس، وأن أخرج من السجن بنفس الليلة، كل الناس الي عرفت اني راح أوصل لاقيتهم بستنوا في، وصلت الساعه 12 بالليل تقريباً، والبيت قالب فرح، والكل بسلم علي، اشي بعرفوا واشي ما بعرفوا.

يمكن في أول ثلاث أيام كنت مسلم على ثلاثة آلاف شخص، كثير منهم ما بعرفهم، بس بعرفوا انو (ن،ع) تم اعتقالها، بعرفوا اسم وقصة (ن،ع)، وأجوا يضامنوا مع أهلي، ويساندوا ويحكوا مع أهلي، ويبعتولي رسائل".

إن هاتين الروايتين تضعنا أمام مشهد متكامل، من لحظات الفرح، ومن محاولة التنغيص عليها، إنها لحظات مؤثرة، تأثرت بها المشاركتين كثيراً وقت الحديث عنها، فبدا أنهما الآن يعيدان هذا المشهد أمامهما بكل تفاصيله، وما رافق هذه التفاصيل، إنها فرحة الناس، وسلام الناس على المعتقلة، إنها مشاعر راسخة في الذاكرة الجمعية الفلسطينية، مشاعر متعلقة بالتقدير والاحترام والتهنئة للمعتقلة، إنها اللحظات الصادقة.

إعادة الاندماج في الحياة:

تركز رواية المشاركات في البحث على أن إعادة الاندماج في الحياة كانت الأولوية بالنسبة لهن، وتتحدث (ن.ع) كيف أنها كانت بانتظار هذه اللحظات بلهفة عندما تقول في روايتها: "أنا إنسانة ما بعرف أقعد، أكثر ما أزعجني في السجن، إني ما بشتغل، فش شغل، أول ما طلعت كل حدا يجي يسلم علي أطلب منو إني بدي شغل، ببعتلك ايميل"، هنا تظهر حيوية وتلهف المشاركة إلى العودة إلى حياتها الطبيعية قبل تجربة المعتقل، إلى عملها، إنه إقبال على الحياة، وهذا شيء مهم، يعني تجاوز الألم النفسي والجسدي من جراء هذه التجربة التي تعرضت لها المشاركة.

المشاركة (ف.ح) حاولت أن تتعلم مهنة تساعدها على إعالة نفسها وقضاء وقتها، رغم رفض والدها لذلك، خوفاً عليها من تعرضها للاعتقال مرة أخرى فتقول:

"بعد فترة من خروجي من السجن، سنة تقريباً، روحت على تأهيل الأسرى، بدي أتعلم مهنة، أبوي ما قبل، ولا خلاني أشتغل، ولا خلاني أطلع من الدار، أبوي كان يخاف كثير، أجوا البنات من اتحاد لجان المرأة وتأهيل الأسرى وأقنعوا أبوي أطلع أتعلم تجميل، تعلمت واشتغلت في رام الله، وهلكيت بشتغل في البلد".

تبين هذه التجربة مدى الالتفاف حول المعتقلة ولكن من الملاحظ أن هذا جاء ضمن فترة زمنية سابقة بمعنى في العام 1995، ولم تأتي باقي المشاركات عن مثل هذا الالتفاف من قبل هذه المنظمات منذ العام المذكور حتى يومنا هذا.

المشاركة (هـ.ن) قررت استكمال تعليمها الجامعي، والمضي بموهبتها في كتابة النصوص الشعرية، وعبرت عن خوفها من إعادة اعتقالها مرة أخرى، فتقول:

"صار تفكيري في العلم، خلص تعلقت في تخصصي، وأنا الي موقع على تويتر بنزل نصوص نثرية وخواطر، وكتبت نصوص نشرولي اياهن سراج الأحرار، حالياً بساعد فرقة اسمها فرقة الضياء في طولكرم، بكتب الهم أناشيد... لما رجعوا كمان مرة فتشوا بيتنا كثير خفت، أنا صرلي ثلاث سنوات طالعه من السجن، استقريت بحياتي، اتخرجت هسه بكمل ماجستير، بشتغل، خلص ما بعرف صرت أنظر للحياة نظرات غير، مثلاً ليش ما أنمي نفسي من ناحية ثانية، مش بس الواحد يروح على السجن، خلص استقريت، فكرة اني أرجع للسجن فكرة مش مستوعبها، خفت كثير هاي المرة".

تبين هذه الرواية أن المشاركة حاولت تجاوز هذه التجربة على الرغم من صعوبتها، وحاولت أن تخلق لنفسها حيزاً آخر، بعيداً عن أي عمل من الممكن أن يعيدها لتكرار تجربة المعتقل مرة أخرى.

تظهر رواية (ج.ق) صعوبة إعادة التحاقها بالدراسة بعد خروجها من السجن، بسبب ما تعرضت له داخل السجن وانعكاس ذلك على نفسيتها فتقول: "تغلبت صراحة، لأتقبل فكرة إني أدرس، لا مش مباشرة رجعت، كانت نفسيتي تعبانة، سحبت فصل، صحيح أنا طلعت من السجن، بس السجن كان بداخلي"، هنا يظهر مدى انعكاس صدمة هذه التجربة وحيثياتها على المشاركة، لأن المعتقل لم يكن تجربة خارجية، بل تجربة تجاوزت ذلك وباتت تسكن في داخل جسدها.

أما رواية المشاركات (أ.ق) و (ز.س) و(ت.ح)، فتظهر التنغيص على اندماج هؤلاء النساء في محيطهن ومجتمعهن، فتظهر روايتهن أساليب تعمد الاستخبارات على استخدامها بعد خروجهن من السجن "لإقلاقهن"، وتتمثل إما بالإقامة الجبرية، أو بعدم تسكير ملف المعتقلة، أو تعرض المعتقلة للرقابة بشكل مستمر، فتظهر رواية (أ.ق) تعرضها للإقامة الجبرية لمدة ست شهور، وكيفية تأثرها بذلك فتقول:

> " تعرضت للإقامة الجبرية في مدينة نابلس، إنو أنا خلال ست شهور، تم إبعادي عن الجامعة ومنطقة رام الله، فلم أكمل الفصل الثاني، تأخرت سنة عن التخرج، حتى استطعت الالتحاق بالجامعة والانتهاء من المتطلبات المفروضة علي، بالنسبة لي كانت هاي الفترة أصعب من فترة السجن، كنت أنا متعلقة بالجامعة، وفي بيرزيت، وكل حياتي الاجتماعية هناك، وأنا كنت عايشة في سكن جامعي، ووجدت نفسي معزولة عن كل اشي، غير هيك لا يوجد أي شيء أقوم بعمله، لا يوجد دراسة، ولا يوجد عمل، فكانت جداً صعبة علي، حاولت أستغلها في شيء مفيد، قراءة، حتى وجودي بين الأهل مساعدة، ولكن إنجاز كبير كبير ما أنجزت، ولكن أنشطة بسيطة، كنت أريد أن تمر هذه الفترة بسرعة، وأعود إلى الجامعة".

أما المشاركة (ن.و) فتعرضت أيضاً للإقامة الجبرية، الأمر الذي انعكس عليها بشكل سلبي، إذ كان الخيار الذي لجأت اليه العائلة هو تزويجها فتقول:

كان هناك تهديد من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي بفرض إقامة جبرية علي، أبوي قالي ما دام في إقامة جبرية، خلص لازم تختاري طريق الزواج، تزوجت وأبعدت فترة عن العمل الوطني ممكن أكثر من ثلاث أربع سنين، بس لما شفت الانتفاضة الأولى ما قدرت أظل قاعد، رجعت بس بطريقة سياسية مش بطريقة عسكرية، "

تبين هاتين الروايتين أن الإقامة الجبرية التي فرضت عليهن كان لها تبعاتها السلبية، بسبب ذلك لم تستطع (أ.ق) الالتحاق بجامعتها بيرزيت، على الرغم من دعم الأهل لها. في رواية (ن.و) أن عاقبة الاقامة الجبرية كانت أسوأ إذ كان الخيار هو الزواج، هذا الزواج الذي بدت أن المشاركة خلاله عانت كثيراً، فيما لم ترغب المشاركة بالدخول في تفاصيل ذلك.

أما المشاركة (ز.س) فتم تهديدها بعد تسكير الملف وإمكانية إعادتها للتحقيق مرة أخرى، في الوقت الذي رأت فيه بأن هذا لم يؤثر عليها وعلى طريقة حياتها اليومية، فتقول عن ذلك:

"عادي، ما أثر علي، ما بدو يتسكر بلاش، هذول يهود، المهم أنا طلعت نظيفة، وثابته على مبدأي وما عندي أي اشي، يعني ما ضعفت في أي اشي معاهم، يعني هذا كان أكثر اشي بهمني، وشفت شو عندهم، وايش هي المعلومات الي بملوكها عني، هذا اشي بالعكس مريح الي، وجد طلعت مبسوطة.

رجعت بعدها ومارست حياتي بشكل طبيعي، وضليت عادية نفس ما أنا، وصرت أروح وآجي، ولكن تصير منغصات على الجسر، إني أتأخر لأطلع، يعني مش زي الناس الي بتسلم هويتك وبختملك على التصريح وبتطلع".

إن أسلوب التهديد هذا نجده أيضاً في رواية المشاركة (ت.ح) عندما تم إيصال رسالة لها بأنها مراقبة فقالت: " مرة بعتلولي مع عمتي إنو إنت مراقبة، وكل تصرف بتعمليه مراقبة، ومرة روحت على الأقصى، قالولها (ت،ح) راحت على الأقصى ما ترجع تروح، لأنها بتعرف إنو ممنوع".

تبين هذه الروايات استهداف المعتقلات حتى في حياتهن اليومية، بعد خروجهن من المعتقل، ورغبتهن في تجاوز آلام هذه التجربة، هنا تظهر الرغبة الحقودة لدى هذه المنظومة الاستعمارية في استهداف هؤلاء النساء،

من خلال هذه الأساليب، والذي تحاول هذه المنظومة وضع المعتقلة بين مطرقة الرقابة المحلية وسنديان الرقابة الاستعمارية.

المعتقلة بين فكيّ الرقابة المحلية والرقابة الاستعمارية:

هناك اتجاهين في هذا القسم: الاتجاه الأول يسلط الضوء على آراء المشاركات حول نظرة المجتمع لتجربة اعتقال المرأة، والاتجاه الآخر يركز على الكيفية التي تعمل بها أدوات الرقابة الاستعمارية على بناء واستغلال الرقابة المحلية لصالحها من خلال سياساتها المتمثلة بإصدار ما يعرف "تصاريح العمل في إسرائيل"، فتحل عيون المحيط بشكل واعي أو لا واعي مكان عيون المستعمر في رقابة المعتقلة.

في الاتجاه الأول تصف (ج.ق) بأن الناس تنظر إلى تجربة المعتقلة بشكلين، الأول أنها بطلة ثم سرعان ما تتحول هذه النظرة إلى نوع من الملامة فتقول: "أول ما تطلع المعتقلة، بس بتكون وعود، إنت بطلة، ولكن بعدها بتتغير نظرة الناس، بتصير فيها نوع من الملامة، ومش لازم عملتي هيك"، أما عن السبب الذي يدفع الناس لهذا التحول فهي تظهر بسبب العقبات التي تواجه هؤلاء المعتقلات عند محاولة اندماجهن في الحياة، فيجدن بأن فرصهن في الزواج والعمل أقل بكثير من فرص الأُخريات اللواتي لم يخضن تجربة الاعتقال، وعن ذلك تتحدث المشاركة (ن.ع):

> "بالنسبة للأسيرة نفس الشيء، أحياناً نظرة المناضلة، ولكن المفارقة، إذا حدا بدو يجوز هاي المعتقلة ببطل، لأنها أسيرة، وهذا حدث مع بنات، نفسياً عندما تتحدثين مع البعض، ما بفهم عليكي، اللغة ما بين تعبيرك عن نفسك والآخر الذي تتحدثي معه لغة مختلفة، مثل الذين يفكرون بأنه تم اغتصابك في السجن، كيف تستطعين اقناعهم بأنه لم يتم اغتصابك في السجن، هو مزروع في راسو بأن البنات عندما يدخلون السجن اليهود بضربوهم وبغتصبوهم، هناك نظرة نمطية صعب تغييرها عند المجتمع، وهذا يؤثر عليكي نفسياً، وتتأثري نفسياً بأدق أدق التفاصيل، أنا شخصياً واجهته وكثير بواجهه من ناحية أن هناك الكثير من المؤسسات يمكن لخصوصية قضيتي، كثير من المؤسسات أنت أسيرة وكمان

قطر الخيرية، لا ما بزيط تشتغلي معنا، حجم الضرر الذي يقع على الأسير عند خروجه من السجن، نفسه أو ربما أكثر بعد خروجه من السجن، من ناحية احتواءه مجتمعياً، يمكن أكثر ناس يحتوون الأسير أهله وأقاربه وأصحابه، والناس التي خاضت نفس التجربة، أما الآخرين المؤسسات مثلاً أنا واقعة تحت ضرر، ضرر مهني، ضرر اجتماعي، ضرر من كل النواحي جسدي صحي، الكثير من المؤسسات ترفض توظيفك"

من هنا ومن العقبات التي تواجه هؤلاء المعتقلات، يبدأ ظهور الملامة لهن، ولو كانت هذه الملامة لا تقال صراحة أحياناً، إلا أن هناك ملامة تستشعرها المعتقلة، وتستشعر وجودها داخل محيطها، وهو ما يؤثر على نفسيتها بشكل سلبي.

في ذات السياق تركز بعض المشاركات أن هذه الرقابة تختلف باختلاف الموقع الجغرافي، وتتحدث (أ.ق) عن ذلك:

"الوضع يتوقف بناء على المنطقة الجغرافية، نظرة المجتمع للبنت المعتقلة في مدينة، يختلف عن نظرة المجتمع للأسيرة في القرية، أنا هذا اكتشفته من خلال تجارب الأسيرات، أنا لا أعمم، وإنما أتحدث عن أشياء شفتها وعايشتها، مثلاً في المدينة أنا بنت أعيش في المدينة، فتاة أسيرة، بطلة، هاي الصورة النمطية، خصوصاً إذا كان منتمي الشخص لفصيل، وكيف كل تنظيم ببرز أبطاله، والنماذج الموجودة عنده.

الصورة السائدة في القرية، هناك شيء مجهول بالنسبة لهم عن الفتاة المعتقلة، شو الي صار معها؟ كيف واجهت الاشي؟ ما الذي تعرضت له؟ يعني في نوع من التحفظ، هناك شيء مجهول أو غامض، والناس تتلاشاه، عندما تعرف بأن هذه الفتاة أسيرة، وأنا هذا الشيء لاحظته من خلال معايشتي لبعض البنات، وفهمت منهم بعد ما هم طلعوا كيف نظرة مجتمعهم، وكيف الصورة السائدة عند الناس عن هذا الوضع".

بينما نجد في رواية المشاركة (ز.س) تركيزها على نظرة المخيم لهذه التجربة، ورأت بأن المرأة تنال المرأة حرية أكبر في هذا الجانب في المخيم فتقول:

"لأني موجود في مخيم، وكانت الناس في المخيم تنظر إلى الأسير أو الشهيد وسام شرف، حبنا لفلسطين شيء عالي جداً، نحن تربينا على حب فلسطين في كل شيء في حياتنا، كنت صغيرة بالمرحلة الابتدائية مثلاً، عندما تم اغتيال شخصيات كبيرة مثل يحيى عياش، سمعنا الخبر، والخبر هزنا، وعندما وقعت مجزرة الحرم الإبراهيمي على ما أذكر 1994/2/25، أنا كنت بالصف الثاني، أنا ما بنسى نهائي كنا بمدرسة وكالة تابعة للأنروا، لا أنسى أبداً جو الحداد في المدرسة وصلاة الغائب، وبكاء المعلمات، وكانت المعلمات يدعون الله على الشهداء، من وحنا صغار فلسطين داخله في كل تفاصيل حياتنا.

لم يكن إعلام مثل هذه الأيام، لكن أي خبر أو حدث قادر على أن يهزنا، في الانتفاضة الثانية، وقت اجتياح جنين، كل هذه الأحداث كنا نتابعها عن كثب، ما كنا نضيع ولا أي تفصيل، وأعتقد أن هذه الأحداث كانت عايشة معنا بشكل كبير كمدرسة، كحارة، كمخيم، من كل النواحي".

تبين رواية المشاركتين بأن فكرة الاعتقال هي فكرة صادمة، ولكن الانفتاح حول هذه التجربة كان أكثر في المدينة، وقوبل اعتقال الفتاة بالتمجيد في أغلب الحالات، بينما ظهر أن القرى أكثر تحفظاً على هذه التجربة، على الرغم من بعض التمجيد الذي يظهر، فالتفكير في الريف يتخذ طابع البساطة، ومرتبط بشكل أكبر بالعادات والتقاليد، فهناك شيء مجهول في هذه التجربة تدور حوله دائما الشائعات في القرى، في المخيم نجد أن هناك نظرة أخرى، تميل للإيجابية أكثر، فالمخيمات تزخر فيها فكرة الثورة، لأن المخيمات غالباً نقاط مواجه، وفيها حتى يومنا هذا بقايا تنظيمات نشطة.

إن هذه النظرة المزدوجة كانت على حساب المعتقلة، فالمعتقلة في كلا الحالتين يتم قبولها كرمز وطني، وشخصية قوية، ولكن هناك عزوف مثلاً عن الارتباط بهؤلاء المعتقلات، بسبب تخيلات، وهي خرافات، جزء آخر يعزف خوفاً من إعادة اعتقالها، وجزء ثالث أسرى محررين يرى نفسه بأنه أسير وهي أسيرة، فإن حياة الأسر ستنعكس، بينما قسم آخر من الناس ربما يراه مفخرة وشرف للفتاة قولاً وفعلاً.

أما المشاركة (ص.ك) فتظهر ازدواجية الناس من خلال إظهارها للمجموعة التي تنظر لهذه التجربة بشكل إيجابي، والمجموعة المقابلة لها والتي تنظر لها بشكل سلبي، ولكل مجموعة أسبابها فتقول:

" يجوا يقولوا لإمي، شو الي عملتو بنتك؟ هي انجنت؟ دمرتكم، هي بدهم يهدوا داركم، أخوتها ولا عمرهم في حياتهم رايحين يسافروا، ومن هذا الحكي، بس بعدها بتلاقي ناس ما بتعرفك، وبتكون مبسوطة فيكي، وبتفتخر فيكي بالأسيرات وبتكون داعمة للأسيرات إنها تكمل حياتها، وتكون تمام".

فيما تركز (ز.س) على أن المعتقلة تصبح محل شك بالنسبة لمحيطها، لأنها من الممكن أن تجلب لهن "المتاعب"، فتقول (ز.س):

" بقولوا هاي بتجيب مشاكل، شو بدنا فيها، ليش نجيب لحالنا وجع راس؟ يمكن يعتبروا حالهم إنهم بصيروا محط أنظار مثلها، ما دام بينهم علاقة، يعني أنا أقاربي كانوا يخافوا مني، ويتنصلوا مني".

إن هذا التخوف ترتب عليه صراعات عائلية لدى المشاركة (ز.س)، وتوضح ذلك من خلال رفض العائلة من الدائرة الثانية لها، بسبب وجود أهلها في الأردن لوجودها بينهم خوفاً على مصالحهم فتقول:

" أنا الآن دخلت في صراعات عائلية مش عارف وين بدي أروح أعيش، ضليت عند ستي، عانيت وتغلبت من الأقارب، حتى هم الأقارب نفسهم بصيروا يخافوا من وجودك عندهم، مجرد ما صار عليكي رفض أمني، بصير في إشي يخوف.

صاروا يخافوا، مثلاً أنا خوالي بشتغلوا في المستوطنات، كانوا يخافوا إنو الجيش ممكن يجي عندهم بأي لحظة، ما يصدقوني، هاي البنت شو عاملة، ليش عليها رفض أمني، يضلوا يتحسسوا من أي إشي أنا بعملوا أو بقولوا، أو أي مكان أنا بروح عليه.

هم ما كانوا يتقبلوا أي إشي أنا بحكيه، أي حدث أحكي، ما بصير تحكي، والبنت شو بدها في هاي القصص، شو دخلك انت، نحنا لأننا تربينا في مخيم، ولاجئين كان عنا الاندفاع تجاه الوطن، اندفاع عالي، والمشاعر جياشة، من الصعب ضبط مشاعرك، حتى موضوع الجواسيس ما كنا نستوعب، كنت أعبر عن رأيي وين ما أروح ما يفرق معي، بلشت مرحلة ثانية الحياة الاجتماعية كيف عشت، خذلان، ما حدا وقف معاي، من ظل الظروف السيئة الأخرى صارت مشاكل عائلية كان أخوي الكبير معي، أجى من الأردن بس عشان يضل معي، وبتعرفي في مجتمعنا بنت تضل عايشة لحالها صعب، عشنا عند ستي صار مشاكل، طلعنا من البيت، فترة عشنا على سطح البيت، كنت لما بدي أطلع على الشغل أغير ملابسي في بيت الدرج، بيت الدرج لأنو ما كان في مكان أغير فيه، كنت لو بدي أروح

على الحمام ما في حمام، أضل حاشر حالي لحد ما أوصل الشغل، وأروح على الحمام، هيك كانت حياتنا، ضلينا هيك لأشهر بس كانت قاسية، لما تكون الدنيا شمس بدك تصحي قبل ما توصلك الشمس، وبالبرد ما بتتحملي، هو في النهاية عراء، إنت عايشة في عراء، وما كان حدا يهتم ولا يسأل، ولا كأنو في بشر عايشين هيك وضع.

بعدها أنا وأخوي صرنا نفكر بدنا دار، إستأجرنا بيت شبه تسويه، لا يوجد به أي شيء من مقومات البيت، لا شبابيك ولا باب، باب تخبطيه برجلك عشان يفتح، كان البيت جنب مستوطنة بيت إيل، مخيف، العيشة فيه مخيفة، ما كان عنا غير فرشتين وحرامين، وحدا أعطانا إياهن، ما كان عنا القدرة إنا نشتري هاي الأشياء، عشت أنا وأخوي في ظروف صعبه، مرّ علينا الشتا والثلج، وبتذكر في سنة 2008 ثلجت الدنيا وتسكر الباب بالثلج، ضلينا ثلاث أيام أنا وأخوي بدون أكل، بدون شرب، ما حدا كان يعرف إذا إحنا عنا أكل أو شرب، صدقاً ما كان عنا خبز بالبيت، ضلينا ثلاث أيام بلا أكل، ما كان عنا اشي نوكلو.

بعدها اضطريت واتجوزت كمخرج، جوزي كمان كان محاصرني جداً، وبضل عندو رهبة من هاي الأمور، وقطع علي شغلات كثير في حياتي، قطع علاقاتي مع ناس كثير مع صاحباتي، ممنوع تروحي وتيجي، بضيق علي كثير، حتى الكلام وإبداء الرأي أنا محاسبة عليه، حتى لو بيني وبينو وكان في أحداث وأنا علقت، هذا الاشي ممنوع، بخاف، بحكي هاي الأمور ما النا فيها، مش لازم نحكي فيها، شو بدنا في وجع الراس، أنا ما بقتنع في هاي الفكرة، بكتب رأيي على الفيس وما بهمني، وبواجه انتقادات وما بهتم، أنا عندي قناعة بأن الكلمة رصاصة، وبأني عندي مبدأ يجب أن أدافع عنه حتى آخر يوم طالما أنا عندي نفس، لسه ما في قوة بالدنيا ولا يوجد حدث صار معي قادر على نزع انتماءي لوطني، لا يوجد قوة في الدنيا قادرة على ذلك، بالعكس الأمر بزيدني إصرار وتعلق، أنا لازم أكون صاحبة موقف ورأي، ولازم أدافع عن أرضي ولو بكلمة، وأنا مقتنعة بذلك".

وتتفق مع المشاركة (ز.س) المشاركة (ف.ح)، في أن تجربة الاعتقال للمرأة خلال الفترة هذه تجلب لها اللوم، فيما يظهر أن هذه النظرة كانت تختلف سابقاً حين اعتقالها مطلع التسعينات فتقول: "اليوم لوم، ولما واحد يروح يعمل عملية بصيروا بعض الناس يسبوا عليه، لأن الناس بدها مصاري وانترنت، الأول كان الوطن بالأول، ولما كانت تصير مظاهرة الكل يطلع، اليوم ما في هذا الاشي".

بينما نجد في رواية المشاركة (ن.ع) أن المجتمع ينظر إلى المعتقل بشكل عام نظرة البطولة، ولكن هذا الجزء الإيجابي ينعكس عليه من خلال وضع المعتقلة في قالب كبير بمهام كبيرة قد تصل حدّ الاستغلال في كثير من حالات ضمن الحالة النضالية العامة فتقول:

> "إجمالاً ينظر المجتمع الفلسطيني للأسير نظرة البطولة، وأنه بطل ومناضل، وما قام بعمله لم يقم أحد بعمله، جزء من هذا جيد وإيجابي، ولكن جزء آخر، ينعكس على الأسير بطريقة سلبية، لأنه أحياناً يتم وضع الأسير في قالب أكبر من القالب الحقيقي، وهذا ما يجعله وكأنه عايش في فقاعه، في لحظة من اللحظات ممكن أن تنفجر، وهذا موجه للحالة النضالية العامة".

أما عن الكيفية التي يحاول من خلالها الاستعمار الصهيوني استغلال الرقابة المحلية فتتمثل من خلال اعتبار مصلحة الجميع مرتبطة بمصلحة الفرد، بمعنى إذا تم معاقبة شخص، فإن هذه المعاقبة تمتد لتشمل كل أفراد العائلة، وهذا يظهر من خلال ما يعرف بـ "تصاريح العمل داخل إسرائيل"، وبناء على ذلك تظهر الروايات أن معاقبة المعتقل على ما قام به تمتد إلى أقاربه جميعاً، بمعنى الدائرة الموسعة وليس فقط الأقارب من الدرجة الأولى، وهذا بحد ذاته كفيل بممارسة العائلة بأكملها رقابة قوية على المعتقلة خوفاً على مصالحهم، وطمعاً في إزالة الرفض الأمني عنهم فتقول (ز.س):

> "الناس بتخاف من نقطة التصاريح، للأسف جزء كبير من شعبنا بتهمو لقمة العيش، سواء سلطتنا أو الاحتلال يعملون على تجريد الناس من الانتماء للارض، وبحصروا تفكيرهم بلقمة العيش، حتى الموظف الذي يعمل لدى السلطة سواء عسكري أو مدني بتلاقي خايف على شغلو، ممنوع يدخل في أي اشي لأنو خايف على وظيفتو، ممنوع يحكي، ممنوع يطلع، ممنوع يبدي رأيو، لأنو ممكن يعتقل أو يؤثر على شغلو، بصير يحسب على حالو الحرف، بصير عندو رقابة داخلية على نفسه".

أما (ص،ك) فتظهر حتى قطع الجيران صلتهم بوالدها ووالدتها وأخوتها خوفاً على تصاريحهم، وهم في العادة لا يشملهم الرفض الأمني، فتقول:

"لما أنا اعتقلت، جيرانا بطلوا يحكوا مع أهلي، لأنو هم بروحوا على إسرائيل ومعهم تصاريح، بطلوا يحكوا معنا، إمي لليوم هذا الاشي مضايقها، لليوم بتقول أنا في أصعب أزمة إنو اعتقال (ص،ك)، وأنا وإمي كنا كثير متعلقين في بعض، اعتقلت، وما تلاقي الناس حوليها".

إن هذه المحاولة الاستعمارية التي تقوم بها السلطات "الإسرائيلية"، والتي تحاول من خلالها التحكم بالناس من خلال لقمة عيشهم، هي محاولة لها انعكاساتها، وقد نجحت في كثير من الحالات، الأمر الذي دخلت بسببه المشاركة من دوامة من التدخلات من قبل الأهل، ومراقبة تصرفاتها، وحتى الوصول إلى معاقبتها في بعض الأحيان، يحمل ذلك في داخله خوفاً من تبعات هذه التجربة ليس على الفتاة، بل عليهم هم، يأتي ظل في ظل ارتفاع مستوى الحياة في الأراضي الفلسطينية، وانعدام فرص العمل في معظم المجالات، وارتفاع مستوى البطالة لدرجة تقارب 20%، ومن هنا يظهر لنا لماذا تتعرض هؤلاء النساء للملامة، والرقابة المحلية بعد خروجهن.

القسم الثاني: وصف التجربة

يسلط هذا القسم الضوء على وصف الحدث من خلال جزئيين. الجزء الأول يناقش وصف المشاركات للتجربة التي مررن بها، والكيفية التي حاولن من خلالها تقييم هذه التجربة، وكيفية انعكاساتها على ذاتهن وحياتهن اليومية ومحيطهن الاجتماعي. أظهرت الروايات أن وصف المشاركات لهذه التجارب قد تباين بشكل كبير فيما بينهن، في الوقت الذي أجمعت فيه هؤلاء المشاركات على أن هذه التجربة على الرغم من صعوبتها، إلا أنها تجربة أضافت على شخصية المشاركة بشكل إيجابي.

الجزء الثاني من هذا القسم يركز على رواية اللحظات المؤثرة، والتي ظهر في المقابلة أن المشاركة قد تأثرت بالحديث عنها، ولم تستطيع إخفاء انفعالاتها، بعضها له علاقة بخبر محزن كالموت، والآخر مفرح، كالنجاح، فيما تراوحت المؤثرات الأخرى بين الاشتياق للأبناء، ووداع أصدقاء المعتقل، واستقبال الناس للمعتقلة والتفافهم حولها.

في وصف التجربة:

تصف (ز.س) تجربتها مع التحقيق بأنها كانت تجربة حلوة، وتعتبر أنها كانت بامتحان وخرجت منه بنجاح، فتقول:

> بتصدقي كانت تجربة حلوة، ما كانت سيئة، لأنها كسرت حاجز الخوف معهم، زادتني قوة، بكفي إنك تكوني بين ضباط يهود وتقوليلهم أنا بحب فلسطين، وتحكيلها بقوة وثقة، وبملئ الفم، أنا أنتمي لفلسطين بكل فخر، كنت مرتاحة جداً، مش خايفة ومبسوطة، لأني عرفت شو في عندهم، زي كأني أنا كنت في امتحان ونجحت فيه".
>
> إلا أنها في ذات الوقت كانت هذه التجربة بالنسبة لها دافعاً أساسياً لارتباطها السريع، كمخرج للظروف التي أصبحت محاصرة فيها، حيث تخلى الأقارب عنها في ظل عدم وجود الأهل، نظرات الناس التي تحمل الملامة، وعدم توفر مسكن مناسب لها، وتتحدث عن ذلك بالقول:
>
> " الارتباط كان مخرج للظروف الموجود أنا فيها، يعني واحدة ما الها بيت ولا أهل، وتعاني اجتماعياً من الظروف والناس هاي بنت شوفو شو بتعمل، ولما أجى جوزي وتقدملي، وافقت لأني لازم أخلص من الوضع الي أنا فيه... نوعاً ما نجحت في هذا المخرج، بكفي إنو الي بيت، وشخص واحد مسؤول عني، مش مليون واحد بطلع علي وبحكي عني... لكني طبعاً ندمانة، لأنو أي اشي أنت مجبر عليه لا يكون مدروس، أنا ما كنت مرتاحة بالخيار المفروض علي، وما كنت شايفة إنو هذا الشخص مناسب الي، بكفي كل انسانة بتحب توخذ اشي مقتنعة فيه، أنا ما كنت مقتنعة فيه، بس كنت مضطرة".

أما (ج.ق) فترى بأن هذه التجربة قد انعكست على شخصيها، وهذا ما تتفق عليه المشاركة (ص.ك)، فتقول (ج.ق):

> " تغيرت كثير، أول اشي صحيح أنا طلعت من السجن، بس السجن كان بداخلي، بس بعد ما طلعت من السجن وبفترة، صارت شخصيتي أقوى، كنت هادي لدرجة قبل السجن، بعد السجن رجعت (ج،ق)، جديدة، صرت أعرف شو يعني أسيرة، شو يعني بنت فلسطينية".

وتعتبر (ص.ك) بأن شخصيتها الجديدة بعد السجن تختلف عن شخصيتها قبل السجن:

"أنا دخلت السجن بشخصية، وطلعت بشخصية أخرى، وأول ما انحسبت شعرت إنو في اشي مات مني وانتهى في تلك اللحظة، وصرت حدا ثاني، أنا لم أكن اجتماعية، ولا جريئة، ولا عندي ثقة إني في يوم من الأيام أواجه دولة، في جيوش مش قادرة تحاربها، أنا أوصل لهاي المرحلة، في هاي اللحظة تغيرت، دخلت على السجن طبعاً طول الوقت عند أهلها، كنت وحيدة أهلي، أجتني أخت صغير، أنا كنت المدللة، شفت حالي صرت أنا المسؤولة عن حالي، أنا بدي أواجه، وبدي أحارب، أنا كل اشي، ما في لا أب ولا أم ولا أخوة ولا أقارب، ولا حدا، لأني أنا صرت أسيرة، حاسس إنو الوضع تغير، قبل ما كنت أحس إنو الناس تعرف عن الأسيرات، ليش أهلي ما بعرفوا، ليش قريتي ما بعرفوا، ليش الناس ما بتعرف عن الأسيرات، مثلاً المعتقلة (ق،س)، كان 16 شخص مستشهد من عيلتها، أولادها بدار أيتام، بتسمعي قصص، هاي البنت أخوها مستشهد، هاي البنت هي وإمها بالسجن، بتسمعي قصص، أنا كنت بعيدة عن هاي القصص، هسه أنا صرت في هاي القصص."

وتصف ما قامت به بالتالي:" بجوز البعض يشوف الي عملتو ما هزم دولة إسرائيل، بس بالنسبة الي أنا شايفته اشي كبير لبنت في مجتمع بسيط، البنت بسيطة، أنا شايفة حالي عملت اشي كبير". ولكن ما ينعكس على تجربة (ص.ك) هي خصوصية تجربتها، فهي مرتبطة بالمعتقل (ج.ع)، ولم تره وجهاً لوجه طوال حياتها، فتقول: " أنا عايشة في سجن، طول ما (ج،ع) وأخوي وابن عمي السجن لا ينتهي، إحنا بسجن".

أما (أ.ق) فتصف هذه التجربة وتقول:

"هاي التجارب بتطحن البنت، أنا بعد ما طلعت حكيت ماشي إحنا عنا نماذج مضحية، وبطلات، وعنا كل هاي الاشياء، ولكن البنات تستطيع التضحية في مجال آخر غير إنها تدفع ضريبة وجودها في السجن، بمعنى ممكن أنا أعمل إشي، ممكن أخدم وطني، وأخدم قضيتي، ولكن أكون حذرة، وما أعرض حالي للسجن، لما أنا عندما وصلت لهاي النتيجة، هناك بعض الناس الذين يقولون " إنتي لا تزاودي" أو إنتي "ما تنظري" بعد ثلاث شهور قضتيها في السجن، أو إنت "ما تفلسفي على الوطن والوطنية"، لأنهم هم الي بحكوا هيك بره السجن، ما جربوا السجن، ولكن الحمد لله في النهاية الانسان بتعلم شو ما كانت الأوضاع والظروف والآراء، وكل لحظة تعلمه في الحياة".

فيما تصف (م.غ) هذه التجربة وانعكاسها على شخصيتها وتقول:

"السجن كثير كبرني، الحمد لله صرت أوعى وأعرف الصح من الخطأ، قبل السجن ما كنت أتحمل أي مسؤولية، أما في السجن واجهت كل اشي لحالي، فعرفت كيف أتحمل المسؤولية، وأواجه كل اشي لحالي، زدت كره وحقد للاحتلال.

بحب أقرأ وبحب أقرأ عن لبنان عن اللاجئين عن تاريخ فلسطين، سوريا عن كل اشي، عن النكبة قبلها وبعدها، بقرأ عن السجن.

أنا من قبل ما أنسجن كان حلمي أصير محامية، وكانت فكرة إني أنا أنسجن مستحيل تخطر بالي.

أنا لما طلعت من السجن زدت حب لفلسطين، وكره للاحتلال، وشفت قديش الاحتلال ظالم، هم يتعمدوا يسجنوا الأطفال عشان يكسروهم، بس الحمد لله طلعت عندي هدف لأكمل دراستي، بعدها أدرس في الجامعة.

أول ما طلعت طلعت الفصل الثاني في الصف العاشر، وعاشر من أصعب الصفوف، وكان صعب علي، بس الحمد لله، ما جبت علامات زي ما أنا بدي، جبت بالثمانين، رجعت الفصل الثاني، رضيت شديت حالي الفصل وجبت 94%، والحمد لله بدي أجيب معدل أعلى، لأنو سلاحنا علمنا".

إن هذا ينسحب إلى حالة من التمرد الإيجابي، فالمعتقلة بعيداً عن البطولة هي تمر بحالة انتكاسة حقيقية بعد خروجها من المعتقل، هي بحاجة لأن تتجاوز هذه الانتكاسة، تجاوزها يكون بهذا التمرد، ولكن هذا التمرد يجب ألا يكون على حساب الألم، فعلياً لا أحد يستطيع نسيان الألم، يجب أن نعترف بأن الألم موجود، ولكن ما يحدث أن الألم هو الذي يولد الطموح، ويسير معه كدافع.

أما المشاركة (م.غ) فعلى الرغم من أن هذه التجربة الصعبة قد دعمت شخصيتها، وجعلتها قوية، إلا أنها لا تتمنى لأي أحد أن يخوضها فتقول:

"السجن قوى شخصيتي كثير، وصحيح الحياة ما بتعطينا كل اشي، بس لازم نكون أقوياء، هسه عندي ثقة في نفسي كثير، وأي إشي وأي موقف بصير معي هسه بعرف أتصرف بالطريقة الصحيحة

والمناسبة، ما بتمنى لأي حدا يعيش التجربة الي عشتها، هو ما في توعية، الواحد بفكر حالو إنو بعمل إشي منيح، في الآخر بضر حالو، وما بفيد الناس، أنا ما بتمناها لحدا، لأنها تجربة مؤلمة".

أما المشاركة (ف.ح)، فيظهر تشابه في تحفظها على تجربتها مع (م.غ)، مع إيمانها بأن تجربة السجن قد أضافت على شخصيتها الكثير من القوة، وتخلصت من خجلها الذي كان يسيطر عليها قبل السجن، إلا أنها في ذات الوقت وعلى الرغم من هذه الإضافة فهي تتحفظ على هذا الكلام من خلال تركيزها على الضرر الذي يلحق بعائلة المعتقلة جراء ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى عدم وجود امتداد شعبي أو حتى فصائلي داعم للمعتقلة أو أياً من أفراد أسرتها، بل تحولت المعتقل إلى قضية عائلية بحته فتقول:

" حياتي أصبحت أفضل، السجن أعطاني قوة، لو ضليت في الدار كان ضليت هبلة، السجن بعلم شغلات، بتتعرفي على ناس، نفسيتك بتتغير، قبل ما أنسجن، كنت أستحي أحكي مع أخوتي، أو آكل مع أخوتي، لأني بنت وحيدة، هلكيت عادي، مستعد أحكي مع أي حدا... لو يرجع الزمن فيّ، بصراحة ما بعمل نفس الاشي، مع ما يتعرض له أهل الأسير من معاناة وهدم للبيوت، يمكن ما أعملها، خوف على الأهل والأخوة، يعني شوفي إنتي بدمري كل الي حواليكي.. وما فكرت أرجع أعمل نفس الاشي، مش مستعد أدمر ألف واحد، زمان مش زي هلكيت، اليوم الناس اللهم نفس، اليوم بنقتل الشخص، وبهدوا بيوتهم، ما حدا بطلع عليهم وعلى أهلهم".

وفي ذات السياق تظهر المشاركة (ك.ق) أن السجن بحسب نظرها ليس للنساء، لأنها تجربة صعبة لا تقوى كثير من النساء عليها فتقول:" كنا دايماً نضل نغني: السجن للرجال... السجن مش للنساء...لا أتمنى لأحد بكره أو بحبه، يجرب هاي التجربة".

أما (ن.ع) فتصف تجربتها من خلال التركيز على الخوف الكامن بداخلها من هذه التجربة، لأن هذه الأشهر التي قضتها داخل المعتقل تساوي حياتها بأكملها، وتعتبر بأن هذه التفاصيل الصغيرة هي تفاصيل مهمة على الرغم من عدم التركيز عليها في الإعلام فتقول:

" أنا من فترة أخوي عندو سيارة جيب 4*4 أنا موجودة في البيت وقت مبكر، مجرد سمعت صوتها، جاء لذهني جيبات عسكرية، هذه تفاصيل صغيرة تؤثر فيكي بطريقة أو بأخرى، تلقائياً حتى حوارك مع صديقاتك وأصدقائك بتصيري تذكري لما كنت مع المعتقلة الفلانية هيك صار معنا في السجن، بتصيري حتى الأمثلة في حياتك من السجن، هي سنة ونصف في السجن، ولكن تأثير هذه السنة والنصف في حياتك تعادل كل عمرك أو أكثر، هذه التفاصيل الصغيرة التي هي في العادة في الاعلام لا تذكر بشكل كبير، لأجل هذا كل حدا كان يحكي معي دايماً أحاول التركيز على التفاصيل التي لا تذكر في الاعلام".

إن المعتقل هو حالة تحول في حياة الإنسان، فلا يوجد إنسان يدخل ويخرج بدون أن يكون قد وضع عيله المعتقل ارتداداته، هناك شيء ملازم به، لا يوجد نسيان، هناك حالة من الألم المستمر المدفون في الداخل، المفارقة هنا أنه كلما مرّ وقت أطول كلما شعر الإنسان بعمق هذه الارتدادات عليه، مثلاً فكرة عدم تحمل الجلوس في مكان مغلق، ويجب البقاء في مكان مفتوح، أو بالقرب من الشباك، إن هذا يعني أن تجربة المعتقل تبقى محصورة في داخل المعتقلة، ولكنها محاولة للسير مع هذا الألم، من ناحية أخرى هناك جانب مهم من هذه التجربة، فتجربة الأسر تعطي للأسيرة نظرة أوسع للحياة، وطريقة أخرى مختلفة للنظر اليها، طريقة محاكاتها للأمور تختلف، السجن هو حالة تجعل من المعتقلة إنسانة هشة للغاية وقوية للغاية.

يظهر الخوف الكامن في داخل المعتقلة في في رواية (ج.ق) عندما تقول:

" طبعاً صحيح أنا طلعت من السجن، بس ضل نظامي زي كأنوا في السجن، كنت في السجن أنا والاسيرات لما نيجي نام نحط الشالة والجرابين تحت المخدة، نفس الاشي كل يوم لما طلعت من السجن أصحى بوقت العدد بدون منبه، أحط جرابيني وشالتي وأرجع أنام، عشان هيك كان صعب أرجع على الجامعة".

وفي جانب آخر تركز (ن.ع) على وصف التجربة من خلال ربطها بالمحيط الاجتماعي عند خروجها من المعتقل، فتركز على عدم وجود جهات تعنى وتهتم بالمعتقل الذي يخرج من المعتقل في كثير من الحالات بوضع نفسي وجسدي سيء، حتى في حالات التأهيل القليلة الموجودة فإنها تركز على أبعاد أكاديمية مهنية أكثر من تركيزها على معالجة الآثار النفسية التي خلفتها هذه التجربة المؤلمة، فتقول:

" عندما خرجت من السجن كنت متضرر بشكل كبير، وتلقيت علاج ولم ينفع، أخذت جلسات علاج طبيعية ولم أشفى، كان الجواب النهائي للطبيب أصبح مزمن وأنت يجب أن تتعايشي معه، الخيار يا أن تقومي بعمل عمليات، أو تتعايشي مع ما هو موجود.. بالوقت نفسه ليس هناك من راعٍ للأسير بعد خروجه لا رعاية ولا تأهيلاً، المؤسسات الموجودة نادي الأسير الفلسطينين هيئة شؤون الأسرين مؤسسة الضمير، وبعض مؤسسات الأسرى الأخرى، هناك مؤسسات تعمل على التأهيل، لكن تأهيل أكاديمي مهني، تأهيل الجانب النفسي لا يوجد هذا الحمل الذي تستطيع المؤسسة أن تحمله، لأنه فعلياً ليس حملاً صغيراً.

المؤثرات في رواية التجربة:

تسرد الباحثة في هذا الجزء اللحظات التي تأثرت بها المشاركة في الدراسة عند روايتها لحدث معين. إن هذه المشاعر التي استطاعت المشاركة البوح بها أمام الباحثة جاءت من خلال العلاقة الوثيقة التي ربطت المشاركات بالباحثة على مدار أشهر، واتخاذ موقف ملتزم من تجاربهن، مما أتاح لهن المجال للحديث بحرية أكبر، البكاء، الضحك، لحظات التلهف. إن المواقف التي ظهر فيها التأثر الشديد كان أبرزها فقدان الوالد في ظل الحرمان

من إلقاء النظرة الأخيرة عليه، وتبرز رواية (آ.ر) كيفية انتظارها وشوقها لرؤية والدها الذي وافته المنيه قبل أن يأتي موعد الزيارة المقرر بأسبوع، وتصف هذه الأوقات وتقول:

" كان موقف وفاة والدي أصعب موقف، لا أستطيع نسيناه أبداً، أبوي كان مرفوض أمنياً، طلع الو تصريح بعدها في 2016/2/1 لزيارتي، في 2016/1/25، أي قبل الزيارة المقررة بأسبوع، بتنادي علي الممثلة لينا الجربوني بتقولي (ه،ن) تعالي شوي، قلتلها ايش في؟ بلشت تحكيلي أمور دينية، بأن ربنا بوهبنا الحياة على الأرض، وبوخذها متى يشاء، أنا عرفت إنها بدها تحكيلي إنو في اشي عند أهلي، أنا سكتّها، قلتلها إحكي في إشي صاير عند أهلي، بتقولي أبوكي توفى... ما صدقت، قلتهم إنتو كذابين، الاسبوع الجاي أبوي بدو يجي يزورني، يومها تيسرت إنهم خلوني أحكي تلفون مع أهلي، كان اليوم الثاني من العزى، حكيت مع إمي ومع أخوتي... شعرت إنو أبوي توفي عنجد، لما أجى يوم الزيارة المقرر بعد بأسبوع، لما البنات جهزوا حالهم وبدهم يطلعوا على الزيارة، عزتّ علي هاي اللحظة، وصرت أعيط، كان أنا طلعت معهم على الزيارة أبوي كان أجى اليوم علي، حتى أنا كنت عامل لأبوي دفتر خياطة، هدية الو، وطلعتو مع البنات، يوصلوه لأهلي، طلعت الدفتر بعدها مع أهل المعتقلة خالدة جرار، وصلوه لأهلي.... تعرفي في هذيك الفترة الأسير بصير يعتمد على أحلامه، كل يوم أشوف أبوي في الحلم، أقول الو يابا هاي أنا بدي آجي أزورك، مش إنت بدك تزورني.

حتى أنا ما كنت أعرف وين أبوي دفنوه، في المقبرة الجديدة ولا القديمة، كانت هاي الامور تذهب وتأتي في مخيلتي... ما قدرت أمسك حالي لما إمي وأختتي زاروني في السجن، صرت أعيط، وإمي ماسكة حالها، كانت أختي وقتها معها، قعدت أعيط أنا وأختي، بس يومها سبحان الله في الزيارة في على جنب غرفة الزيارة شبك، بس في باب، في هاي اللحظة كاينين ناسيين يسكروا الباب، انتبهت إنو الباب مفتوح، روحت ومسكت في ايد امي وصرت أبوس فيها، شعرت كأنو الحياة رجعتلي".

كما تبين هذه الرواية عمق الالتفاف بين المعتقلات، فوفاة الأب قادرة على إحداث نكسة كبيرة للمعتقلة داخل "السجن"، ولكن ما يحدث هو أن المعتقلات يحاولن إخراج صديقتهن من هذه الدائرة، ويتم ذلك عبر استخدام الدين بصورة أساسية، ويظهر استخدام الدين والتذكير بالآخرة، وبأن الموت حق على الجميع، كأحد أبرز الحلول التي تلجأ لها المعتقلات للتخفيف عن زميلتهن في هذه المحنة.

أما (آ.ر) فتتحدث عن ذات اللحظات المؤلمة، والكيفية التي حاولت من خلالها كتم هذا الألم بداخلها رغم مرارته وصعوبته، فتقول:

"القضية الصعبة الثانية توفى الوالد وأنا في السجن، قديش حاولت أقاوم، وإني أنا قوية قدام البنات وقدام إدارة السجن، بس لما كنت أحط راسي على الفرشة أنهار من البكاء، يعني كان الوالد تعبان، ومرة واحدة زارني بالسجن، وقالي خلص من اليوم وطالع كل زيارة بصير آجي على تلموند، في حينها فرضوا نظام التصاريح، وما طلعلوا تصريح، رفض أمنياً، وبعدها ما شفتو، هاي كانت مؤلمة مش بس الي، كمان لكل الصبايا الي كان بتوفي الها حدا في داخل السجن، كان يكون مأساة كبيرة.

لما توفى الوالد وأنا في السجن، كان بعدها مباشرة ذكرى استشهاد عمر القاسم، وهو عميد حركة أسيرة، خرجنا وأحيينا هذه المناسبة، وأنا تحدثت وقلت إنو تعودنا ندوس على آلامنا وجراحنا ومصائبنا مقابل القضية الوطنية الفلسطينية، ومقابل التحدي، لذلك نشارك بإعلان الاحتفال بذكرى استشهاد القاسم.

صورة ثانية بعد وفاة الوالد، سمحوا للوالدة تزورني في السجن، وطلبت إني أعزيها، سمحولي، كان مدير السجن، ومدير الأمن ونخبة إدارة السجن جميعها، واقفين ينتظروا كيف ردة فعلي وفعل إمي، عبطت إمي وأقول لإمي إجمدي وأصبري، وجسم إمي يرجف بين إيدي، لليوم وبكره بشعر في هاي الرجفة بين إيدي، وأنا أضغط عليها ما تظهر أي انفعال، هاي كانت صعبة كثير، وما صدقت وأنا أوصل الغرفة وانهرت من البكاء".

في هذا الجزء من الرواية نجد أن المشاركة صمتت، والصمت هنا كبت الألم في الداخل، ومنعه من الخروج، ولكنه عندما يخرج، يخرج بقوة، فالألم الساكن في الداخل أشد وجعاً من الألم الذي يترجمه الصوت، إن صوت الألم الداخلي يحمل بداخله القوة، والمكابرة في كثير من الأحيان، بأن هذا الألم يجب ألا يراه أحد، ولكن في اللحظة التي تتاح له الفرصة ليخرج، فإنه يخرج بقوة واندفاع، ما يميز هذه الرواية أن المرأة في العادة مسموح لها أن تبكي، ولا تلام على ذلك، بينما يحاول الرجل ألا يبكي، وأن يخفي دموعه، وهنا اقتربت المشاركة من مشاعر الرجل الفلسطيني، في أن المطلوب منها إظهار القوة، وعدم البكاء، لأن البكاء بالنسبة للرجل "ضعف".

أما رواية (ج.ق) فيظهر تأثرها عند وصفها للتجربة التي مرّت بها، ووصفها للتجربة التي مرت بها بأنها مشابه لما يحدث في مسلسل" الأرض الطيبة"، فتقول:

"الأسيرات وأنا أتفتش شايفاتني من ورا الباب، بيني وبينهم أقل من متر، وقفت كانت أسيرة رافعة شعرها وحاطة منشفة على شعرها، حكت يومها إجت أسيرة جديدة، وصارت تنادي خالتو لينا هي وصلت المعتقلة، في هاي اللحظة شعرت حالي في فيلم، حسيت حالي في فيلم "الأرض الطيبة" ما كنت أصدق شو بصير في الأفلام، أنا الآن وكأني في الفيلم، أنا هزيت راسي عشان أتأكد إني أنا في فيلم ولا في الحقيقة".

تظهر هذه الرواية بأن المشاركة قد ربطت ما تعرضت له بمشهد مألوف بالنسبة لها، وذلك لخلق نوعاً من الألفة بينها وبين هذا المكان، هذه الألفة التي تأتي من إسقاطها للمفاهيم المعروضة في مشهد سينمائي على ما تعرضت له، في محاولة منها لاعتبار هذا المكان مشابه لذلك الذي شاهدته في مكان ما، إنه محاولة للتغلب على هذه البيئة الغامضة، وبناء أي تصور عن هذا المكان، تصور من شأنه خلق ألفة قادرة على استيعابها للصدمة.

أما (ص.ك) فتظهر روايتها تأثرها الشديد بالرجل الذي ارتبطت به دون أن تراه ولو مرة واحدة في حياتها، حيث حال الحرمان بينهما نتيجة لكونه معتقل منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً، وتتحدث عن ذلك كله من خلال الآتي:

"لحد الآن ما شفته وجهاً لوجه، تخيلت شكله، وقلتله، كانت هاي نهفة، بقول (ج.ع)، الي في واحدة من الرسائل أكيد إنتي مش متخيلة كيف شكلي، أنا رديت عليه وكتبت، بتخيلك أحمر، وضعيف ضعيف، وفي وجهك نمش، ههه، بعدين طلع أسمر وقصير، بقول ههه يا الله انخدعت في خيالي.

صرت أحس في كلماته إنو في حب، ضلينا لاعترفنا لبعض، صرت أحس إنو في اشي عايشه مشانو، كثير مبسوطة، وهو كان كثير مبسوط، وأهلي ما كانوا كثير مبسوطين، لما اعترفت لإمي بالموضوع، إمي أغمي عليه، وما استوعبت الموضوع، إني أنا بدي أخطب أسير، وكأني رايحة أرجع على السجن كمان مرة، هو بصراحة صارلنا بدنا ندخل السنة العاشرة أنا و(ج.ع) مع بعض، إحنا خطبنا في

2012، ورجعنا تركنا لثلاث سنين، احنا تركنا بس قدام الناس، بس على أرض الواقع ما تركنا، عشان أهلي حسوا إني أنا صرت تعبانة ومضغوطة، قالوا خلص ما بنقدر نكمل، أنا كنت لما (ج.ع) يضرب أضرب عن الطعام، لما (ج.ع) يغيب ما أحكي مع حدا، طول الوقت حياتي صارت (ج.ع)، وين هو؟ شو حكى؟ شو ما حكى؟ تعقدت، مرضت، أنا ما بدي أترك، أنا دمرت في مرحلة إني تركت، أنا طول الوقت بنتواصل، أنا (ج.ع) حاربت كثير عشان أوصل لمرحلة الخطبة، بدكم تخلوني أترك، ضليتني متواصل معاه، بس قدام الناس إحنا تاركين، وأنا ما أعجبني هيك، أنا بحكي معك وبتواصل معك، وبحبك، وبتحبني، ليش الأهل ما بدهم.

ضلينا نتواصل، لحد ما أخوي رجع على السجن المرة الثانية، طلع خلص، قلت لأهلي كل يوم بتواصل معاه، وبتصل على الراديو، وبدو كنتينا ببعتلو، وبدو أواعي ببعتلو، كل اشي شو ضل، قالولي إنت حرة.

(ج.ع) بروح في العام 2023، (ج،ع)، صارلو في السجن 18 سنة، وإن شاء الله بروح قبل، بضلوا يحكوا عن صفقات، بس أنا تعبت وهم يحكوا عن صفقات، أنا هسه بضل أقول أنا ما بدي أفكر إنو الموضوع صفقة، لأنو أنا من سنين بستنى، أنا من 2011 وأنا أستنى، توقعت يروح قبلي (ج.ع)، بعد شهر بعد سنة، بعد ثلاث، لحد الآن ما روح.

بالنسبة لـ(ج.ع) إنتي كل اشي في الحياة، أنا حتى مرات يحكي معي في موضوع، إنو أنا وإياه نترك بعض، بتأثر وبصير أحكي مين رايح يضل لـ(ج.ع)، إذا بدو اشي مين رايح يعملوا اياه، أخوته معاه، بس مش طول الوقت، لما الواحد يكون عندو مسؤولية ويشغل والكل بجري وراه الحياة، حتى شايفه أنا صحيح ما عندي ولاد بس بفكر في اليوم إلي ممكن يكون عندي ولد، ويطلب مني أجيب الو اشي، قبل فترة كان يتواصل معي (ج.ع)، أقول لـ(ج.ع) معقول يصير عنا ولاد، بقولي إن شاء الله، بقولوا أنا بخاف لما أفكر في الموضوع، بخاف في يوم من الأيام ما يلاقينا موجودين، أنا ضايل علي 18 سنة من حكمي، تعرفي مش أخذوا شباب من الي خرجوا في الصفقة عشان يكملوا حكمهم، أنا ضايل الي 18 سنة، حياتي مش مستقرة، في أي لحظة ممكن اليهود يفكروا بشكل جنوني عادي، ما عندهم شفقة إنهم يخلوني لابني، أقولوا لو طلب ابني اشي يكون متوفر الو، إنت تكون موجود معنا، هاي التفاصيل الصغيرة، يمكن الناس ما بتشوفها، إن شاء الله إنت بضللك جوزك وولادك، بس إحنا الأسرى وين رايحه حياتنا.

أنا مثل (ج.ع) محبوسة في سجن، أنا مش قادرة أكون أم، أنا مش قادرة أعيش في دار لحالي وأستقر فيها بدون ما حدا يدخل فيّ، أنا صحيح الي شخصيتي، بس الكل بدخل فيّ، ولما يصير اشي من

المفروض أقرر فيه أنا وجوزي، لا ما بصير هذا الحكي، لأنو جوزي مش معي، لأنو الكل لازم يحكي وجهة نظره في الموضوع، عشان جوزي مش موجود، هذا هو مجتمعنا، شو كان الناس متحررين، إلا ما يرجع لموضوع البنت، إنو البنت اشي ضعيف، وقرارك مش هالقد.

(ج.ع) بنجن، اليوم كنت أحكي لصديق الي، مش مستوعب كيف بدي أشوف (ج،ع) في السجن، وأروح بدونه، أنا أول مرة بدي أشوفه، أنا طلعلي تصريح لأشوف أخوي، أنا شفت صورة، إنتي بتشوفي صورة كثيرة لناس، بس ما بتعرفي تعابير وجوهم، بتعرفيه لما يضحك؟ لما يزعل؟ لما يحك راسه؟ هاي التفاصيل، هذا جوزي، وأنا عايشة معاه عشر سنين، بس بروح، بدون جسد، إحنا عايشين في الخيال، إنتي تقعدي تفكري في شغلة، وفي لحظة ممكن ما تلاقيها، بفترة (ج.ع) تعب صحياً، صرت أخاف هذا الانسان أنا ما أشوفه، أرتبط فيه، ونجوز ونحلم، وأحلامنا الي بنياه خلص زمان وخلصنا منها، صار عنا ولاد، وين بدنا نحط ولادنا، شو بدنا تدرسهم؟ شو بدنا نعلمهم؟ وكل اشي؟ وهيك في لحظة تحسي خلص فش اشي.

لما روحت على عرس صاحبتي، إلي هي بتشبه نفس حالتي، يا الله نفس الاشي بتحكي، وأنا بطلع عليها وبقول وأنا كنت أحكي نفس الحكي، بتخيل إنو (ج،ع) في أي لحظة ممكن يدق الباب ويدخل، وأتخيل أنا مثل العرايس الي قاعدين، رايح يجي ويوخذني ونروح على الاحتفال، وهي تقول نفس الاشي، أنا حاسس (ب،ر) رايح يطلع، (ب،ر) رايح يجي، لآخر لحظة وهي تحكي هذا الحكي، يلعن أبوه السجن.

بضل أقول لأهلي بس يطلع (ج،ع) شو بدي ألبس؟ شو بدي أعمل؟

بقول لـ(ج.ع)، إتصل علي قبل فترة، بقولوا اطلع، بدي أحط مسكارة، وبدي أعمل شعري، قالي تعالي في البجامة وخلص ههه، جننته، بدي أعمل وأعمل، وبدي ألبس كعب، قلتلو خلص بدي أصير بنت، وبدي أشوفك ههه".

إن هذه الرواية تمثل فكرة الحرمان، الحرمان الذي يتخذ أوجه متعددة، وهنا يتخذ وجه الحرمان من رؤية إنسان، وهنا الزوج، إن فكرة الحرمان من من الرؤية هنا تقوم على قطع التواصل بين المعتقلين وأهاليهم، التواصل بصورة قاطعة، وهو ما حدث مع المشاركة التي لم ترى زوجها "خطيبها"، ولا مرة واحدة، وتعرفت عليه عن بعد، فإن السياسة الاستعمارية تتعمد ذلك فحتى في حالات الزيارة فإن أهالي المعتقلين يتواصلون مع أبناءهم

من خلف الزجاج، إنه الإعطاء وعدم الإعطاء، أعطيك فرصة من أجل أن تراه، وهو على بعد شبر، ولكن لن تلمسه ولن تسمع صوته إلا من خلال التلفون، هنا تزداد عذابات المعتقلين وأهاليهم أكثر، يريدون أن يروا ما رواء هذا الزجاج، أن يلمسوه، وكأن ما رواء هذا الزجاج حق لهم، ولكن يمنع عليهم ممارسته، إنها السلطة هو بيد صاحب السيطرة العليا التي تقوم على التحكم والسيطرة بهؤلاء.

أما المشاركة (ك.ق) فتظهر روايتها مدى تأثرها بمصادفة بانتظارها الشديد وتلهفها بمعرفة نتيجة ابنها البكر معاذ للمرحلة الأخيرة من دراسته المعروفة بـ"التوجيهي" فتقول:

> "النتيجة كانت يومها من أصعب الأوقات، كانت أيضاً المعتقلة (ق،س) بنتها كمان توجيهي، بس بنتها أدبي، وابني علمي، هسه معاذ طول عمره من الأوائل، بس سنتها الكل يقول السنة كانت صعبة كثير الامتحانات، أقول الله يستر، سبحان الله، أجى المذيع وقال بنت (ق،س) أول ما بدأ البرنامج، قال بنت أختنا (ق،س) نجحت وجابت 84.1، ونبارك لـ(ق،س)، وبدأ البرنامج على طول، وأنا شو طبعاً خلص انقهرت، بستنى في اسم ابني يطلع.
>
> كان يومها أحلام طابخة كوسا، طبعاً بحفروا الكوسا في عصاي طويلة، أنا واقف على الرادية وملزق فيه، وهي بتحكي للقاعدين، كلو كلوا ، شكلو ابنها راسب، هسه بتصير تعيط وما بنوكل، بعدها بلشت الناس تتصل، خواتي، نبارك لأختنا أم معاذ نجاح ابنها في التوجيهي، البنات قالولي أكلنا أكلاتك، فكرنا ابنك راسب، وسبحان الله شعوري صار مخلوط بين الفرحة والحزن إنك مش موجودة، الكل صار يتصل، صار كل البرنامج الي، أقربنا وصاحباتي الكل يتصل ويبارك، المذيع صار يحكي البرنامج اليوم برعاية أم معاذ، الكل بدو يباركلي في نجاح معاذ.
>
> اتصل علي معاذ، وشخصية معاذ خجول جداً، وقالي الحمد لله إمي نجحت، وما تخافي علي، الحمد لله، كلمات قليلة جداً، كان هو أكثر واحد متحسس من موضوع اعتقالي هو معاذ، لأنو بنتي زراتني ثلاث مرات، زوجي مرة، إمي وأختي زاروني مرتين، بس الي كان ممنوع من الزيارة هو معاذ، فكان أكثر واحد متأثر معاذ".

أبرز اللحظات الجمالية في داخل المعتقل، هي لحظات الفرح، لحظات الفرح التي تبدد الحزن والروتين في داخل "السجن"، إنها الحالة التي تدخل فيها المعتقلات في حالة من الانتعاش بأن هناك شيء جديد، في هذه

الرواية إنها اللهفة المنتظرة من قبل الوالدة، والترقب الخفي من قبل المعتقلات، إنها الحالة التي تنتظر فيها المعتقلات الفرح القادم من خارج المعتقل، والذي يتجازو الأسوار ويخترق القلوب، هنا تعلو الأصوات، والصوت العالي والفرحة هي من المحرمات في داخل المعتقل، إن الفرحة كما الصوت العالي هي مقاومة.

فيما نلحظ في رواية المشاركة (م.غ) مدى تأثرها بإزالة سنسال يحمل صورة الشهيد (ج.ن)، من رقبتها ورميه في حاوية القمامة، وتتحدث عن هذه اللحظات وتقول:

> "كنت لابس سنسال شهيد وهو (ج.ن) وهو ابن خال صاحبتي، ولأني تأثرت في استشهاده، أعطتني صاحبتي سنساله، الضابط شد السنسال، وقالي هذا الي كان بدو يعمل عملية، قلتلو لا ما كان بد يعمل عملية، انت طختوه بدون سبب، مسك السنسال ورماه في سلة الزبالة، بطريقة بشعة".

تبين هذه الرواية الأمل الموجع الذي لحق بالمشاركة من جراء نزع سنسال يحمل صورة شهيد عزيز عليها، والشهيد له احترامه في الثقافة الفلسطينية، فكيف إذا رميت صورته في سلة "القمامة"، وكأن المحقق أراد كسر الاحترام الذي يحيط بالشهيد، وهنا أمام عزيز عليه. إنها صورة المستعمر في كرهه للمقاوم حتى في صورته، في صوته، في أهله، كل شيء للشهيد هو عامل استفزاز بالنسبة للمحقق، وللمنظومة الاستعمارية بأكملها، بحيث أصبحت تعرف أجهزة المنظومة الاستخباراتية السكان من خلال من يرتبطون بهم من الشهداء والمعتقلين، إنها فكرة خلق دوائر متعددة من هؤلاء، تعاقب فيها كل دائرة يكون فيها شهيد أو معتقل، بحيث تتجاوز فكرة كره المحقق للمقاوم كفرد، إلى كره دائرته أجمعها، الكره الذي يترجم إلى أفعال كممارسات على الأرض.

أما الموقف الأخير الذي تظهر الرواية مدى تأثر (م.غ) به فهو موقف وداع صديقتها داخل المعتقل، وتصف هذه اللحظات بحزن وتقول:

" كانت (م،ك) حاطة فطور وبدنا نفطر، حطيت أول لقمة في ثمي، قالولي (م،غ)، بدك تروحي، حطيتها، فرحة، كلبشوني، كانت ملك واقفة على باب الغرفة، طلعت فيها آخر نظرة، وقلت يا الله هسه بدي أقعد سنين، ملك عبطتني وصارت تعيط.

لليوم بحكي معها، وبتواصل معها، مستحيل أنساها، كانت تضل تحكيلي (م،ك) خايف تنسيني، قلتلها والله إني راح أضل معك على تواصل، الحمد لله مرت سنة، وكل ما امها تزورها كل اسبوعين ببعتلها رسالة وبسأل عنها، مستحيل أنساها.

حملت أغراضي وطلعت، وقفت وأطلع على ملك وأودع فيها، بعدها أن في بالي بدي أروح وأوصل البيت، أعطوني أغراضي لما اعتقلوني، وكانوا سارقين مني مصاري، بقدر أطلبهن، بس خلص بدي أطلع، المهم أروح، بدي أرجع على أهلي".

من أصعب اللحظات التي تمر على كافة المعتقلات هي لحظة الحرية، إنها اللحظات المنتظرة، هؤلاء المعتقلات بنوا بينهم علاقة متينة كانت بالدرجة الأولى نتيجة ظرف المعتقل، هذا المعتقل المشابه للثقب الأسود، وهو جرم ميت، ولكن داخله عالم كامل، في هذا العالم لا يوجد مساحة حقيقة للتفريغ سوى تلك المساحة التي يذوب فيها الألم الفردي مع الجماعة، وتتشارك فيه المعتقلات لحظاتهن على اختلافها.

إن هؤلاء المعتقلات هنّ السند، المعتقلة المنوي الافراج عنها تريدهم، ولكنها لا تستطيع أخذهم جسدياً، إنها تأخذهم في داخلها، في ذاكرتها، تتحدث عنهم من هذه الذاكرة، تتحدث عنهم عندما جلسوا مع بعض حول الطاولة في الليلة الأخيرة، من أكبر مفصل فيها، وصولاً إلى رائحة الهواء في هذه الجلسة، إنها التفاصيل التي لا تغيب.

إن فكرة الانتهاء وترك هؤلاء فكرة تمزق القلب، إنها الفكرة التي تتساءل فيها المعتقلة عن ماهية الحرية!!! عندما تغادر البوسطة أسوار المعتقل، وترمق فيها المعتقلة نظرة من الخارج إلى الداخل، إنه منظر المعتقل وطبقات الحراسة الكثيرة. إن التجربة التي مرت بها المعتقلة لا تفهمها إلا هؤلاء الذين تركتهم خلفها.

الاستنتاجات والمخرجات

أظهرت الدراسة حسب العمر الزمني للمقابلات (1985–2019)، أن هناك عمقاً قوياً بين التجربة الفردية الوطنية والامتداد الشعبي والاجتماعي لها منذ منتصف الثمانينات وحتى توقيع اتفاق أوسلو، فقد أظهرت الروايات أن بعد التضامن الشعبي الجمعي كان متجذراً في الثقافة الفلسطينية، وقضية الفرد كانت قضية الكل، فيما أظهرت الدراسة أن هذا العمق أخذ بالتلاشي شيئاً فشيئاً بعد توقيع اتفاق أوسلو، وتحول هذا التضامن باتجاه يمكن وصفه فردانية القضية، بمعنى أنها تخص الفرد وعائلته المحيطة، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى التغييرات السياسية والاقتصادية بعد توقيع اتفاق أوسلو، حيث تحولت القضية الفلسطينية من مشروع سياسي إلى مشروع اقتصادي لغرض بناء الدولة، وما ترتب على ذلك من النمط الاستهلاكي الجديد والذي حمل بداخله بذور الأنانية. وشكل الانقسام الفلسطيني ذروة هذا الضعف. إن هذا التموج انعكس بحس الروايات بشكل سلبي في داخل المعتقل، فعملت الأحزاب السياسية على تعميق الخلافات في المعتقل إما لاعتبارت أيديولوجية أو امتيازات مادية.

أظهر السياق الزمني بأن مساحة التعبير والحديث عن السياق العام والظروف السياسية لدى المشاركات اللواتي يغطين الفترة الزمنية الأولى منذ منتصف الثمانينيات وحتى توقيع اتفاق أوسلو أكبر وأكثر جرأة وطلاقة، من مساحة الرأي والتعبير عن السياق العام والظروف السياسية لدى المشاركات اللواتي يغطين الفترة التالية والتي تمتد ما بعد توقيع اتفاق أوسلو وحتى العام 2019.

أما فيما يتعلق بآليات السيطرة فقد أظهرت الروايات تعمد السياسات الاستعمارية السيطرة على الجسد، من خلال استخدام العنف ضده، فأظهرت بعض الروايات أن المعتقلة قد تعرضت للعنف الجسدي أو الجنسي أو الاثنين معاً، هذا العنف بنى نفسه على انتهاك جسد المعتقلات كـ"نساء" في الثقافة المحلية.

شكل التحقيق الميدان الأوسع الذي يتاح فيه انتهاك الجسد، ومحاولة السيطرة عليه، مستخدمين في ذلك أساليب لمحاولة تطويع الجسد، توقفت هذه الأساليب على شخصية المعتقل نفسه، بحيث يتم استخدام أكثر من أسلوب معاً، أو أسلوب تلو الآخر، فقد يلجأ المحقق ذاته إلى التنقل بين مجموعة من الشخصيات، أو أن يتواجد أكثر من محقق لكل محقق شخصيته "التمثيلية" المختلفة، مستخدمين في ذلك أسلوب أن المعتقلة صفحة مفتوحة بالنسبة للمحقق، يعرف عنها كل التفاصيل. "التهديد"، التهديد بالاغتصاب، التهديد بهدم البيت، تشويه الوجيه، تحويل البيت إلى "عيد فصح"، قضاء حكم عالي داخل المعتقل، الصراخ، الشتم بألفاظ نابية، الحرمان من النوم.

في ذات السياق برزت آليات الصمود كثورة مضادة على آليات السيطرة الاستعمارية، ويمثل آليات الصمود الوسيلة الأساسية للمعتقلة في كسر آليات السيطرة الاستعمارية، آخذين بعين الاعتبار أن المكان في المعتقل الاستعماري مختلف عن كل الأمكنة الأخرى، مصمم بشكل محصور وضيق، مقسم إلى مجموعة من الوحدات، والجزئيات، مبني وفق أيديولوجيا تعمل بناء على منطق داخلي يحمل عزلاً حسياً وحرماناً دائماً للأسير لإخضاع المعتقلين وإفقادهم السيطرة على أجسادهم وحتى قناعاتهم ومبادئهم، بحيث تعمل هذه الوحدات وفق أيديولوجيا تحمل في طياتها عزلاً وإرهاقاً جسدياً ونفسياً للمعتقل لكسر صموده.

تتركز آليات الصمود، في الصمود أثناء التحقيق ونعني بهذا الصمود هو عدم الاعتراف، والصمود داخل غرف المعتقل ونعني بهذا الصمود استحداث نشاطات يومية قادرة على تجاوز الرتابة الروتينية داخل "السجن"، والصمود المستمد من الخارج، ونعني بذلك الصمود المستمد من خارج أسوار المعتقل، الصمود لتحقيق نضالات مطلبية وسياسية لغرض تحسين سبل المعيشة، أو العمل على الزام إدارة المعتقل بإطلاق سراح المعتقل.

أبرزت الروايات اللحظات مشاعر لحظات الإفراج ووداع صديقات المعتقل، وعلى الرغم من السعادة والشوق والانتظار التي تحملها هذه اللحظات، إلا أن هناك جانب آخر لهذه اللحظات سلطت الضوء عليها بعض المشاركات، وهي لحظات توديع زميلات المعتقل، وتمنياتهن لو كنَّ مكانها من ناحية أخرى، مشاعر السعادة هذه سرعان ما تتحول إلى نضال يومي لإعادة الاندماج في الحياة التي شكلت للمشاركات أولوية قصوى، إذ وقعت المشاركة بين فكي الرقابة المحلية والرقابة الاستعمارية عليها وظهر ذلك من خلال اتجاهين، فأظهر الاتجاه الأول أن النظرة إلى تجربة المرأة بأنها في البداية عمل بطولي ولكنها سرعان ما تتحول إلى نوع من الملامة، خصوصاً أثناء محاولة الرغبة بتكوين أسرة والارتباط، أو في حالة الحصول على عمل، الاتجاه الثاني تمثل بفرض رقابة محلية على المعتقلة من قبل دائرتها المحيطة خوفاً من منع العائلة من "فرصة" الحصول علة "تصاريح العمل في إسرائيل"، وهنا تعمل أدوات الرقابة الاستعمارية على بناء واستغلال الرقابة المحلية لصالحها، فتحل عيون المحيط بشكل واعي أو لا واعي مكان عيون المستعمر في رقابة المعتقلة.

كما أظهرت الدراسة بأن الأساليب الاستعمارية داخل المعتقل مبينة بشكل أساسي على الحرمان، الحرمان من العلاج، من حقوق المعتقل في توفير وجبات صالحة للأكل، حقة في رؤية أهله وجهاً لوجه، وغيرها من الحقوق، إن الحرمان يقوم هنا بشكل أساسي على خلق الألم لدى المعتقلات، الألم الذي يتراوح غالباً بين الإعطاء وعدم الإعطاء، هذا بحد ذاته قادر على إبقاء المعتقلة على قيد الحياة، ولكنها حياة مظلمة، أما المعتقلات فقد شكل التضامن الوسيلة الأبرز للتغلب على هذا الحرمان، وذلك عندما يذوب الألم الفردي في الألم الجماعي، فتصبح الصداقة المبنية على الألم أقوى وأمتن من الصداقة المبينة في وضعها الطبيعي. تتوصل هذه الدراسة إلى أن الثقافة المحلية والقيم الاجتماعية تضع المعتقلين في بوتقه كبيرة، بوتقة بداخلها كل قيم البطولة والشجاعة، فتضع هذه القيم فوق قيم الإنسانية، تبين هذه الدراسة إلى أن هؤلاء المعتقلات

لديهن مشاعر، وشوق وحب، إنهن ليسن أنبياء ولا آله، إنهن يبكين ويتألمن، ولكنهن يحاولن إخفاء الألم، إنهن يتلهفن لأشياء بسيطة، يتلهفن لحضن لأبناءهم، لرؤية أهاليهن، الذهاب إلى الدكان، الوقوف على الشباك، الخروج من البيت، يتلهفن لتلك التفاصيل التي تعتبر في الحياة اليومية جزءاً غير ملفت من الحياة.

المقابلات الخاصة بالرسالة:

1. مقابلة المعتقلة (ن.و). 2018/12/10..
2. مقابلة المعتقلة (ب.ط). 2018/12/11.
3. مقابلة المعتقلة (آ.ر). 2018/12/12.
4. مقابلة المعتقلة (ن.ع) 2018/12/25.
5. مقابلة المعتقلة (ف.ح). 2018/12/26.
6. مقابلة المعتقلة (أ.ق). 2019/1/2.
7. مقابلة المعتقلة (م.غ). 2019/1/3.
8. مقابلة المعتقلة (هـ.ن). 2019/1/13.
9. مقابلة المعتقلة (ت.ح). 2019/2/3.
10. مقابلة المعتقلة (ج.ق). 2019/2/18.
11. مقابلة (ز.س). 2019/2/19.
12. مقابلة المعتقلة (ك.ق)2019/2/21.
13. مقابلة المعتقلة (ص.ك). 2019/2/28.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. الأمين، عباس. 2015. "الرواية الشفوية: قراءة في تجربة أرشيف معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية". **مؤتمر التاريخ الشفوي مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات.** قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة.
2. جرار، خالدة، ولينا الجربوني. 2015–2016. **الحركة المعتقلة النسوية "دراسة بحثية عن واقع الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال".** رام الله: هيئة شؤون الأسرى والمحررين.
3. الحادك، قاسم. 2015. "الشعر الشفوي والمقاومة النسائية في المغرب (معركة وبكافر أنموذجاً)". **مؤتمر مقاربات في الحقل السياسي العربي (فلسطين والحركات الاجتماعية).** قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
4. الحسناوي، عبد الرحيم. 2015. "المصادر الشفوية وإشكالية الذاكرة ورهانات كتابة تاريخ المغرب الحاضر". **مؤتمر التاريخ الشفوي مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات.** قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
5. خليفة، سحر. 2010. **حبي الأول.** بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.
6. شهابي، حنان. 2016. **المرأة الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني. قبرص: منشورات الرمال.**
7. صايغ، روز ماري. 1980. **الفلاحون الفلسطينيون، من الاقتلاع إلى الثورة.** بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

8. عبد الهادي، فيحاء. 2015. **أدوار المرأة الفلسطينية منذ منتصف الستينيات حتى عام 1982: المساهمة السياسية للمرأة الفلسطينية عام 1965-1982**. رام الله: مركز المرأة الفلسطينية للأبحاث والتوثيق.

9. غيلوفي، الهادي. 2015. "التاريخ الشفوي في تونس: تاريخ المهمشين السجناء السياسيون نموذجاً". **مؤتمر مقاربات في الحقل الاجتماعي- الأنثروبولوجي**. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

10. فوكو. ميشيل. 2006. **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**. سعيد بنكراد (مترجم). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

11. الكبير، عطوف. 2015. "تدوين التاريخ الشفوي للمهاجرين المغاربة في فرنسا". **مؤتمر مقاربات في الحقل الاجتماعي- الأنثروبولوجي**. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

12. كوثراني، وجيه. 2015. "التاريخ الشفوي: المسوغ الإبيستيمولوجي". **مؤتمر مقاربات في الحقل الاجتماعي- الأنثروبولوجي**. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

13. لانغه، كاترينا. 2015. "سرديات التاريخ الشفوي وإنتاج التاريخ: مقاربة إثنوغرافية". **مؤتمر مقاربات في الحقل الاجتماعي- الأنثروبولوجي**. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

14. معلوف، أمين. 1999. **الهويات القاتلة " قراءات في الانتماء والعولمة"**. دمشق: ورد للطباعة والنشر والتوزيع.

15. الهندي، نضال. 1995 . **أضواء على نضال المرأة الفلسطينية1903 -1992**. عمان : دار الكرمل.

16. وزارة شؤون الأسرى والمحررين. 2009. **المؤتمر الدولي لمناصرة الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال الإسرائيلي**. أريحا: وزار شؤون الأسرى والمحررين.

الدوريات:

1. بدارنة، هديل. 2015. "ما وراء قضبان الأسر الإسرائيلي: بين «الجنسي» و«السياسي»". **مجلة جدل**. العدد 24.

2. البركي، عزيزة. ورشيد توهتو. 2014. "الذاكرة المروية وعدالة الانتقال: بين مقاربة الحركات الاجتماعية والتاريخ الجديد". **إضافات**. العدد 26-27.

3. حداد، توفيق. 2012. "الليبرالية الجديدة والتنمية الفلسطينية: تقييم وبدائل. نحو اقتصاد سياسي للتحرر قراءات نقدية للتنمية في السياق الاستعماري". **مركز دراسات التنمية**، جامعة بير زيت.

4. حشمة، لينا. 2010 "أدب السجون في مصر وسورية والعراق الحرية والرقيب". **مكتبة كل شيء**.

5. السهلي, نبيل. 2017. "تدويل قضية الأسرى الفلسطينيون طليعة الكفاح الفلسطيني". **مجلة شؤون فلسطينية**. العدد 268.

6. صايغ، روز ماري. "الفلسطينيون في لبنان : الوضع العام و المشهد من عين الحلوة". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 23. ص64-92.

7. صايغ، روز ماري. 1980. " لقاءات مع نساء فلسطينيات تحت الاحتلال". **مجلة قضايا عربية**. العدد 11. ص119-134.

8. صايغ، روز ماري. 1981. " لقاء مع النساء الفلسطينيات تحت الاحتلال الإسرائيلي : تقرير مثير للعربي من داخل الأرض المحتلة". **مجلة العربي**. العدد 269. ص 18-26.

9. صايغ، روز ماري. 1993. "الفلسطينيون في لبنان: واقع مؤلم و مستقبل غامض". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 13. ص12-28.

10. عثماني، الجباري. 2013. **ضوابط منهجية في آليات إجراء المقابلة الشخصية في الرواية الشفوية**. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية: جامعة حمه لخضر بالوادي.

11. علقم، نبيل. 2008. "التاريخ الشفوي والهوية الفلسطينية ". **مجلة التراث والمجتمع**. العدد 49.

12. قبعة، كمال. 2014. "الوضع القانوني لأسرى المقاومة الفلسطينية". **شؤون فلسطينية**. العدد 252.

13. كناعنة، شريف. 2012. "التاريخ الشفوي والتوثيق". **مجلة التراث والمجتمع**. العدد 54.

14. محاسن، أصرف. 2010. "تعذيب الأسيرات .. جريمة يحميها القانون الصهيوني". **القدس**. مجلد. 12. العدد. 143.

15. ناشف، سهاد ونادرة كيفوركيان. 2015. "الرغبات الجنسية في آلة الاستعمار الإسرائيلية الاستيطانية". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 104.

رسائل ماجستير:

1. جابر، فراس. 2010. السجن الإسرائيلي كمفهوم زماني ومكاني: دراسة في المفهوم والأثر. **رسالة ماجستير**. جامعة بيرزيت.

المراجع الأجنبية:

1. Bayour, Elham. 2004. 'Occupied Territories, Resisting Women: Palestinian Women Political Prisoners', in *Global Lockdown: Race, Gender, and the Prison-Industrial Complex ed.* New York and London.
2. Djebar, Assia.1980. *Women of Algiers in their Apartment*. Charlottesville and London: University of Virginia Press.
3. Eltit, Diamela. 1997. *Forward to E. Luminata*. Santa Fe: Lumen Inc.
4. Hannuneh, Natalie .2018. *Subversion: An Embodied Means of Anti-Colonist Resistance.* Master Thesis. Birzeit University.
5. Harvey, David. 2003. *A brief history of neoliberalism*. Oxford University press.
6. Lorde, Audre. 1984 *"The Uses of Erotic, the Erotic as Power."* from Sister Outsider. Berkeley: Crossing Press.
7. Meari, Lena .2014. "Re-signifying 'Sexual' Colonial Power Techniques: The Experiences of Palestinian Women Political Prisoners".
8. Morrison, Toni. 1995. "The Site of Memory". in *Inventing the Truth: The Art and Craft of Memoir,* Boston; New York. 83-102

9. Nashif, Ismail. 2008. *Palestinian political prisoners*. 1st ed. London: Routledge.

10. Abu Duhou, Rula. 2017. "The Struggle of Female Palestinian Prisoners for National Identity and Freedom".

11. Francis, Sahar. 2017. "Gendered Violence in Israeli Detention". *Journal of Palestine Studies*.

12. Spivak , Gyatari Charovorty. 1994 “Can the Subaltern Speak.” in *Colonial Discourse and Post-Colonial Theory: A Reader*. Edited by Patrick Williams and Laura Chrisman. New York: Columbia University Press.

13. Trinh, Minh-ha, 1989 “Commitment from the Mirror Writing Box.” from *Woman, Native, Other: Writing Postcoloniality and Feminism*. Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press.

14. Wolfe, Patrick .2012. Arabic Translation: Settler Colonialism and the Elimination of the Native (2006), *Settler Colonial Studies*, 2:1, 226-252.

تقارير:

1. مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان. 2012. التقرير الإداري السنوي. رام الله.

2. مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان. 2013. التقرير الإداري السنوي. رام الله.

3. مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان. 2014. التقرير الإداري السنوي. رام الله.

4. مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان. 2015. التقرير الإداري السنوي. رام الله.

5. مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان. 2015. المحاكم العسكرية للاحتلال الإسرائيلي واتفاقية جنيف الرابعة. رام الله.

6. مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان. 2016. التقرير الإداري السنوي. رام الله.

7. مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان. 2018. كنت هناك دراسة حول التعذيب في مركز التحقيق في المسكوبية. رام الله.

8. نادي الأسير الفلسطيني. 2014. تجربة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال، 2014. رام الله.

مواقع بحثية:

1. "واقع التعذيب في السجون الإسرائيلية و أثره على المعتقلين الفلسطينيين". 2011.

2. أبو عطوان، منقذ. 2007. "السجون الاسرائيلية بديلاً لأعواد المشانق".

3. بيرقدار، قحطان. 2009. "شرط تدخل الخيال في رواية السيرة الذاتية". شبكة الألوكة.

4. حروش، أريج. 2017. "فلسطينيات بسجون الاحتلال: من الانتهاكات الحقوقية إلى التحرش الجنسي". عرب 48.

5. الحمد لله، عنان. 2017. "موجز في الحروب الاستعمارية والنوع الاجتماعي" الجندر"". موقع باب الواد.

6. صالح، سماح. 2015. "الفلسطينيات تحت رقابتين داخل المعتقل الإسرائيليّ: تسييس الحياة اليومية بين الاحتلال والمجتمع الأبويّ". فلسطين صوت الذين لا صوت لهم.

7. مقابلة مع لينا الجربوني. 2017. قناة الميادين.